الرد الحاسم على الهجمة العقائدية ـ التحريفية ضد فكر ماو تسي تونغ

الشرارة

من الشرارة يولد اللهيب

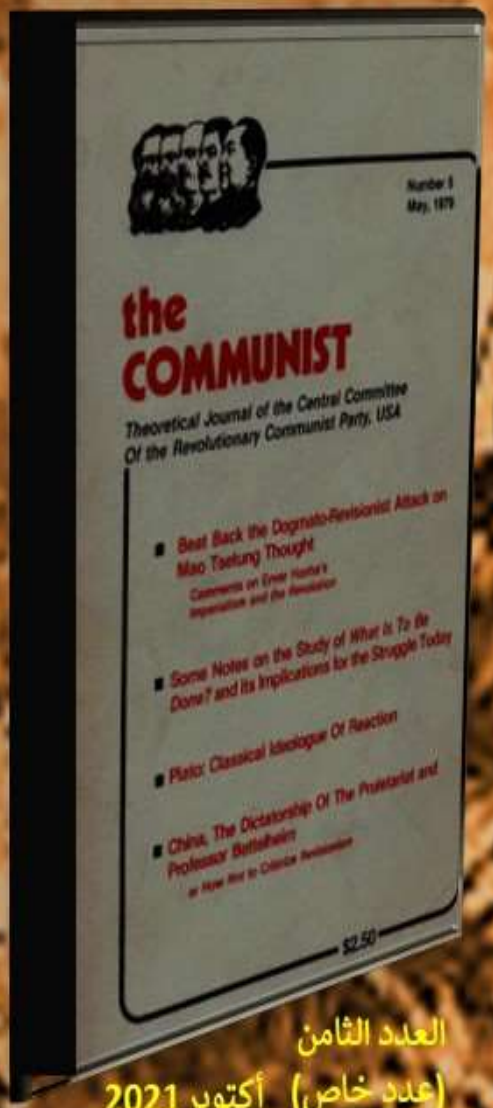

تعليقات حول "الإمبريالية والثورة" ل "إنفير خوجا"

ج. وارنر

الشيوعي ـ عدد 5، ماي 1979

تقديم: علي محمود ترجمة: حمو العبيوي

العدد الثامن
(عدد خاص) أكتوبر 2021

Beat Back the Dogmato-Revisionist Attack on Mao Tsetung Thought

Comments on Enver Hoxha’s Imperialism and the Revolution

J. Werner

The Communist (Number 5, mai, 1979)

الرد الحاسم على الهجمة العقائدية ـ التحريفية

ضد فكر ماو تسي تونغ

تعليقات حول "الإمبريالية والثورة" ل "إنفير خوجا"

ج. وارنر

الشيوعي (عدد 5، ماي 1979)

تقديم: علي محمود

ترجمة: حمو العبيوي

أكتوبر 2021

تقديم:

بعد وفاة القائد الشيوعي الثوري ماو تسي تونغ، والانقلاب الذي قاده هوا كيو فينغ و دينغ كسياو بينغ، والذي أدى إلى انتصار خط التحريفية وطريق الرأسمالية، أصيبت الحركة الشيوعية الثورية العالمية برجة كبيرة، فسادت الحيرة والارتباك، وراجت تساؤلات عديدة حول مستقبل الحركة الشيوعية العالمية، السائرة آنذاك على خط الثورة العالمية بقيادة الحزب الشيوعي الصيني، فتوجهت أنظار الأحزاب والمنظمات والحركات الماركسية ـ اللينينية عبر العالم إلى ألبانيا، البلد الحليف للثورة الصينية بقيادة ماو، وانتظر الجميع تحرك قائدها إنفير خوجا لإعطاء نفس جديد لاستمرار خط الثورة العالمية، وبالفعل، وفي الوقت الذي كانت فيه كل الآمال متجهة نحو ألبانيا، فاجأ إنفير خوجا الجميع بكتابه "الامبريالية والثورة"، الذي أثار ضجة كبيرة بإصداره مجموعة من الأحكام حول الثورة الصينية وقائدها ماو تسي تونغ، فأصبحت الثورة الصينية وقائدها ماو بجرة قلم، مجرد ثورة ديموقراطية بورجوازية، وقائدها مجرد وطني ديموقراطي، وعلى هذا الأساس، حاكم إنفير خوجا الثورة الصينية وحزبها الشيوعي، فجاءت محاكمته شاملة، تتطرق للخط الإيديولوجي والسياسي وللحزب، واستراتيجية حرب التحرير الشعبية، وقضايا الاشتراكية والثورة الثقافية ومواضيع أخرى.

على إثر هذه الأحكام الجاهزة، عرفت الحركة الشيوعية العالمية انشقاقا وانفجار صراعات إيديولوجية جديدة، أدت إلى اصطفافات جديدة بين الماركسيين ـ اللينينيين عبر العالم، حيث رفض أغلبية الماركسيين ـ اللينينيين السائرين على خط الثورة العالمية بقيادة الرفيق ماو تسي تونغ أطروحات إنفير خوجا الجديدة، كما حصل بالنسبة لليسار الماركسي ـ اللينيني في أوروبا عامة وفرنسا خاصة وفي الولايات المتحدة وفي باقي أنحاء العالم، بينما اصطفت أقلية صغيرة إلى جانبها.

لتقديم أطروحاته، لجأ إنفير خوجا إلى الافتراء والكذب والتشويه، وبتر النصوص وعزلها عن سياقها، الشيء الذي صدم الأغلبية الساحقة من الماركسيين ـ اللينينيين، خاصة أولئك اللذين كانوا على اطلاع وثيق على وقائع تاريخ الحزب

الشيوعي الصيني والثورة الصينية، واشتعل الجدال في كل مكان، مع تفاوت بين القارات والبلدان واللغات، وعرفت الولايات المتحدة أهم هذه النقاشات، وساهمت اللغة الانجليزية بدور أساسي، وبدرجة أقل كانت مساهمة أوروبا وعلى رأسها فرنسا، التي سرعان ما بدأت تتراجع ابتداء من ثمانينات القرن 20 مع ظهور ما سمي ب "الفلاسفة الجدد"، أما اللغة العربية، ومعها المكتبة العربية فلم تعرف شيئا من هذا النقاش، حتى وإن ظهرت لاحقا بعض المجموعات الخوجية، التي تردد أطروحات إنفير خوجا. واللافت للنظر اليوم أن العديد من الماركسيين ـ اللينينيين العرب أو غير العرب، اختلطت عليهم الأمور كما اختلطت عليهم السبل، فوجدوا أنفسهم في كل واد يهيمون، يرددون شعارات ومواقف ذات اليمين وذات اليسار، فظهر نوع من "الماركسية ـ اللينينية بطبخات تارة تروتسكية وتارة خوجية، وتدعي البلشفية تارة أخرى، كما أن العديد منها بدأ ينهل من أدبيات الأحزاب التحريفية العربية، بل حتى العودة الى كتابات التحريفية السوفياتية المعادية للثورة الصينية وخط الثورة العالمية.

في الولايات المتحدة تصدى الماركسيون ـ اللينينيون السائرون على خط الثورة العالمية للأطروحات الخوجية، كاشفين عن طبيعتها العقائدية ـ التحريفية، وعن أساليب إنفير خوجا في تشويه الثورة الصينية وفكر ماو تسي تونغ، فبالإضافة إلى الكذب والافتراء والتشويه، لجأ إنفير خوجا، الفاقد لكل منهجية علمية، بل وحتى منسجمة، إلى الأطروحات السوفياتية التحريفية، لينهل منها، ويؤثث بها جل أطروحاته، ويمكن اليوم لكل ماركسي ـ لينيني حقيقي أن يعود إلى تلك الكتب السوفياتية، منها على سبيل المثال لا الحصر كتاب "اللينينية و الصين الحديثة"، الصادر عن أكاديمية العلوم في الاتحاد السوفياتي ومعهد الشرق الأقصى وتحت قيادة البروفيسور سلادكوفسكي ومشاركة الأساتذة: كوفاليف و سيديخمينوف، دار التقدم سنة 1974.

يتطرق هذا الكتاب إلى عدة محاور، تعالج ما تسميه بالتشويه الماوي للنظرية اللينينية حول الثورة الاشتراكية وللإرث الفلسفي اللينيني، ولنظرية الدولة اللينينية، وتعويض النظرية اللينينية حول المسألة الوطنية بشوفينية الدولة العظمى، وكذا مسألة رأسمالية الدولة في الصين

وموقف الحزب الشيوعي الصيني من البورجوازية الوطنية، ثم مسألة اللينينية في علاقتها بالمسألة الثقافية في الصين، وكذلك تشويه النظرية اللينينية في الحرب والسلام وقضايا التحرر الوطني والأممية البروليتارية.

إن مثل هذه المواضيع تجدها في الكتب السوفياتية التحريفية، إما أنها تعالج موضوعا واحدا في كتاب، أو مجموعة مواضيع في كتاب واحد، ويكشف هذا عن عودة إنفير خوجا إلى التحريفية القديمة بطرق ملتوية، وتحت شعارات ثورية يسارية، ولذلك أخذت أطروحاته طابعا دوغمائيا ـ تحريفيا، كما يكشف عن ذلك كتاب:

"الرد الحاسم على الهجمة العقائدية ـ التحريفية ضد فكر ماو تسي تونغ ـ تعليقات حول "الإمبريالية والثورة" ل "إنفير خوجا"، لصاحبه ج. وارنر، وصدر الكتاب في مجلة "الشيوعي" الأمريكية، العدد 5، ماي 1979 التابعة للحزب الشيوعي الثوري الأمريكي.

يعد هذا النص ذو قيمة نظرية يستحق القراءة والتعميق من كل ماركسي ـ لينيني حقيقي، فالمنهجية التاريخية المستعملة في دحض أطروحات إنفير خوجا وافتراءاته ذات جودة عالية لا تترك المجال للنقاش والجدال حول حقيقة مواقف الحزب الشيوعي الصيني وأطروحاته، مزيلة الطلاء الذي وضعه إنفير حجة على أطروحاته ليقنع بها الحركة الشيوعية العالمية كأطروحات ثورية.

ولا يكتفي النص بوضع النصوص في سياقها، وفضح عمليات البتر، الذي تعرضت له على يد خوجا، بل يتعدى ذلك إلى مجهود لتعميق النقاش حول التجربة التاريخية نفسها، الشيء الذي لا يمنع من مناقشة بعض الجوانب التي تستحق النقاش والتعميق أكثر، من قبيل تفسير عودة العلاقات الرأسمالية إلى الدول الاشتراكية، انطلاقا فقط من انتعاش بقايا العلاقات الرأسمالية القديمة، والحال أن تجربة بناء الاشتراكية في الاتحاد السوفياتي والصين الشعبية، يظهر أن هذه الأطروحة غير كافية لتفسير ذلك، وقد قال بها لينين كذلك حينما رأى أن الإنتاج الصغير يهدد باستمرار بناء الاشتراكية، خاصة في بلد يغلب عليه الطابع الزراعي، لكن الرأي اللينيني يجب أخذه في سياقه التاريخي، فقد توفي لينين قبل أن ينتقل الاتحاد السوفياتي إلى بناء الاشتراكية، حيث

ستظهر التجربة التاريخية أن عدم إدراك جدلية علاقات الإنتاج وقوى الإنتاج، وضرورة تثوير الأولى باستمرار، كما أن عدم التمييز بين الأشكال القانونية للملكية والأشكال الواقعية المادية على الأرض، إضافة إلى عدم إدراك ضرورة وضع الصراع الطبقي والسياسة في موقع القيادة وأهمية صياغة خط ثوري في ارتباط وثيق مع الجماهير الأساسية للثورة، كلها عوامل تؤدي إلى بناء اشتراكية من فوق، وتوصل حتما، آنيا أو على المدى البعيد إلى فقدان الطبقة العاملة وحزبها الثوري للسلطة، وهذا ما حدث في الاتحاد السوفياتي، وحاولت الثورة الصينية استخلاص دروسه بعد 1956 مقدمة إسهاما جديدا ورائعا، حمل عنوان الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى.

لن نسترسل في الموضوع لأن ليس هذا هدفنا هنا. فهناك عشرات المراجع في هذا الموضوع.

في المغرب، نشأت الحركة الماركسية ـ اللينينية المغربية خاصة "إلى الأمام" في سياق ظهور الرد الثوري الماركسي ـ اللينيني على الصعيد العالمي ضد التحريفية بقيادة الاتحاد السوفياتي، وساهمت الثورة الصينية وفكر ماو تسي تونغ في إلهام الطلائع الأولى من الماركسيين ـ اللينينيين المغاربة، حيث نجد ذلك في أدبياتهم، وقد جاء في النظام الداخلي لمنظمة "إلى الأمام" أن المنظمة تتبنى الماركسية ـ اللينينية ـ إسهامات ماو.

عندما توفي ماو تسي تونغ سنة 1976، كان الماركسيون ـ اللينينيون المغاربة يملؤون سجون النظام الكمبرادوري المغربي، حيث كان لهذا الحدث أثر كبير في انعزال الحركة ومنظمة "إلى الأمام" عن الصراعات الدائرة داخل الحركة الشيوعية العالمية، بل كانت منظمة "إلى الأمام" تتعرض لدسائس ومؤامرات من خلال تسرب عناصر تروتسكية إلى المنظمة، حيث عرفت سنة 1979 انفجارا داخل ندوة للتنظيم انعقدت في مدينة باريس بفرنسا، حيث سيعلن مجموعة من التروتسكيين المتسربين إلى المنظمة عن هويتهم الإيديولوجية أمام استنكار ومفاجأة الأعضاء الآخرين، وبعد طردهم وفتح تحقيق في الموضوع تبين لرفاق المنظمة آنذاك أن وراء هذا الاختراق تقف رفيقة أبراهام السرفاتي كريستين جوفان، ولمن لا يعرف هذه الأخيرة فهي

أم لاثنان من قادة الحركة التروتسكية في فرنسا، كما أثبت التحقيق أن تروتسكية أخرى و تدعى لوسي تعيش بالمغرب لها دور كذلك في الربط مع الداخل، وفي نفس السياق كان أحدهم ويدعى عزيز يعيش في اسبانيا يقوم بنشر وثائق تروتسكية بتوقيعات منظمة "إلى الأمام". وبعد توجيه إنذارات، بل وتهديدات للسيدتين الفرنسيتين، أرسل رفاق فرع باريس في فرنسا رسالة داخلية إلى المنظمة بالسجن المركزي اطلع عليها أربعة رفاق وهم: ادريس بنزكري، فؤاد الهلالي، أحمد آيت بناصر و ادريس الزايدي. وبعد قراءتها تم تسليمها إلى أبراهام السرفاتي، باعتباره عضو الكتابة الوطنية، فقام بإخفائها وإقبارها ولم يظهر لها أثر منذ ذلك الحين.

لقد أثرنا هذه المعلومات من باب جعل القارئ يدرك وضعية المنظمة، خاصة على يد القيادة اليمينية التحريفية، التي كان يمثلها أبراهام السرفاتي.

في ظل الأوضاع، التي كان يعيشها الماركسيون ـ اللينينيون المغاربة، المعتقلون والبعيدون عن مجريات الصراع داخل الحركة الشيوعية العالمية، لم يكن هناك أي نقاش حول أطروحات إنفير خوجا، كما لم تظهر أية مجموعة أو تيار يحمل أفكاره، كما تشهد عليه وثائق الحركة الماركسية ـ اللينينية المغربية و وثائق منظمة "إلى الأمام"، بل فقط ظهرت مجموعة صغيرة تحمل أفكار "نظرية العوالم الثلاث"، التي تم رفضها جملة و تفصيلا.

عندما صعد ميخائيل غورباتشوف إلى الحزب الشيوعي السوفياتي كان التحريفيون الجدد في منظمة " إلى الأمام" يتابعون بحماس "إنجازات" غورباتشوف، ويبحثون عن الحجج لإثبات عودة البروليتاريا السوفياتية إلى قيادة الحزب الشيوعي للاتحاد السوفياتي، وسيراجعون مواقفهم من الثورة الصينية ومن مواقف ماو خاصة المتعلقة بالثورة الثقافية الصينية. وقد سار التحريفيون الجدد على نهج الانعزال عن الحركة الشيوعية العالمية ليتسنى لهم الخوض فيما أسموه بلورة ماركسية متجددة عبر مراجعات، أدت إلى التخلي عن الخط الإيديولوجي للمنظمة (الماركسية ـ اللينينية ـ إسهامات ماو) بحذف إسهامات ماو في مرحلة أولى ثم التخلي عن اللينينية في مرحلة ثانية، ليعلنوا أنهم يجددون

الماركسية ويكتفون ب "جوهرها الحي" ...وباعتبارها مجرد ميتودولوجيا.

إن ترجمتنا، ونشرنا لكتاب "الرد الحاسم على الهجمة العقائدية ـ التحريفية ضد فكر ماو تسي تونغ" يدخل في إطار إرجاع، وإدخال الحركة الماركسية ـ اللينينية المغربية في السكة الصحيحة لمناقشة قضايا الثورة العالمية على أرضية ثورية ماركسية ـ لينينية صلبة، وكذلك كمحاولة ستتلوها محاولات أخرى للخروج بها من النفق الذي أدخلته إليها التحريفية الجديدة في المغرب وخارجه، حتى تكون العودة عودة إلى خط الثورة العالمية، خط الأممية البروليتارية العالمية، وحتى نعود الى النقاش الحقيقي لإرث الحركة الشيوعية العالمية وتجارب بناء الاشتراكية.

علي محمود

حول الترجمة:

اعتمدت هذه الترجمة على النص الأصلي باللغة الإنجليزية، الذي نشر في العدد الخامس للمجلة النظرية "الشيوعي" (عدد 5، ماي 1979) التي تصدرها اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الثوري للولايات المتحدة، كما اعتمدت كذلك على النص المترجم لنفس النص إلى اللغة الفرنسية من طرف الحزب نفسه، وذلك للاقتراب ما أمكن من أفكار النص، تسلسلها، ترابطاتها ومضامينها، حتى يتسنى لنا تقديمها هنا من دون أن تفقد تلك الأفكار معانيها الأساسية. ومع ذلك فهذه الترجمة لن تكون بأي حال وفية مائة بالمائة للنص الأصلي، رغم كل محاولاتنا في الوفاء لمجموعة المفاهيم والمصطلحات التي اختارها كاتبها بعناية في نصه.

إن هذه الترجمة التي نقدمها هنا باللغة العربية، هي موجهة بالأساس لمن تقف اللغة الإنجليزية والفرنسية حاجزا بينه وبين الاطلاع على هذا النص. ومن هنا تأتي أهمية هذه الترجمة إلى اللغة العربية، التي تستهدف أساسا من حرمته الظروف العامة والخاصة معا من تعلم هاتين اللغتين. أما بالنسبة لمن ليس له عائق في هذا الصدد، فإننا نتمنى أن يكون هذا النص المترجم هنا إلى اللغة العربية، حافزا له للاطلاع والتوجه مباشرة للنص الأصلي (أو للنص المترجم إلى اللغة الفرنسية).

بالنسبة للنص الأصلي باللغة الإنجليزية، فقد جاء كمقال أول لأربعة مقالات صدرت في المجلة النظرية "الشيوعي" (العدد الخامس لسنة 1979)، وعنوانه على الشكل التالي:

Beat Back the Dogmato-Revisionist Attack on Mao Tsé toung Thought

Comments on Enver Hoxha’s Imperialism and the Revolution

By J. Werner

The Communist (Number 5, mai, 1979)

والذي صدرت ترجمته إلى اللغة الفرنسية من طرف الحزب الشيوعي الثوري للولايات المتحدة نفسه، في كتاب خاص تحت هذا العنوان:

Riposter à l'attaque dogmato-révisionniste sur la pensée

Mao tsé toung

Commentaires sur " L'impérialisme et la révolution" d'Enver Hoxha

Par J. Werner

بالنسبة لهوامش النص، فقد تمت ترجمتها هي الأخرى إلى اللغة العربية، مع الحفاظ على مصدر وتاريخ إصداراتها، وأرقام صفحاتها ومجلداتها التي صدرت بلغة النص الأصلية.

يتألف هذا النص من المحاور التالية:

★ مقدمة

★ خوجا ومسار الثورة الصينية

★ ماو، الكومنترن، اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية وستالين

★ ماو، ستالين وخروتشوف

★ بناء الاشتراكية في الصين

★ حول استمرار الثورة في ظل ديكتاتورية البروليتاريا

★ الديالكتيك

حمو العبيوي

الرد الحاسم على الهجمة العقائدية ـ التحريفية

ضد فكر ماو تسي تونغ

تعليقات حول "الإمبريالية والثورة" ل "إنفير خوجا"

ج. وارنر

الشيوعي (عدد 5، ماي 1979)

مقدمة

عندما نتفحص كتاب إنفير خوجا الجديد أول مرة، *"الإمبريالية والثورة"* ، نجنح إلى عدم منح أهمية لهذا العمل التافه والسطحي، وبذلا عن ذلك، إلى إحالة القارئ إلى أعمال ماو تسي تونغ التي تكشف بوضوح أن معظم الاتهامات التي يوجهها خوجا ضد ماو، هي ببساطة تلاعب صارخ بالاقتباسات، وتشويه للحقائق وأكاذيب شائنة. كما نود كذلك إحالة القارئ إلى الانتقادات السوفياتية العديدة لماو، التي رغم كونها تنتمي إلى الطريقة نفسها، وتُقدم معظم الأطروحات نفسها التي يُقدمها خوجا، إلا أنها على الأقل تتمتع بجودة عرض منهجي وكامل للخط التحريفي.

ومع ذلك، فإن الواقع الحالي وسط الحركة الشيوعية العالمية يجعل من المستحيل اتباع مسار من هذا القبيل، مهما كان مغريا. لقد أدى الاستيلاء على السلطة في الصين الثورية من طرف المسؤولين المنخرطين في الطريق الرأسمالي بقيادة "هوا" (Houa) و "تينغ" (Teng)، إلى استسلام بعض الماركسيين ـ اللينينيين القدامى، وإلى إحباط

معنويات الكثيرين من غيرهم. فتركزت أعين الحركة العالمية على خوجا وعلى حزب العمل الألباني، على أمل أنه وسط هذا الاضطراب والارتباك في صفوف الشيوعيين، سيواصل حزب العمل الألباني في لعب دور مهم في النضال ضد التحريفية. وبالفعل، فالاستجابة الأولية للألبان قد ألهمت أملا كهذا رغم كونها مليئة بالانتقائية والأطروحات المتناقضة.

إلا أن خوجا وقيادة حزب العمل الألباني اختاروا طريقا مختلفا. فالسمعة التي يتمتع بها حزب العمل الألباني (سمعة، وللسخرية، اكتُسبت إلى حد كبير من حقيقة أن خوجا كان قد اتحد مع ماو والثورة الثقافية البروليتارية العظمى في الوقت الذي كانت تتعرض فيه للهجوم من طرف التحريفيين في كل مكان)، تم إضفاؤها على الذين يريدون التراجع إلى الوراء بإنكار التقدم المحرز خلال النضال ضد التحريفية المعاصرة في العقدين الأخيرين، وبناء خط سياسي وإيديولوجي تحريفي، يقوم على التقديس وتركيز الأخطاء المرتكبة من طرف الثوريين منذ الثلاثينيات، وكل هذا يتم باسم "نقاء" الماركسية ـ اللينينية.

بالطبع هذه ليست هي المرة الأولى في التاريخ التي قدمت فيها التحريفية نفسها على أنها ماركسية "أرثودوكسية"، وحاولت رسم الشيوعيين الثوريين الحقيقيين بفرشاة "الانحراف" أو حتى التعصب. فكارل كاوتسكي كان الماركسي الأرثودوكسي لزمانه في معركته ضد اللينينية. وبالمثل، زعم تروتسكي بأنه ماركسي "بروليتاري" و"نقي"، مع أنه بذل قصارى جهده لتقويض وتدمير أول دولة اشتراكية في العالم.

لأنه على عكس وجهة النظر التي تميز كتابات إنفير خوجا، فالعالم لا يتقدم في مسار سلس ومستقيم. وما ينطبق على العالم نفسه ينطبق أيضا على الماركسية ـ اللينينية التي هي، بعد كل شيء، علم قائم على فهم التناقضات في الطبيعة والمجتمع، وأداة لتقدم المجتمع إلى الأمام، وفقا لقوانين حركة هذه التناقضات ـ علم يتم إغناؤه وتعميقه باستمرار، ولا يمكنه إلا ذلك، في سياق الممارسة الثورية.

يوجه إنفير خوجا العديد من الاتهامات ضد ماو تسي تونغ، وهي اتهامات تستند إلى أطروحات سنعالجها هنا الواحدة تلو الأخرى، إلا أن ما يظهر بوضوح شديد هو عدم قدرة

خوجا التامة على فهم العلم الحي للديالكتيك، وهو ارتباك احتفظ به لنفسه طالما استمرت الصين الثورية في التقدم ومحاربة الأعداء الذين اعترف خوجا نفسه أيضا بأنهم أعداء، لكن الارتباك انقلب إلى عداء يسعى خوجا فرضه الآن على الحركة الشيوعية العالمية بأكملها حيث انقلبت مؤقتا مسيرة إلى الأمام بالصين.

في الواقع، في إحدى توصيفاته القليلة والدقيقة نسبيا لخط ماو، كتب خوجا:

> "إنه [ماو] يعتبر [الثورة] عملية لا نهاية لها، تتكرر بشكل دوري طوال فترة وجود الجنس البشري على الأرض، كسيرورة تنتقل من الهزيمة إلى النصر، ومن النصر إلى الهزيمة، وما إلى ذلك إلى ما لا نهاية "[1].

أكيد، باختياره لهذا المقطع، يحاول خوجا الإيحاء بأن ماو لا يرى تقدما في المجتمع البشري، بل مجرد تكرار دوري للأشياء، لكن ما يظهر بوضوح أكثر(لأن هذا الابتذال المسيء لماو، لا يمر بالنسبة لأي شخص درس أيًا من كتاباته) هو منظور خوجا نفسه للثورة، باعتبارها اضطرابا مؤسفا، وإن كان ضروريا أحيانا عندما يفرضه التاريخ على المجتمع في أوقات نادرة للغاية، اضطراب سيتوقف إلى الأبد بمجرد أن تتمكن الطبقة العاملة (أو منقذين متعالين لديهم مصالح الطبقة العاملة في قلوبهم) من الاستيلاء على سلطة المستغِلين السابقين، لمباشرة "التقدم اللا منقطع"، على طول شارع نيفسكي • الواسع والمستقيم، نحو هدف يشبه كثيرا المنظور الديني لمملكة الإله على الأرض، حيث كل

[1]ـ إنفير خوجا، الإمبريالية والثورة، ص 439 (تيرانا 1979) في النص المترجم إلى اللغة الفرنسية. {ملاحظة المترجم: أشار كاتب النص في الهامش الأول من الطبعة الأصلية باللغة الإنجليزية إلى طبعة كتاب "الإمبريالية والثورة" التي اعتمدها في عمله، حيث جاء الهامش 1 على الشكل التالي: "إنفير خوجا، الإمبريالية والثورة (نُشر في عدد من "الأممية البروليتارية"، شيكاغو، 1979)، ص. 113. أستخدم هذا الإصدار من كتاب خوجا لأن السعر يتوافق بشكل كبير مع قيمته السياسية".}

•ـ ملاحظة المترجم: وهو الشارع الرئيسي لمدينة "سانت بيترسبورغ"، يفوق طوله 4 كلم. وسمي بذلك على شرف "ألكسندر نيفسكي"، الشخصية الروسية المشهورة في العصور الوسطى، والتي أصبحت تتمتع بمكانة أسطورية بسبب الانتصارات العسكرية على الألمان... حيث كان حاكما على مدينة "نوفغورود". بعد انتصار الثورة البلشفية، تم تغيير اسم هذا الشارع حيث أطلق عليه "شارع 25 أكتوبر"، وبعد ذلك في سنة 1944، أعاد ستالين الاسم الأصلي للشارع.

نزاع، كل صراع، كل خلاف، سيتم استبداله بالانسجام والاستقرار التام.

يريد خوجا مهاجمة الماركسية ـ اللينينية وفكر ماو تسي تونغ، وفي نفس الوقت تمييز نفسه عن التحريفية المعاصرة، والنتيجة هي تبنيه ليس فقط لوجهة نظر تحريفية أساسية، ولكن أيضا تبنيه للعديد من الأطروحات التحريفية البالية، وكلها مغطاة بقشرة دوغمائية. ومن هنا جاء مصطلحنا العقائدية ـ التحريفية (dogmato-revisionist).

يغطي" *الإمبريالية والثورة*" العديد من الموضوعات، ويتطلب التعامل مع جميع الأخطاء والتشويهات الواردة فيه والمتعلقة بالماركسية، كتابا أطول بكثير من كتاب خوجا. إن هذه المقالة تتناول بشكل حصري تقريبا الجزء الثاني، القسم الثالث: "فكر ماو تسي تونغ، نظرية مناهِضة للماركسية". وحتى هنا، لن نتطرق للتشويهات والأخطاء والافتراءات من جميع جوانبها، ومع ذلك، فمقالتنا لها من التفاصيل الكافية لإعطاء أكثر من مجرد مذاق (في الحقيقة حد التخمة) لخط خوجا المعادي للثورة! *

*. يحاول خوجا، كما يفعل القادة التحريفيون الصينيون، أن ينسبوا إلى ماو تطور نظرية "العوالم الثلاثة" الرجعية. يتناول الحزب الشيوعي الثوري، الولايات المتحدة الأمريكية، هذه القضية في مقالته: "استراتيجية العوالم الثلاثة: دعوة إلى الاستسلام"، في المجلة الشهرية للجنة المركزية للحزب الشيوعي الثوري، الولايات المتحدة الأمريكية، الثورة، لشهر نونبر 1978.

هذه المقالة ليست موجهة، لا لتصور خوجا للوضع العالمي الراهن، ولا للتقارب الملحوظ بين وجهات نظر خوجا ومؤامرات الاشتراكيين-الإمبرياليين السوفيات.

إنفير خوجا ومسار الثورة الصينية

وفقا لإنفير خوجا، فإن الحزب الشيوعي الصيني قد هيمن فيه "فكر ماو تسي تونغ" التحريفي منذ سنة 1935، وهي السنة التي قامت فيها بالأساس قيادة ماو تسي تونغ وسط الحزب. وعلى ما يبدو أن الخط السديد، وفقا لإنفير خوجا، كان يمثله وانغ مينغ (Wang Ming)، على الرغم من أن اسم هذا المرتد لم يظهر في كتابه. كان وانغ مينغ زعيما للحزب الشيوعي الصيني لعدة سنوات حتى هزيمة خطه في سنة 1935، واتسمت مسيرته في الحزب بميزتين: أولا، خطه السياسي كان خاطئا على الدوام، أدى به إلى انحرافات انتهازية يمينية و"يسارية". وثانيا، تمتعه بثقة ودعم الأممية الشيوعية، وربما ستالين.

إن قادة الحزب الشيوعي الذين يشاركون وانغ مينغ خطه (أولئك الذين أطلقوا على أنفسهم ال "أمميين"، وأطلق عليهم أحيانا اسم "28 ونصف بلاشفة"، في إشارة إلى ادعاء وانغ أنه وحفنة من طلابه الذين عادوا من موسكو، أنهم كانوا "بلاشفة مائة بالمائة")، بدأوا يلعبون دورا مهما في لحظة حرجة من الثورة الصينية، فقد رفضوا الاعتراف بأن الثورة الصينية قد تكبدت انتكاسة مؤقتة بعد هزيمة سنوات 1924-1927، ونتيجة ذلك، فإن فترة طويلة من الدفاع الاستراتيجي كانت ضرورية.

كان ماو قد أجرى تحليلا للظروف الملموسة للصين، تحليلا يقوم على أساس الماركسية ـ اللينينية ويأخذ بالاعتبار الأطروحات الأساسية للينين وستالين حول الثورة الصينية، حيث توصل إلى استنتاج مفاده أنه على الرغم من تعرض الثورة للهزائم، فقد كانت هناك ظروف مختلفة سمحت في أجزاء مختلفة من الصين بإنشاء قواعد ارتكاز ريفية محاطة بالعدو، وكان لمسألة الفلاحين ارتباطا وثيقا بهذا الأمر، حيث تبين لماو وبشكل سليم أنه في المرحلة الديمقراطية، ينبغي على الفلاحين أن يكونوا القوة الرئيسية (وليس القوة القائدة) للثورة، وأن حَشدَهُم تحت قيادة الحزب الشيوعي الصيني وإنجاز الثورة الزراعية كان لا غنى عنه لتطوير هذه القواعد الريفية.

فيما يخص هذه الأطروحات الأساسية، بالإضافة إلى العديد من المسائل السياسية والعسكرية التي انبثقت عنها، فقد عارض وانغ مينغ (Wang Ming) ماو بلا هوادة. ومثل خوجا، انتقد وانغ مينغ أطروحة ماو القائلة بأنه في الصين ينبغي محاصرة المدن انطلاقا من الريف.

لم يستطع وانغ، مثل خوجا، فهم مد وجزر الثورة، وبدلا من ذلك، قدم صورة لوضع موضوعي موات باستمرار، يفتقر فقط للعامل الذاتي من أجل قيادة هجوم فوري وناجح على السلطة الرجعية. لقد قاد وانغ مينغ الحزب بخط عسكري وسياسي وإيديولوجي خاطئ أدى إلى الهزيمة على يد تشيانغ كاي تشيك (Chiang Kai-shek) في حملته الخامسة "للتطويق والقمع"، وهي الهزيمة التي أجبرت الجيش الأحمر على التراجع في المسيرة الطويلة الشهيرة. كانت نتيجة هذا الخط الانتهازي "اليساري"، أن تم تصفية العديد من أعضاء الحزب الشيوعي والجيش الأحمر، وكذلك تصفية مناطق قواعد الارتكاز.

بالطبع، هذا التاريخ معروف جيدا بأكمله، والتقييم السياسي لهذه الانحرافات يشكل جزءا مهما من أعمال ماو تسي تونغ. علاوة على ذلك، وعلى أساس صد هذا الخط على وجه الخصوص، تمكن الحزب الشيوعي الصيني من الاستمرار بنجاح في التحقيق الكامل للمسيرة الطويلة الشهيرة وللثورة الصينية نفسها.

لكن إنفير خوجا، مثل وانغ مينغ والتحريفيين السوفيات، يتهم ماو بـ "القومية" و "عقلية الفلاحين" والانتهازية، هذا لأن ماو طبق الماركسية ـ اللينينية على الظروف الملموسة للصين، وطور بالتالي خطا سياسيا شاملا قادرا على قيادة تلك الثورة إلى النصر.

لنرى بعض الحجج العميقة التي يستحضرها خوجا لمهاجمة ماو:

> "هذه النظرية البرجوازية الصغيرة [التي لا تعترف بالدور القيادي للبروليتاريا]، عبر عنها ماو تسي تونغ في أطروحته العامة "تطويق المدن انطلاقا من الريف"، "... الريف الثوري، كما كتب، يمكن أن يطوق المدن

... العمل في الريف يجب أن يلعب الدور الرئيسي في الحركة الثورية الصينية، بينما العمل في المدينة دورا ثانويا".

أدرج ماو هذه الفكرة عندما تناول أيضا دور الفلاحين في السلطة. لقد قال إنه على جميع الأحزاب والقوى السياسية الأخرى أن تخضع للفلاحين وآرائهم، "... سينهض، كما كتب، مئات الملايين من الفلاحين مثل عاصفة شديدة، قوة سريعة وعنيفة لدرجة أنه لا توجد قوة، مهما كانت عظيمة، قادرة على كبح جماحها ... سيُخْضِعون للاختبار كل الأحزاب والمجموعات الثورية، كل ثوري، حتى يقبلوا بآرائهم أو يرفضونها". حسب ماو، يتضح أن دور الهيمنة في الثورة سيكون للفلاحين وليس للطبقة العاملة.[2]

هذه إذن، هي طريقة التفكير العميقة لإنفير خوجا. ولكن، بحق الجحيم، أين هو المبدأ الذي حسبه يجب في كل بلد أن يكون المركز الرئيسي لعمل الحزب بالمدن؟

إذا قمنا بالثورة في بلد يشكل فيه الفلاحون 80٪ من السكان، وإذا تم إبعاد الثورة خارج المدن، وإذا تعرضت الحركة إلى تراجع مؤقت، وإذا كانت هناك إمكانية لتأسيس سلطة سياسية حمراء في الريف، كما كان عليه الحال في الصين، فكيف يمكن القول إنه من الخطأ جعل الريف "المركز الرئيسي لعمل الحزب"؟ أو تطوير استراتيجية "تطويق المدن انطلاقا من الريف"؟ في ظل ظروف كهذه، فإن عدم القيام بذلك لا يعني، كما الحال في الصين، إلا سياسة المغامرة المتهورة التي أدت بسرعة إلى الاستسلام للعدو، وبالضبط، لأن خط "اليسارية" المتمثل في التمركز بالمدن، والرافض ل "تطويق المدن انطلاقا من الريف"، لم يكن قادرا على حشد القوى الضرورية للثورة في الظروف الملموسة للصين في تلك الفترة.

من الواضح للغاية أن خوجا يثير مثل هذه الضجة حول مقولة ماو الشهيرة، المقتبسة من "تحقيقات حول حركة

[2]. نفس المرجع، ص 114 ـ 115. (من الطبعة التي اعتمدت في النص الأصلي باللغة الإنجليزية، وفي النص باللغة الفرنسية ص. 443 ـ 444).

الفلاحين بهونان"، التي يقول فيها ماو أن العاصفة القوية لحركة الفلاحين ستضع "كل الأحزاب الثورية تحت الاختبار"، لأن هذا العمل الكلاسيكي تعرض تاريخيا لهجومات من طرف التحريفيين، من شن تو سيو (Tchen Tou-sieou) و وانغ مينغ (Wang Ming) إلى المرتدين السوفيات.

إن ما يؤكده ماو في "تحقيقات حول حركة الفلاحين بهونان"، ليس أن البروليتاريا لا ينبغي لها أن تقود الفلاحين، بل على العكس تماما. إنه يحارب الميول اليمينية، شكلا ومضمونا، لقادة الحزب الذين يعتبرون أن حركة الفلاحين تسير بشكل سيء ومروع للغاية، وأنها "تجاوزت الحد".

إن الذين يزعمون أن حركة الفلاحين "تجاوزت الحد"، يعتقدون أنها تقوض التحالف مع البرجوازية الوطنية (الكيومنتانغ في هذه الحالة)، وبالتالي ينبغي علينا إما رفض الاعتراف بهذه الحركة، أو معارضتها تماما، أو على الأقل الحد منها.

عندما اقتبس خوجا مقولة ماو: "سيُخْضِعون للاختبار كل الأحزاب والمجموعات الثورية، كل ثوري، حتى يقبلوا بآرائهم أو يرفضونها "، فقد تعمد حذف الجمل التي تليها مباشرة، والتي تكشف الخلفية الحقيقية والهدف الكامل من كتابة ماو لهذا المقال:

"نضع أنفسنا على رأس الفلاحين ونقودهم؟ أم نبقى وراءهم ونكتفي بانتقادهم بإشارات قوية متسلطة؟ أم نقف أمامهم لمقاتلتهم؟ كل صيني هو حر في اختيار إحدى هذه المسارات الثلاثة، لكن الأحداث ستجبر كل واحد على الاختيار بسرعة."[3]

إذن من الواضح أن ما يقصده ماو (إذا لم نسحق مقولات ماو كما اعتاد خوجا على فعل ذلك طوال هجومه)، ليس على الفلاحين أن يقودوا الحزب، بل على العكس تماما، أي أن الحزب يجب أن يتقدم إلى الأمام ويضع نفسه على رأس الانتفاضة العارمة لحركة الفلاحين.

[3]ـ ماو تسي تونغ، الأعمال الكاملة، المجلد الأول (بكين 1967)، ص. 22.

لقد هاجم ستالين هو الآخر نفس الأخطاء التي ارتكبها قادة بارزين للحزب الشيوعي الصيني في ذلك الوقت:

"أعلم أن هناك كيومنتانغيين، وحتى شيوعيين صينيين، الذين لا يعتبرون أنه من الممكن إطلاق الثورة في الريف، لأنهم يخشون أنه إذا انخرط الفلاحون في الثورة، فإن ذلك سيؤدي إلى تفكك الجبهة المناهضة للإمبريالية.

هذا خطأ فادح أيها الرفاق... برأيي، لقد حان الوقت لوضع حد لهذا الجمود وهذا "الحياد" اتجاه الفلاحين." [4]

إن الازدراء الذي يظهره إنفير خوجا اتجاه الفلاحين، واستخفافه بدورهم المركزي في السيرورة الثورية في بلدان مثل الصين، مرتبط بعدم قدرته على فهم طبيعة هذه الثورات نفسها. لم يكن ماو، بل لينين وستالين، هما أول من بلور الأطروحة التي مفادها أن الثورات في بلدان آسيا هي من نوع ثورات برجوازية ديمقراطية، تهدف إلى غايتين رئيسيتين: طرد الإمبريالية الأجنبية وهزم شرائح الطبقة الرأسمالية المرتبطة بهذه الإمبريالية، وحل المسألة الزراعية: تحطيم بقايا الإقطاعية وتحقيق مبدأ "الأرض لمن يحرثها"

مرة أخرى، كان ستالين واضحا جدا بشأن هذا السؤال:

"كان من رأي الكومنترن ولا يزال كذلك، أن أساس الثورة الصينية في الفترة الحالية [1927] هو الثورة الفلاحية الزراعية" [5] *

---

[4]. ج. ستالين، "آفاق الثورة الصينية"، الأعمال الكاملة، المجلد الثامن (موسكو 1954)، ص. 385

[5] . ستالين، "السمات السياسية للمعارضة الروسية" الأعمال الكاملة، المجلد العاشر (موسكو، 1954)، ص. 161.

* ـ يمكن العثور على نفس الأطروحة في عدة نقاط في كتابات ستالين حول الصين، وكذلك في قرارات الكومنترن بشأن الثورة الصينية. انظر على سبيل المثال، قرار الدورة الثامنة للجنة التنفيذية للأممية الشيوعية (CEIC) بشأن مسألة الصين (ماي، 1927) الذي ينص على: الثورة الزراعية، بما في ذلك مصادرة وتأميم الأراضي: هذا هو المحتوى الاجتماعي والاقتصادي الداخلي للمرحلة الجديدة من الثورة الصينية ... ويجب على الحزب الشيوعي أن يضع نفس على رأس هذه الحركة ويقودها (الأممية الشيوعية، 1919 ـ 1943: نشر جين ديكراس (ed. Jane Degras)، المجلد الثاني: 1923 ـ 1928 (لندن 1960)، ص. 386.) أو، مرة أخرى، قرار CEIC الصادر في يونيو 1930 بشأن المسألة الصينية: المسألة الزراعية هي أساس الثورة

خوجا يتهم:

"لم يستطع ماو تسي تونغ أبدا أن يفهم أو يفسر بشكل صحيح الروابط الوثيقة القائمة بين الثورة الديمقراطية البرجوازية والثورة البروليتارية.

خلافا للنظرية الماركسية ـ اللينينية التي أثبت علميا أنه لا يوجد سور صيني بين الثورة الديمقراطية البرجوازية والثورة الاشتراكية، وأنه لا يجب فصل هاتين الثورتين، الواحدة عن الأخرى، لفترة زمنية طويلة. وأكد ماو "إن تحول ثورتنا إلى ثورة اشتراكية هي مسألة تنتمي إلى المستقبل ... أما متى سيحدث هذا الانتقال ... فمن الممكن أن يستغرق هذا فترة طويلة. طالما لم يتم استيفاء جميع الشروط السياسية والاقتصادية الضرورية لهذا الانتقال، وطالما أن هذا الانتقال لا يفيد، بل يضر فقط بالغالبية العظمى لشعبنا، فلا ينبغي أن يكون موضع تساؤل" [6]

بالطبع، سيتساءل القارئ النبيه: ما الذي حذفه خوجا مكان نقط الحذف تلك؟ نقط الحذف الأولى عملت على طمس جملة كتب فيها ماو: **"في المستقبل ستتحول الثورة الديمقراطية حتما إلى ثورة اشتراكية"**. ونقط الحذف الثانية أزالت العبارة بالخط المائل أدناه: **"متى سيحدث هذا الانتقال؟ *هذا يتوقف على وجود شروط ضرورية محددة* وقد تتطلب وقتا طويلا."** [7] *

الصينية. تتطور الثورة في شكل حروب فلاحية بقيادة البروليتاريا (نفس المرجع، المجلد الثالث: 1929 ـ 1943 (لندن، 1965)، ص. 120.) بالطبع، هذا لا يعني أن ستالين أو الكومنترن، كانا دائما على صواب في تحليلهم أو توصياتهم فيما يخص الثورة الصينية.

[6]ـ خوجا، نفس المرجع (ص. 114 النص الأصلي. و ص.440 ـ 441 من نص اللغة الفرنسية)

[7]ـ ماو، "حول تكتيك مناهضة الإمبريالية اليابانية"، الأعمال الكاملة، المجلد الأول، ص. 188.

* ـ نترك الأمر للقارئ ليقرر ما إذا كان المترجمون الألبان يستشهدون عن قصد بالنسخة الألبانية من أعمال ماو لأجل منع القارئ من مقارنة هذا العمل المشوش لخوجا بالأصل، أم يتعلق الأمر فقط بطريقة غير مسؤولة للغاية في التعاطي مع مسألة بهذه الأهمية. على أي حال، هذه الطريقة تجعل من المستحيل عمليا على معظم القراء العودة إلى الأصل، خاصة وأن المقالات الموجودة في الأعمال المختارة لماو لم يتم الاستشهاد بها.

وهكذا نرى إذن أن خوجا حذف نقطتين هامتين في سياسة ماو:

1 ـ أن الانتقال إلى الثورة الاشتراكية هو حتمي، لا مناص منه و 2 ـ أن هذا الانتقال يتوقف على "وجود بعض الشروط الضرورية".

يضيف خوجا:

"تمسك ماو تسي تونغ، طوال الثورة، وحتى بعد التحرير، بهذا المفهوم المعادي للماركسية، الذي لا يهدف إلى تحويل الثورة الديمقراطية البرجوازية إلى ثورة اشتراكية. وهكذا، في سنة 1940، قال ماو تسي تونغ إن "الثورة الصينية يجب أن تمر بالضرورة ... بمرحلة الديمقراطية الجديدة، وبعد ذلك فقط، مرحلة الاشتراكية. من هاتين المرحلتين، ستكون المرحلة الأولى طويلة نسبيا ..." [8]

نعيد للقارئ نشر الفقرة بأكملها التي اقتبس منها خوجا "مقولته"، والفقرة مأخوذة من الترجمة الصينية الأصلية، ومن دون نقط الحذف المريحة جدا لخوجا:

"لا شك أن الثورة ما زالت في مرحلتها الأولى، ولن تدخل إلا فيما بعد، خلال تطورها اللاحق، المرحلة الثانية، مرحلة الاشتراكية. لن تعرف الصين السعادة الحقيقية إلا مع الاشتراكية. ولكن ليس الآن الوقت لتحقيقها. المهمة الحالية للثورة الصينية هي محاربة الإمبريالية والإقطاعية، قبل إتمام هذه المهمة، لا يمكن أن يكون هناك سؤال عن الاشتراكية. الثورة الصينية يجب أن تمر حتما بمرحلتين، أولا الثورة الديمقراطية الجديدة، ثم الثورة الاشتراكية. بالإضافة، فالمرحلة الأولى ستكون طويلة جدا، ولا يمكن إتمامها بين عشية وضحاها. لسنا طوباويين، ولا يمكننا تجاهل الظروف القائمة" [9]

[8] . خوجا، مرجع سابق، ص. 441.

[9]. ماو، "الديمقراطية الجديدة"، الأعمال الكاملة، المجلد الثاني (بكين 1967)، ص. 383.

مرة أخرى، من الواضح، حتى حسب المقاطع ذاتها التي حاول خوجا تزويرها وتشويهها لدعم افتراءاته، أن ماو أعلن بوضوح أن ثورة الديمقراطية الجديدة تؤدي إلى الاشتراكية، بمجرد توفر الشروط اللازمة، التي حددها ماو في هزيمة الإمبريالية والإقطاعية.

فخوجا على حق، لا يوجد "سور صيني" يفصل بين مرحلتين من الثورة، ولكن في العمق، فهو يريد إنكار وجود مرحلتين متميزتين للثورة يتم تحديدهما بالضرورة من خلال الاصطفافات الطبقية والمهام المختلفة. فخوجا يحاول خلط كل شيء، دمج إثنين في واحد، فنتج عنه نوع غير مبلور من الثورة الاشتراكية الديمقراطية خصائصها هي في الأساس نفسها بالبلدان الرأسمالية والبلدان المضطهدة.

فخط خوجا انتقائي للغاية، ومشوَّش لدرجة يستحيل معرفة ما يعنيه بالضبط. هل يقصد أن الثورة الصينية قبل سنة 1949 كانت (أو كان ينبغي أن تكون) ثورة اشتراكية؟ هل يحاكي الخط الذي تبناه بعض قادة الحزب الصيني (الذين يتمتعون ببعض الدعم من الكومنترن) والذي حسبه ستتحول الثورة البرجوازية إلى ثورة اشتراكية بمجرد الاستيلاء على السلطة في مقاطعة أو مقاطعتين رئيسيتين؟ أم أنه يقصد أن ماو لم يدرك أن الثورة ستتحول إلى ثورة اشتراكية مع الاستيلاء على السلطة على نطاق وطني؟ على أي حال، سنرى أن ماو من كان على حق، وليس خوجا أو وانغ مينغ. *

يخلط خوجا عمدا بين حقيقة أن الثورة الاشتراكية يمكنها أن تُتِم مهاما ديمقراطية (التي تعتبر ثورة أكتوبر مثالا لها

*. بالطبع، من الممكن أن يكون خوجا قد تعمد التشهير بماو. على كل حال، من الواضح أن الثورة بألبانيا تنتمي إلى نوع الثورات ذات مرحلتين. وأن حزب العمل الألباني، وفقا لتاريخه الرسمي، يبدو أنه يفهم هذه المسألة جيدا، مشيرا إلى أن الثورة الألبانية كانت في البداية "ثورة ديمقراطية مناهضة للإمبريالية"، وتطورت فيما بعد إلى ثورة اشتراكية، وموضحا أنه "... في المرحلة الأولى من الثورة كان الهدف الاستراتيجي للحزب هو ضمان الاستقلال الوطني وإقامة نظام ديمقراطي شعبي..." (تاريخ حزب العمل الألباني (تيرانا 1971)، ص. 292. بالإضافة إلى ذلك، فإن خط الحزب الألباني بعد تحرير ألبانيا يُوضَّحُ على النحو التالي:
"في ظل الظروف الجديدة، أطلق الحزب الشيوعي لألبانيا شعار الوحدة الوطنية. هذه الوحدة، عليها أن تشمل، إلى جانب الجماهير الشعبية العريضة التي شاركت بنشاط في نضال التحرير الوطني، كل أولئك الذين ابتعدوا عن هذا النضال أو الذين خدعهم القادة الرجعيون، لكنهم

بامتياز) مع مفهوم الثورة الديمقراطية البرجوازية نفسها، وليس من المستغرب أنه في الجزء الأول من كتابه، الذي وضع فيه خوجا وصفاته للثورة في جميع دول العالم (من دون تحديد طريق كل بلد على وجه الخصوص)، يُظْهِر خوجا عدم قدرته على فهم هذه المسألة، بل ينتج عنه في الواقع خلط رهيب:

"أصبح هذا الارتباط [بين الثورة البروليتارية في الغرب والنضال في المستعمرات والبلدان التابعة –JW (ج. وارنر)] أكثر وضوحا وطبيعيا اليوم، حيث أن غالبية الناس، بإسقاطهم للنظام الاستعماري القديم، قد خطوا خطوة كبيرة إلى الأمام نحو الاستقلال، من خلال إنشاء دولهم الوطنية الخاصة بهم، وأنه بعد هذه الخطوة، يتطلعون إلى المضي قدما. إنهم يريدون تصفية النظام الاستعماري الجديد، وتحرير أنفسهم من أي تبعية إمبريالية، ومن أي استغلال لرأس المال الأجنبي، وانتزاع سيادتهم واستقلالهم الكامل، اقتصاديا وسياسيا. لقد تبث أنه لا يمكن تحقيق هذه التطلعات والأهداف، إلا من خلال القضاء على أي سيطرة أو تبعية أجنبية، وبالتحرر من اضطهاد واستغلال الحكام البرجوازيين وملاك الأراضي الكبار في البلاد.

يترتب عن ذلك أن الثورة الوطنية الديمقراطية للتحرر الوطني، والمناهضة للإمبريالية، مرتبطة وتتشابك مع الثورة الاشتراكية، لأنه بمهاجمة الإمبريالية والرجعية، وهم أعداء مشتركون للبروليتاريا والشعوب، تفتح الثورة أيضا الطريق للتحولات الاجتماعية الكبرى، وتساهم في انتصار الثورة الاشتراكية، والعكس صحيح، فالثورة

يستطيعون الآن تقديم مساهمتهم في بناء المجتمع الجديد" (نفس المرجع، ص. 268.).
ألا تبرهن هذه المقولة، بوضوح كاف، تعزيز مرحلة بعيدة كل البعد عن الاشتراكية؟ في الواقع، قد يكون هذا خطا سليما للحزب الشيوعي الألباني (كما كان يطلق عليه في ذلك الوقت). صحة مثل هذا الخط ليست موضع تساؤل هنا (على الرغم من أن الحزب الألباني اعترف بنفسه أنه ارتكب خلال هذه الفترة سلسلة من الأخطاء اليمينية) (نفس المرجع، ص ,283-282 .340-341)، المهم هنا، هو أن خوجا لعب دورا رئيسيا في ثورة ذات مرحلة ديمقراطية واضحة، مرحلة، وفق تقدير خوجا والحزب في ذلك الوقت، ستستمر لفترة طويلة بعد الاستيلاء على السلطة، ومع ذلك، فهو يتهم ماو الآن بارتكاب نوع من الهرطقة بتطويره لنظرية الثورة الديمقراطية الجديدة. نشك هنا بالأحرى، أنها حيلة أكثر منها حيرة من جانب خوجا.

الاشتراكية بمهاجمتها للبرجوازية الإمبريالية وتقويض مواقعها الاقتصادية والسياسية، تخلق ظروفا مواتية لحركات التحرر وتسهل انتصارها." [10]

على الرغم من أن خوجا يشير هنا إلى "ملاك الأراضي الكبار"، فإن ما يلفت النظر في هذا المقطع، كما هو الحال في كتابه بأكمله في هذا الصدد، هو عدم وجود أي نقاش حول طابع الثورة المناهض للإقطاع في العديد من بلدان العالم، آسيا، أفريقيا وأمريكا اللاتينية، لأن النضال ضد الإقطاع على وجه الخصوص، هو الذي يضفي على الثورة الديمقراطية طابعها البرجوازي.

في الفقرة أعلاه، يجمع خوجا ببراعة بين الثورة الاشتراكية والثورة الديمقراطية البرجوازية، بالقول إن الاستقلال والسيادة، وما إلى ذلك، لا يمكن تحقيقها إلا من خلال "التحرر من اضطهاد واستغلال الحكام البرجوازيين وملاك الأراضي في البلاد". بالطبع، من الصحيح ان التحرر الحقيقي من الإمبريالية هو في نهاية التحليل يعتمد على الثورة الاشتراكية. وقد أوضح ماو هذه النقطة عدة مرات، بما في ذلك إعلانه الشهير: **"الاشتراكية فقط هي التي يمكن أن تنقد الصين"**. لكن تبقى حقيقة أن الثورة الاشتراكية والثورة الديمقراطية البرجوازية ليستا نفس الشيء، ليستا متماثلتين، بمعنى أنه خلال الثورة الديمقراطية البرجوازية يمكن لبعض القوى البرجوازية (القوى المستغِلة) أن تلعب دورا إيجابيا.

ومن المفارقة، على الرغم من محاولات خوجا إعلان نفسه من أتباع ستالين المخلصين، فإن ستالين، كاتبا بخصوص مرتد آخر، هو الذي قيَّم بإيجاز الأخطاء الأساسية لخوجا في مسألة الثورة الصينية:

"إن الخطأ الأساسي الذي يرتكبه تروتسكي (وبالتالي المعارضة) هو أنه يستخف بالثورة الزراعية في الصين، ولا يفهم طابعها الديمقراطي البرجوازي، وينكر وجود الشروط المسبقة الضرورية لحركة

[10]. خوجا، مرجع سابق، (المرجع الأصلي، ص. 48 ـ 49. المرجع الفرنسي، ص. 184.)

زراعية في الصين، تضم عدة ملايين من الفلاحين، ويقلل من دور الفلاحين في الثورة الصينية" [11]

على عكس احتجاجات خوجا، فإن ماو هو بالضبط من وضح العلاقة بين المرحلة الديمقراطية البرجوازية والمرحلة الاشتراكية. بداية، أغنى ماو الأطروحة الأساسية للينين القائلة بأن الثورات الديمقراطية البرجوازية للبلدان التابعة والمستعمرات في عصر الإمبريالية والثورة البروليتارية الجديدة (بمعنى منذ ثورة أكتوبر بروسيا سنة 1917)، لم تعد جزءا من الثورة البرجوازية القديمة، وإنما تنتمي إلى الثورة البروليتارية العالمية الجديدة.

أصر ماو مرارا وتكرارا على أن البورجوازية الوطنية في الصين وفي بلدان شبيهة بالصين، لا تستطيع قيادة الثورة الديمقراطية البرجوازية إلى النصر، وأن هذه البرجوازية تتعرض للإساءة من طرف الإمبريالية، وأحيانا في تناقض معها، وتنضم من وقت لآخر إلى النضال الثوري، ولكن بالضبط، بسبب الضعف والقصور السياسي والاقتصادي لهذه الطبقة، وبسبب العلاقات التي لا زالت تربطها ببعض الفئات المهمة (الكمبرادورية) من البرجوازية وبملكية الأرض، فإن هذه الطبقة ستتميز دائما وفي أفضل الأحوال بالتذبذب، وستستسلم أحيانا لقوى الإمبريالية وللرجعية المحلية.

لهذا السبب، فقيادة الشعب، وفي مقدمتهم الفلاحون، لإنجاز الثورة الديمقراطية البرجوازية، أصبحت مهمة *البروليتاريا*. في الواقع، أوضح ماو أنه بالضبط لأن الثورة الصينية كانت بقيادة البروليتاريا وطليعتها، الحزب الشيوعي، فهي بذلك ثورة ديمقراطية جديدة (وليست القديمة)، وأن هذه الثورة لا تؤدي إلى "إقامة مجتمع رأسمالي ودولة ديكتاتورية بورجوازية"، بل "تعمل في الواقع على فتح طريق أوسع لتطور الاشتراكية" [12]

يضيف ماو شارحا:

[11] . ستالين، "الثورة في الصين ومهمات الأممية الشيوعية"، الأعمال، المجلد التاسع (موسكو 1954)، ص. 297.

[12] . ماو، "الديمقراطية الجديدة"، مرجع سابق، ص. 368.

المرحلة الأولى من الثورة الصينية (المرحلة تنقسم هي نفسها إلى عدة أطوار وسيطة) هي، بطابعها الاجتماعي، ثورة ديمقراطية برجوازية من نوع جديد، فهي ليست بعد ثورة اشتراكية بروليتارية، ومع ذلك، فهي منذ وقت طويل جزء من الثورة الاشتراكية البروليتارية العالمية، بل وتشكل فيها الآن جزءا هاما، وهي بالنسبة لها حليف كبير.

إن الفترة الأولى أو المرحلة الأولى من هذه الثورة، هي ليست بالتأكيد، ولا يمكن أن تكون تشييد مجتمع رأسمالي للديكتاتورية البرجوازية، بل يجب أن تنتهي ببناء مجتمع ديمقراطي جديد يخضع للديكتاتورية المشتركة لجميع الطبقات الثورية الصينية، وعلى رأسها البروليتاريا الصينية، ثم ننتقل بالثورة إلى المرحلة الثانية، وهي بناء المجتمع الاشتراكي في الصين. هذه هي الخاصية الأساسية للثورة الصينية الحالية، والسيرورة الثورية الجديدة خلال العشرين سنة الماضية (اعتبارا من حركة 4 ماي 1919) والمحتوى الحي والملموس لهذه الثورة. [13]

يؤكد ماو باستمرار على الصلة الحقيقية بين الثورة الديمقراطية البرجوازية والثورة الاشتراكية: تحقيق الثورة الديمقراطية وحده فقط، بمعنى هزيمة الإمبريالية والإقطاعية، يمهد الطريق للثورة الاشتراكية، وهذه الأخيرة لا يمكن إنجازها بدون وجود هذه الشروط. كما أكد أيضا، بأن قيادة البروليتاريا والحزب، هي التي تجعل من الممكن استمرار الثورة وانتقالها لما بعد المرحلة الديمقراطية، إلى المرحلة الاشتراكية.

نظرا لأن خوجا غير قادر على فهم (أو يتظاهر بعدم فهم) الطابع الطبقي للمرحلة الأولى من الثورة الصينية، فليس من المستغرب أنه يهاجم أيضا الخط العسكري لماو تسي تونغ ـ حرب الشعب ـ الذي كان قائما بالتحديد على فهم سديد لظروف الثورة الصينية.

إليكم ما قاله خوجا في هذا الصدد، في وصفته التي يقترحها للثورة في جميع البلدان:

[13] . نفس المرجع، ص. 371 . 372.

"وفق الظروف الملموسة لبلد والوضع بشكل عام، يمكن أن تكون الانتفاضة المسلحة انفجارا مفاجئا أو عملية ثورية طويلة، ولكنها ليست لا نهائية وبدون أفق ملموس، كما تدعي "نظرية الحرب الشعبية الطويلة" لماو تسي تونغ. إذا قارنا تعاليم ماركس، إنجلز، لينين وستالين بشأن الانتفاضة الثورية المسلحة، مع نظرية ماو حول "الحرب الشعبية"، فإن الطابع المناهض للماركسية ولليننية وللعلم لهذه النظرية يبدو واضحا. تعاليم الماركسية . اللينينية حول الانتفاضة المسلحة تستند على الارتباط الوثيق بين النضال في المدن والنضال في القرى، تحت قيادة الطبقة العاملة وحزبها الثوري.

إن النظرية الماوية، التي تعارض الدور القيادي للبروليتاريا في الثورة، تعتبر الريف الأساس الوحيد للانتفاضة المسلحة، وتتجاهل الكفاح المسلح للجماهير العاملة في المدن. إنها تدعو إلى أن يحاصر الريف المدينة، التي تعتبر معقلا للبورجوازية المعادية للثورة. هذا تعبير عن انعدام الثقة في الطبقة العاملة، وإنكار لدورها المهيمن." [14]

مثير للاهتمام حقا! هذا المقطع لخوجا يجعل احتجاجاته (المذكورة أعلاه) أكثر وضوحا، بسبب أن ماو أكد أن ثورة الديمقراطية الجديدة قد تتطلب "فترة طويلة".

من الواضح أن ادعاء خوجا بأن ماو طالب بحرب لا نهاية لها، و"بلا أفق ملموس"، هو أمر سخيف. لقد دعا ماو بوضوح شديد إلى أن الحرب نفسها (أو بالأحرى في حالة الصين، سلسلة من ثلاث فترات متميزة من الحرب: الفترة الأولى ضد الكيومنتانغ، الثانية ضد اليابان، الثالثة من جديد ضد الكيومنتانغ) تمثل الشكل الأساسي لاستمرار الثورة حتى تحقيق أهدافها الأولى المتمثلة تحديدا في طرد الإمبريالية من البلد، وحل المسألة الزراعية. لا يمكننا أن نجد "أفقا ملموسا" أكثر!

في نقد خوجا للحرب الشعبية ينكشف بوضوح التمركز الشديد للجوهر اليميني ل "يسراويته". نود أن نسأل خوجا:

[14] . خوجا، مرجع سابق، ص. 65. (مرجع النص الفرنسي، ص. 247 . 248).

أي طريق كان يجب أن تتبعها الثورة الصينية بعد هزيمة ثورة 1924 ـ 1927؟ بمعنى، عندما انتصرت الثورة المضادة في المدن والشيوعيون يُذبحون؟ على ما يبدو كان من الصحيح إنشاء قواعد ارتكاز ريفية، بشرط ألا تفقد "أفقها الملموس"، وهو ما يعني انتصارا سريعا (في غضون سنوات قليلة) على القوى الرجعية. كان هذا الخط، في الواقع، خط وانغ مينغ الذي توقع نصرا فوريا وانهيارا للعدو، وأمر الجيش الأحمر بشن هجوم مستمر. إن هذه السياسة أدت إلى انتكاسة كبيرة للثورة الصينية، وإلى فقدان جميع قواعد الدعم في جنوب الصين، ومن تم ضرورة الشروع في المسيرة الطويلة.

إذا استمعنا إلى خوجا، يجب أن يستنتج أنه من الخطأ الانخراط في الكفاح المسلح طالما ليس هناك نصر فوري في الأفق، وأن الحفاظ على السلطة السياسية الحمراء في الريف، في حالة انعدام إمكانية الاستيلاء على المدن بسرعة، هو تخل عن الطبقة العاملة وفقدان الثقة في دورها المهيمن.

هذه طريقة تفكير ميكانيكية حقا، تصل إلى "مرتفعات" لم يتم بلوغها من قبل. لأنه على الرغم من أن الانتهازيين خلال الثورة الصينية (خاصة التروتسكيين) قدموا حججا مماثلة، كان وانغ مينغ الذي يشتغل من مكانه الآمن البعيد في موسكو، هو الوحيد الذي كرر مثل هذه المغالطات لفترة طويلة بعد أن أتبث التاريخ خطأه.

كان خوجا يفضل أن يرى حل الجيش الأحمر من طرف الحزب الشيوعي الصيني، أو إذا فشل ذلك، فعلى هذا الأخير وببساطة أن يهاجم المدن بشكل متهور وانتحاري، بينما الظروف لا تسمح بالنصر على الصعيد الوطني، وهذا ما كان سيؤدي أيضا إلى حل الجيش الأحمر. هل يعتقد خوجا جديا، أن "هيمنة البروليتاريا" كان من الممكن أن تتحقق بشكل أفضل لو لم تكن قواعد الارتكاز الريفية موجودة، فإذا كان الحزب الشيوعي، الذي تعرض لضربات الإرهاب الأبيض، قد تقلص إلى قوى مبعثرة تقوم بعمل قانوني وغير قانوني بالمدن؟ هل صحيح أن وضعا مثل هذا، كان من شأنه أن يسرع من تطور اندلاع انتفاضة جديدة في الصين؟ أو ليست سياسة ماو المتمثلة في بناء وتطوير قواعد الارتكاز الثورية، هي التي ساعدت في نهاية المطاف، على التحضير في خضم النضال، لإمكانية الاستيلاء على المدن؟

لا يسعنا إلا أن يُسأل خوجا أيضا: أين يوجد في كتابات ماركس وإنجلز ولينين وستالين، خط محدد يتعلق بالطريقة التي يجب اتباعها للاستيلاء على السلطة بقوة السلاح في بلد مثل الصين؟ بالطبع، لا توجد مثل هذه الوصفة، لأن قادة البروليتاريا العظام، على عكس خوجا، لم يشرعوا في التكهن بأحداث افتراضية لم تحدث بعد. علما أنه قبل الثورة في الصين، لم تكن هناك ثورة بقيادة الطبقة العاملة في بلد مثل هذا البلد. أليس من السخافة حقا نصحنا بمقارنة كتابات ماو بالكتابات العسكرية للقادة الماركسيين ـ اللينينيين الذين سبقوه لاكتشاف أخطاء ماو؟ في الواقع، إذا أجرينا مثل هذه المقارنة، نجد أن ماو، متجاوزا حتى المعلمين العظام الذين سبقوه، لم يحلل فقط سيرورة الحرب الثورية في الصين، بل قدم أيضا إسهامات ثمينة للخط الماركسي في الشؤون العسكرية بشكل عام. [15] هذه الحقيقة ليست مفاجئة، لأن ماو كانت لديه خبرة أكثر بكثير من أسلافه في ممارسة الحرب الثورية. كما يجب تذكير خوجا أيضا بالتصريح الذي أدلى به ستالين حول هذا الموضوع في سنة 1926؛ حيث قال: **"الثورة المسلحة في الصين تحارب جيش الثورة المضادة المسلحة. هذه خصوصية فضلا عن أنها ميزة للثورة الصينية ".**[16]

إن الدوغمائية التحريفية تمنع خوجا من فهم سديد للعلاقة بين السياسة والحرب. لأنه حسب منظوره، فالأضداد لا يمكن أن يتحول أحدها إلى الآخر (وهو موضوع سنتناوله في الصفحات التالية)، إنه لا يستطيع أن يفهم أن الحرب الثورية نفسها كانت في الصين هي الأسلوب الرئيسي للقيام بعمل سياسي واسع النطاق بين الجماهير. لقد أوضح ماو جيدا هذا الأمر من خلال تقييم أهمية المسيرة الطويلة:

[15]. انظر الجزء الثاني من سلسلة المساهمات الخالدة لماو تسي تونغ، بعنوان "الحرب الثورية والخط العسكري". تم نشر هذا المقال في مجلة "Revolution" في يونيو 1978، وتم نشر السلسلة منذ ذلك الحين في شكل كتاب (RCP Publications، Chicago، 1979).

[16]. ستالين، "آفاق الثورة الصينية" الأعمال الكاملة، المجلد الثامن، ص. 379.

"إن المسيرة الطويلة هي أول مسيرة من نوعها في مجرى التاريخ ... فهي ... بيان، وأداة دعاية وآلة بذر...إن المسيرة الطويلة بيان، إذ أنها أعلنت للعالم أجمع أن الجيش الأحمر هو جيش من الأبطال، وأن الإمبرياليين وخدامهم . تشيانغ كاي شيك وأمثاله . هم عاجزون لا ينفعون لشيء ... إن المسيرة الطويلة هي أيضا أداة للدعاية، لقد أوضحت لحوالي مائتي مليون من سكان الإحدى عشر مقاطعة أن طريق الجيش الأحمر هو الطريق الوحيد للتحرير. بدون هذه المسيرة الطويلة، كيف يمكن لهذه الجماهير الغفيرة، أنت تعلم بهذه السرعة وجود الحقيقة العظمى التي يجسدها الجيش الأحمر؟ إن المسيرة الطويلة هي أيضا آلة بذر، إذ أنها زرعت بذورا كثيرة في الإحدى عشر مقاطعة، وهي سوف تنبث وتورق وتزهر وتثمر، وتعطي حصادا في المستقبل ... ومن الذي قادها إلى النصر؟ إنه الحزب الشيوعي. بدونه لما كان من الممكن تصور القيام بهذه المسيرة الكبرى." [17]

نرى إذن، أن الحرب الثورية لم تكن مجرد مسألة عسكرية، بل كانت الشكل الرئيسي للصراع الطبقي بالصين. أولئك الذين أصروا على أن الثورة يجب أن تتم على غرار نموذج الثورة الروسية (ثورة تتميز بفترة طويلة من التحضير اتخذ فيها النضال بشكل رئيسي شكلا سياسيا وليس عسكريا، يليها تمرد وحرب أهلية)، كانوا سيحكمون على الطبقة العاملة وكذلك الشعب الصيني بعدم القيام بأي ثورة على الإطلاق.

يدعي خوجا أن خط ماو بأكمله الداعي إلى تطويق المدن انطلاقا من الريف يعني التخلي عن هيمنة البروليتاريا. والحقيقة، أن عدم شن النضال المسلح في الريف، سيعني بالضبط التخلي عن هيمنة البروليتاريا في الثورة، وتحديدا على مئات الملايين من الفلاحين الصينيين.

---

[17]. ماو، "حول تكتيك مناهضة الإمبريالية اليابانية"، الأعمال الكاملة، المجلد الأول، ص. 160 في المرجع الأصلي (في مرجع النص الفرنسي ص. 177.).

هيمنة البروليتاريا تعني قبل كل شيء، قيادة حزبها السياسي الطليعي، الحزب الشيوعي. هذا لا يعني بالضرورة القول بأن البروليتاريا هي القوة الرئيسية في الثورة (خوجا نفسه مجبر على الاعتراف بهذا). إن قيادة البروليتاريا تعني حشد الجماهير المضطهدة تحت راية الطبقة العاملة وبرنامجها للثورة. في الظروف الملموسة للصين، هذا المبدأ يقتضي من البروليتاريا، عن طريق حزبها، التموضع في الصفوف الأمامية للنضال ضد الإمبريالية والإقطاعية، بينما هي في نفس الوقت تبني القوة السياسية المستقلة لحزبها الشيوعي الذي وحده يمكنه قيادة الثورة حتى النصر، ومن تم إلى الاشتراكية. من هذا المنظور، فإن عدم الشروع في الحرب في الريف، يعني أن البروليتاريا لم تكن لتتولى قيادة الفلاحين، وبالتالي ستضيع إمكانية القيام بالثورة.

لماذا لم يكن بإمكان الثورة الانتصار بداية في المدن، لتمتد بعد ذلك بالريف، كما في حالة الثورة الروسية على سبيل المثال؟ لأنه لم يكن فقط اعتبار (كما يصفها خوجا) المدن قلاعا للبرجوازية المضادة للثورة، بل هي كانت بالفعل كذلك.

لقد كانت قوات العدو ممركزة في المدن، بالإضافة إلى أن القوات الإمبريالية كان بإمكانها الوصول بسرعة للمدن، وهو ما يمكنها من تقديم المساعدة الأكثر فعالية للقوى الرجعية الصينية. والطبقة العاملة هي الأخرى كانت ممركزة في المدن، لكنها لم تكن قوية بما فيه الكفاية، ولم تكن الظروف مواتية لها لقيادة الانتفاضات والاستيلاء على السلطة السياسية. في الواقع، لقد حاول العمال فعلا القيام بمثل هذه الانتفاضات، وانتهت بإغراقها في الدماء.

ولإجراء تشبيه، يمكننا النظر إلى الوضع العالمي في كليته. فقد اعتقد ماركس وانجلز (وشكل هذا "مبدأ" مقبولا في الماركسية) أن الثورة ستحدث أولا في بلدان أوربا الغربية، البلدان التي بلغت أعلى مستوى من التطور الرأسمالي. وكان فقط أن طور لينين، في فترة ثورة أكتوبر، أطروحة أن الثورة ستحدث أولا في البلدان التي تشكل الحلقة الضعيفة في السلسلة الإمبريالية. اتُهم لينين من طرف "الماركسي الأرثودوكسي" كاوتسكي بالتخلي عن البروليتاريا لاعتقاده (لينين)بأن الثورة البروليتارية يمكن في الواقع أن تحدث في المجتمع الروسي الذي لا زال ذو أغلبية فلاحية. بالطبع،

أثبتت ثورة أكتوبر أن أطروحة لينين كانت صحيحة. والأمر نفسه بالصين، ليس فقط لأن التناقض الرئيسي الذي يجب حله لإنجاز الثورة الديمقراطية (المسألة الزراعية) كان يتركز في الريف، بل وأيضا هناك كانت قوة الرجعيين أكثر ضعفا، وحيث يمكن للبروليتاريا قيادة الجماهير الشعبية وتأسيس السلطة السياسية والحفاظ عليها.

يحاول خوجا أن يجعل الأمر يبدو كما لو أن ماو يعلن تطويق المدن انطلاقا من الريف كاستراتيجية للانتصار في جميع البلدان. بل على العكس تماما: ماو أوضح أن نموذج ثورة أكتوبر، الانتفاضة في المدن، سيكون الطريق إلى السلطة في البلدان الإمبريالية. وعلاوة على ذلك، لم يقل ماو أبدا أن النضال الثوري لجميع البلدان التبعية والمستعمرة سيتطور على نفس الطريق كما في الصين. ففي البداية، كان يعتقد أن الصين هي البلد الوحيد التي سيؤدي فيها هذا الطريق إلى النصر، لأسباب عديدة حللها بتفصيل، مثل حقيقة أن الصين لم تكن مستعمرة بل شبه مستعمرة حيث مختلف القوى الإمبريالية المتنازعة تتنافس لأجل إخضاعها، وأن أراضي الصين الشاسعة كانت مواتية لمناورات القوى الثورية. ومع ذلك، فمن خلال تطور النضال الثوري، خصوصا في آسيا، ثبت بشكل قاطع أن خط ماو للحرب الشعبية، وتطويق المدن انطلاقا من الريف، وما إلى ذلك، ينطبق على العديد من البلدان الأخرى خارج الصين. رغم أن الطريق إلى السلطة لن يكون هو نفسه تماما في بلدين مختلفين، فمن الواضح على سبيل المثال، أن الكفاح المسلح في فيتنام قد تطور بشكل أساسي وفق المبادئ التي صيغت للمرة الأولى من طرف ماو.

على الرغم من أنه من المؤكد أن طريق الحرب الشعبية، المتميزة بتطويق المدن انطلاقا من الريف، لن تكون الطريق الكوني لجميع بلدان آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية، إلا أنه من المؤكد أيضا أنه على هذه الطريق انخرطت العديد من هذه الشعوب، والذي سوف يكون طريق النصر لكثير من هذه البلدان، إن لم يكن لمعظمها. إن معارضة من حيث المبدأ لخط ماو في الحرب الشعبية، هي معارضة الثورة في البلدان المضطهدة.

يعلن خوجا أن:

"لا تستطيع طبقة الفلاحين، البرجوازية الصغيرة، قيادة البروليتاريا في الثورة. التفكير وإعلان العكس، هو تعارض مع الماركسية ـ اللينينية. هنا تكمن إحدى المصادر الرئيسية لآراء ماو تسي تونغ المناهضة للماركسية، والتي كان لها تأثير سيء على الثورة الصينية بأكملها." [18]

بالطبع، لا يستطيع خوجا أن يقدم أي دليل على ادعائه بأن ماو كان يدعو إلى قيادة الطبقة العاملة من طرف الفلاحين. في الواقع، توضح أعمال ماو كلها بصورة جلية وجهة نظر معاكسة لذلك تماما، وقد تكررت وجهة النظر هذه حرفيا عشرات المرات في أعماله. كل ما يمكن أن يدعيه خوجا هو أنه منذ أن أوضح ماو أن عمل الحزب يجب أن يتركز في الريف، لأنه أدرك أن المسألة الزراعية تمثل التناقض الداخلي الرئيسي الذي يجب حله عبر الثورة الديمقراطية، فهذا يدل عند خوجا على أن ماو دعا إلى قيادة العمال من طرف الفلاحين.

ماو كان محقا تماما عندما قال أنه:

"في الصين شبه المستعمرة، لن تفشل الثورة إلا إذا حرم نضال الفلاحين من قيادة العمال، ولن تتضرر الثورة لِما أصبح عليه الفلاحون خلال نضالهم، أقوى من العمال".[19]

إن القول بأن "قيادة" البروليتاريا تتطلب التخلي عن نضال الفلاحين أو خنقه، إلى أن تحدث انتفاضة للحركة العمالية، هو خيانة للثورة.

في الواقع، خاض ماو صراعا مريرا لضمان ممارسة الإيديولوجية البروليتارية - الماركسية ـ اللينينية - هيمنتها في الحزب، لقد ناضل بدون توقف ضد جميع أنواع الانحرافات، البرجوازية والبرجوازية الصغيرة، التي تجلت في صفوف الحزب خلال مرحلتي الثورة، حيث قام بتحليل

[18]. خوجا، مرجع سابق، ص. 115. (مرجع النص الفرنسي، ص 445.).

[19]. ماو، "رب شرارة أحرقت سهلا"، الأعمال المختارة، المجلد 1، ص. 123. في النص الفرنسي، ص. 135. (يعرض ماو ويؤيد رسالة من لجنة الجبهة إلى اللجنة المركزية).

الانحرافات المختلفة، وأبرز أسسها الطبقية في المجتمع (تحليل يبدو أن خوجا، كما سنرى لاحقا، غير قادر تماما على القيام به فيما يتعلق بالصراع الطبقي في ظل الاشتراكية)، وتصديه للانحراف البرجوازي الصغير الفعلي وسط الحزب الشيوعي الصيني (الذي يمثله بشكل خاص وانغ مينغ، بطل خوجا الواضح). لقد أبدى ماو ملاحظات مهمة للغاية في مناقشتنا لوجهة نظر خوجا، وهذا المقطع يستحق ذكره بالكامل:

"أولا: طريقة التفكير. بشكل عام، يتجلى أسلوب التفكير البرجوازي الصغير بشكل أساسي في الذاتية والأحادية عند التعاطي مع مشكلة ما، أي أنها (البورجوازية الصغيرة) لا تنطلق من منظور موضوعي وشامل لميزان القوى الطبقية، ولكنها تأخذ رغباتها وانطباعاتها الذاتية وأفكارها المجردة على أنها الواقع الفعلي، تأخذ جانبا واحدا على أنه كل الجوانب، وجزءا على أنه الكل، والشجرة على أنها الغابة. ونظرا لكونهم منفصلين عن عملية الإنتاج الفعلية، فإن المثقفين البورجوازيين الصغار لا يملكون سوى المعرفة التي يكتسبونها من الكتب، ويفتقرون إلى المعرفة العملية، وهكذا فطريقة تفكيرهم هي مناسبة للتعبير عن نفسها في الدوغمائية التي نوقشت أعلاه. والبرجوازيون الصغار المرتبطون بالإنتاج، على الرغم من امتلاكهم لبعض المعرفة الإدراكية، فهم يعانون من القيود التي تميز الإنتاج الصغير ـ ضيق، عدم الانضباط، العزلة والمحافظة (conservatism) ـ وهكذا فإن أسلوب تفكيرهم هو مناسب للتعبير عن نفسه في التجريبية التي نوقشت أعلاه.

ثانياً: النزعة السياسية. تميل البرجوازية الصغيرة سياسيا إلى التأرجح بين "اليسار" واليمين، بسبب أسلوب حياتها وما يترتب عن ذلك من أسلوب تفكيرها الذاتي والأحادي الجانب. يتوق العديد من الثوريين البورجوازيين الصغار إلى انتصار فوري للثورة من أجل إحداث تغيير جذري في وضعهم الحالي. لذلك يعوزهم الصبر الضروري للجهود الثورية المطولة، فهم مهتمون بشدة بالعبارات والشعارات الثورية "اليسارية"، ويميلون في مشاعرهم وأفعالهم، إلى أن يصبحوا طائفيين أو مغامرين. لقد أدى هذا الاتجاه البرجوازي الصغير،

الذي انعكس في الحزب، إلى ظهور أخطاء مختلفة لخط "اليسار" في المسائل التي نوقشت أعلاه، لا سيما في المهام الثورية، ومناطق القواعد الثورية، والتوجيه التكتيكي والخط العسكري.

ولكن نفس الثوريين البرجوازيين الصغار، أو قسم آخر من الثوريين البورجوازيين الصغار، عندما يوضعون في ظروف مختلفة، يصبحون متشائمين ويائسين، ويعبرون عن مشاعر وآراء يمينية، تتعقب البرجوازية (في تبعية للبرجوازية).

كانت حركة تشن تو هسيوي (Chen Tu-hsiu-ism ـ أي خط شن تو سيو) في الفترة الأخيرة من ثورة 1924-1927، وتشانغ كيو طاو (Chang Kuo-t'aoism أي خط شانغ كيو تاو، أو طاو) في الفترة الأخيرة من الثورة الزراعية، والفرار في الفترة المبكرة من المسيرة الطويلة، كلها انعكاسات داخل الحزب لمثل هذه الإيديولوجية البرجوازية الصغيرة اليمينية التافهة.

وخلال حرب المقاومة ضد اليابان ظهرت من جديد الأفكار الاستسلامية ... تكشف إيديولوجية البرجوازية الصغيرة جانبها السيئ تحت وطأة الظروف المتغيرة في تأرجحها بين "اليسار" واليمين، وميلها نحو التطرف، والبهرجة من دون جوهر والانتهازية الماكرة، هي كلها انعكاسات في المجال الإيديولوجي للوضع الاقتصادي غير المستقر للبرجوازية الصغيرة." [20]

[20]. المؤلفات المختارة، المجلد 3 (بكين، 1965)، ص. 215-217. ("قرارات بشأن بعض الأسئلة المتعلقة بتاريخ حزبنا"؛ نُشر هذا المقال كملحق لمقال ماو "دراستنا والوضع الحالي" - في النسخة التي نُشرت باللغة الإنجليزية عام 1965). (إضافة المترجم: في هذا المقطع، وبعد كلمة "الاستسلامية..."، يجد القارئ نقذ الحذف، وهي تعوض الفقرة التالية: "بشكل عام، فالأخطاء "اليسارية" قد تنتج بشكل أكبر في الفترات التي يكون فيها انفصال بين البرجوازية والبروليتاريا (على سبيل المثال، سيطرة الخط "اليساري" على قيادة الحزب بما لا يقل عن ثلاث مرات خلال فترة الثورة الزراعية)، بينما الأخطاء اليمينية فتكون إمكانية حدوثها أكثر في الفترات التي يوجد فيها تحالف بين البرجوازية والبروليتاريا (على سبيل المثال، في الفترة الأخيرة من ثورة 1924-1927 وفي الفترة الأولى من حرب المقاومة ضد اليابان). لكن سواء كانت "يسارية" أو يمينية، فإن هذه الاتجاهات لا تفيد الثورة، بل تنفع فقط الثورة المضادة".)

وهكذا، نرى في هذا المقطع أن ماو، كان مدركا تماما لمشكلة الانحرافات عن الماركسية ـ اللينينية داخل الحزب، وأنه (ماو) كشف أساسها الطبقي بوضوح. على سبيل المثال، وفي مقطع آخر من النص المقتبس أعلاه، يعالج (ماو) مسألة الأشخاص الذين ينحدرون من أصل برجوازي صغير والذين "انضموا إلى الحزب على المستوى التنظيمي، ولكن ليس على المستوى الإيديولوجي ولا بشكل أساسي، وهم غالبا ما يكونون لبراليين، إصلاحيين، فوضويين، بلانكيين متنكرين في مظهر الماركسيين ـ اللينينيين، لذلك هم غير قادرين على أن يقودوا إلى الانتصار، ليس فقط الحركة الشيوعية في صين الغد، ولكن حتى الحركة الديمقراطية الجديدة اليوم". وشدد (ماو) على ضرورة "تثقيفهم والنضال ضدهم بطريقة جادة وصحيحة وصبورة"، وإلا فإن هؤلاء الأشخاص سيحاولون "تشكيل خصائص الحزب، وخصائص طليعة البروليتاريا، على صورتهم الخاصة والاستيلاء على قيادة الحزب ..." [21]

إن المشكلة التي تناولها ماو هنا، كانت بالطبع مشكلة خطيرة للغاية على المدى البعيد للحزب الشيوعي الصيني، وهي مشكلة ساهمت إلى حد كبير في انقلاب 1976، والاستيلاء على الحزب من طرف المسؤولين المنخرطين في الطريق الرأسمالي. من الواضح أن ماو قد أدرك هذه المشكلة في وقت مبكر جدا، وأنه بذل جهودا جدية لإيجاد الوسائل من أجل الحفاظ على الطابع البروليتاري للحزب.

إنه خوجا، وليس ماو، هو من يصوغ خطا بورجوازيا صغيرا وليس خطا بروليتاريا فيما يتعلق بالثورة الصينية. إنه بالضبط الخط الذي لخصه ماو في النص أعلاه، الخط الذي يدعو، في الممارسة العملية، إلى نصر سريع وتقدم غير مدروس في فترة معينة من النضال، وعندما لا يفتح هذا على الفور "أفقا ملموسا" للانتصار، فإنه يدعو الشيوعيين إذن إلى التخلي عن قيادة الفلاحين، وأن يركزوا عملهم في المدن، وأن ينتظروا (بمعنى آخر أن يستسلموا!) إلى حين أن تسنح ظروف "أكثر ملائمة".

[21]. نفس المرجع.

ماو، الكومنترن، اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية وستالين

في إطار جهوده لتصوير ماو على أنه وطني ضيق وشوفيني صيني، حاول خوجا إثبات أن ماو خالف توجيهات الكومنترن بشأن الخط الأساسي للثورة الصينية، وأنه لم يعتبر الاتحاد السوفياتي "الوطن الأم للبروليتاريا العالمية"، وأنه تجرأ على انتقاد ستالين. تتسم وجهة نظر خوجا بخصوص هذه المسألة بخليط من المفاهيم الخاطئة (وهو أمر معتاد ونموذجي بالنسبة له كما سنرى لاحقا) وبأنصاف الحقائق والأكاذيب الفظيعة.

ومع ذلك، فحقيقة الأمر تتجلى مرة أخرى لأي شخص درس أعمال ماو، وهي أن ماو والحزب الشيوعي الصيني لم يتوقفوا عن دعم الاتحاد السوفياتي وستالين باستمرار. لقد أشار ماو مرارا وتكرارا إلى أن الاتحاد السوفياتي يمثل وطن البروليتاريا العالمية، وقد قام بتكوين الشيوعيين والشعب الصيني وفقا لهذه الروح. هذه الحقيقة لا جدال فيها. لقد فهم ماو الأهمية الحاسمة لثورة أكتوبر ووجود دولة اشتراكية قوية مثل الاتحاد السوفياتي من أجل التغيير الجذري للطابع السياسي للعالم بأكمله. أعلن ماو أن "دوي مدافع ثورة أكتوبر حمل لنا الماركسية ـ اللينينية". وبالتأكيد لا يمكن القول إن نصوصا مثل ما يلي تمثل استخفافا بأهمية دور الاتحاد السوفياتي في نجاح الثورة الصينية:

"إذا كانت الصين تريد الاستقلال فإنها لا تستطيع بتاتا الاستغناء عن مساعدة بلد الاشتراكية والبروليتارية العالمية. وهذا يعني أنها لا تستطيع الاستغناء عن مساعدة الاتحاد السوفياتي، ولا عن المساعدة التي تقدمها إليها البروليتاريا اليابانية والإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية وغيرها من البروليتاريا الذين يناضلون ضد الرأسمالية في بلدانهم. وعلى الرغم من أنه لا يمكن الجزم بأن انتصار الثورة الصينية هو مستحيل قبل انتصار الثورة في اليابان وإنجلترا والولايات المتحدة وفرنسا وإيطاليا وألمانيا، أو في بلد أو بلدين منهما، فمن المؤكد مع ذلك أنه من غير الممكن بدون مساهمة بروليتاريا هذه البلدان، وعلى وجه الخصوص المساعدة السوفياتية ضرورية لنصر الصين النهائي

في حرب المقاومة، رفضها يعني الحكم على الثورة بالهزيمة." [22]

فيما يتعلق بستالين والكومنترن، وافق ماو في الواقع على الخط الأساسي للثورة الصينية الذي حدده ستالين. لقد رأينا ذلك بالفعل، فيما يتعلق بالمسائل الأساسية للثورة الصينية (على وجه التحديد: الدور الرئيسي للفلاحين والثورة الزراعية، الطابع الديمقراطي البرجوازي للثورة، حقيقة أن الثورة المسلحة واجهت مباشرة جيش الثورة المضادة المسلحة.)، إن خوجا، وليس ماو، هو الذي انحرف عن المبادئ الأساسية التي صاغها ستالين.

ما أصر عليه ماو، هو أن الثورة الصينية لا يمكن أن تكون إعادة إنتاج مطابقة ونسخة كربونية للثورة الروسية، على الرغم من إصرار بعض العقائديين، علاوة على أن المهمة بقيت تتمثل في دمج الماركسية ـ اللينينية بالظروف الملموسة للثورة الصينية. بالإضافة إلى هذا، فمن الواضح جدا أن ستالين، وخاصة ممثلو الكومنترن في الصين، ارتكبوا أخطاء كثيرة وخطيرة فيما يتعلق بالثورة الصينية، عندما حاولوا بشكل خاص وضع خطة محددة وتحديد اتجاه الثورة الصينية.

نجد أمثلة عديدة على هذا، خلال ثورة 1924-1927، لعب ممثلو الكومنترن في الصين (وخاصة بورودين) دورا سيئا للغاية في الثورة، حيث دعموا خط "الوحدة قبل كل شيء" مع الكيومنتانغ و تشيانغ كاي شيك. ولاحقا، أعلن ماو أن " بورودين كان يمينيا متشددا أكثر بقليل من تشن تو سيو، وكان مستعدا لفعل أي شيء لإرضاء البرجوازية، حتى لنزع سلاح العمال، وهو الأمر الذي أمر به في النهاية " [23]

على الرغم من أن بورودين كان على يمين المواقف الرسمية للكومنترن، إلا أن هذه الحقيقة لوحدها لا تشكل أساس أخطائه، ف "تشيانغ كاي شيك" على سبيل المثال، تم تعيينه كعضو فخري في اللجنة التنفيذية للكومنترن، وهو المنصب الذي شغله حتى عام 1927، أي حتى بعد انكشاف طبيعته. بالإضافة إلى ذلك، كانت لدى ستالين آمال غير

[22]. ماو، "الديمقراطية الجديدة"، ص. 335. (مرجع النص الفرنسي، ص. 380.).

[23] . نقلاً عن هان سوين (Han Suyin)، "طوفان الصباح": ماو تسي تونغ والثورة الصينية، 1893-1954 (بوسطن، 1972)، ص. 114.

واقعية فيما يتعلق بحكومة حزب الكومينتانغ في ووهان (التي أخطأً في اعتبارها بأنها برجوازية صغيرة)، وقدَّر أن هذه الحكومة ستحافظ على التحالف مع الشيوعيين عندما تخلى تشيانغ كاي شيك عن الثورة.

من الواضح جدا أن الكومنترن قدم للحزب الصيني نصائح سيئة، وهو ما اعترف به الجميع، باستثناء إنفير خوجا. ففي عام 1939، قال بورودين نفسه ل "أنا لويز سترونغ" (Anna-Louise Strong): "**لقد كنت مخطئا، لم أستوعب الثورة الصينية ... لقد ارتكبت الكثير من الأخطاء**". [24]

حتى بعد انطلاق مذبحة الآلاف من الشيوعيين والعمال، أمرت القيادة الانتهازية اليمينية بدعم من بورودين وممثلين آخرين للكومنترن، بنزع سلاح العمال، وحاولت إيقاف حركة الفلاحين، أملا منها في ارضاء ما يسمى بـ "الجناح اليساري" لحزب الكيومينتانغ، وهذا على الرغم من معارضة ماو.

لقد ارتكب ستالين، الذي رأيناه يتخذ خطا صحيحا بشكل عام فيما يتعلق بالدور الرئيسي لتعبئة الفلاحين، خطأ فادحا عندما أرسل في أكتوبر 1926برقية (تلغراما) إلى شنغهاي يعلن فيها أنه إلى حين الاستيلاء على هذه المدينة، لا ينبغي تكثيف الحركة الفلاحية، وأصر على استخدام "الحذر وضبط النفس". ولاحقا، اعترف ستالين بأنه كان مخطئا في إرسال تلك البرقية، مشيرا إلى أنه "لم يعتبر أبدا، ولا يعتبر حاليا أن الكومنترن معصوما من الخطأ" [25]

بعد عدة أسابيع، ألغى ستالين البرقية، وفي نونبر أكد قرار الكومنترن بشكل صحيح على ضرورة تعبئة الفلاحين. إلا أن البرقية لعبت دورا ضارا للغاية، حيث مُنِحت هيبة الحزب الشيوعي للاتحاد السوفياتي (CPSU) والكومنترن إلى الخط اليميني مدفوعا من طرف شن تو سيو و بورودين.

---

[24] المرجع السابق، ص. 156.
[25]. ستالين، "الوضع الدولي والدفاع عن الاتحاد السوفياتي"، الأعمال الكاملة، المجلد العاشر، ص. 18.

أدلى ستالين بإعلان هام بشأن العلاقة بين الكومنترن والثورة الصينية، وهو الإعلان الذي يساعد أيضا على توضيح أطروحات خوجا الخاطئة:

"على الرغم من التقدم الإيديولوجي لحزبنا، فإننا للأسف ما زلنا نجد هناك من يسمون بـ "القادة" الذين يعتقدون بصدق أن الثورة في الصين يمكن توجيهها، إذا جاز التعبير، عن طريق البرقية (التلغراف)، على أساس المبادئ العامة المقبولة عالميا من طرف الكومنترن، بدون أي مراعاة للخصوصيات الوطنية للصين، واقتصادها، ونظامها السياسي، وثقافتها، وآدابها، وعاداتها، وتقاليدها. ما يميز في الواقع هؤلاء "القادة" عن القادة الحقيقيين، هو أن لديهم دائما في جيوبهم صيغتان أو ثلاث صيغ جاهزة، "تناسب" جميع البلدان، وتكون "إلزامية" في جميع الظروف. فلا وجود بالنسبة لهم لضرورة مراعاة الخصوصيات الوطنية والسمات الخاصة الوطنية لكل بلد ... إنهم لا يفهمون أن المهمة الرئيسية للقيادة، الآن بعد أن تطورت الأحزاب الشيوعية وأصبحت أحزابا جماهيرية، هي اكتشاف والقبض على السمات الوطنية الخاصة للحركة في كل بلد، وربطها بمهارة بالمبادئ العامة للكومنترن، من أجل تسهيل وتحقيق الأهداف الأساسية للحركة الشيوعية. فمن هنا جاءت محاولات لوضع صورة نمطية للقيادة في جميع البلدان، ومن هنا جاءت المحاولات الميكانيكية لغرس بعض الصيغ العامة من دون إيلاء أي اعتبار للظروف الملموسة للحركة في بلدان مختلفة. لذلك نجد صراعات لا نهاية لها بين هذه الصيغ والحركة الثورية لمختلف البلدان، كنتيجة أساسية لقيادة هؤلاء القادة الزائفين." [26]

لنقارن إعلان ستالين والخلطة العجيبة النموذجية لخوجا:

"خلال هذه الفترة [منذ عام 1935 - J.W. (ج. وارنر)]، أطلق ماو تسي تونغ وأنصاره حملة "نظرية" تحت شعار النضال ضد "الدوغمائية" و

[26]. ستالين، "ملاحظات في مواضيع راهنة"، الأعمال، المجلد التاسع، ص 338 - 339.

"الأنماط الجاهزة" و "الصور النمطية الأجنبية"، إلخ ... وأثار مشكلة تطوير ماركسية وطنية، نافيا الطابع الكوني للماركسية ـ اللينينية. وبدلا من الماركسية ـ اللينينية، دعا إلى "الطريقة الصينية" في معالجة المشاكل، والأسلوب الصيني " ... نشيط وحيوي، جذاب لآذان وعيون الشعب الصيني"، وبهذه الطريقة نشر الأطروحة التحريفية التي بموجبها يجب أن تحتوي الماركسية في كل بلد على محتوى خاص محدد" [27]

قبل إعادة وضع النص الصحيح لماو الذي أخذ منه خوجا "مقطعه"، تجدر الإشارة إلى أن خوجا يرفض تماما ضرورة النضال ضد الدوغمائية التي دعا إليها ستالين، إنه يسخر ببساطة من فكرة أن "الصورة النمطية الأجنبية" و "الأنماط الجاهزة" يمكن أن تشكل مشكلة للحزب أو للحركة الثورية. هدفه واضح: وهو أنه يريد فرض الخط النمطي للحزب الألباني على الحركة الشيوعية العالمية بأكملها. أما بالنسبة للاتهام القائل بأن ماو نفى "الطابع الكوني للماركسية ـ اللينينية"، فلندع ماو مرة أخرى يتحدث عن نفسه، ونعيد مرة أخرى نشر الفقرة ذاتها التي اختار خوجا "مقطعه" منها (بالإضافة إلى الفقرة التي تسبقها):

"إن نظرية ماركس وإنجلز ولينين وستالين لها قيمة كونية. فلا يجوز اعتبار نظريتهم عقيدة جامدة، بل اعتبارها دليلا للعمل. ولا يجوز الاكتفاء بتعلم المصطلحات والصيغ فقط، بل يجب دراسة الماركسية ـ اللينينية كعلم للثورة. كما أنه لا يجوز الاكتفاء بفهم القوانين العامة التي استمدها ماركس وإنجلز ولينين وستالين بناء على دراستهم المكثفة للحياة الفعلية وللتجارب الثورية، بل من الضروري أيضا دراسة الموقف والطريقة التي اتبعوها في النظر إلى القضايا وحلها. لقد حقق التكوين الماركسي ـ اللينيني اليوم تقدما داخل حزبنا، إلا أنه لا يزال بعيدا عن الانتشار الواسع النطاق وعن التقدم الكافي. إن مهمتنا هي قيادة أمة عظيمة من تعداد المئات من الملايين لخوض صراع كبير وغير مسبوق. لهذا فإن الدراسة المعممة والمعمقة للنظرية الماركسية ـ

[27]. خوجا، مرجع سابق، ص. 108. (مرجع النص الفرنسي، ص. 416 ـ 417).

اللينينية تمثل بالنسبة لنا مهمة عظيمة يجب إنجازها بشكل عاجل، والتي لا يمكن تحقيقها إلا من خلال جهود جادة ومركزة...

. . . كونهم ماركسيين، فإن الشيوعيين أمميون، ولكن لا يمكننا وضع الماركسية موضع التطبيق إلا عندما تندمج مع السمات الخاصة لبلدنا، وتكتسب شكلا وطنيا محددا. إن القوة العظيمة للماركسية ـ اللينينية تكمن بالتحديد في اندماجها مع الممارسة الثورية الملموسة لجميع البلدان. هذا يعني بالنسبة للحزب الشيوعي الصيني أنه من الضروري معرفة كيفية تطبيق الماركسية ـ اللينينية على الظروف الملموسة للصين. وإذا عمد الشيوعيون الصينيون، وهم جزء من أمتنا العظيمة ومن لحمها ودمها، التحدث عن الماركسية بمعزل عن خصائص الصين، فلن تكون سوى ماركسية مجردة، ماركسية في فراغ. ومن ثم فإن السؤال الذي يجب على الحزب بأكمله أن يفهمه ويحله بشكل عاجل، هو تطبيق الماركسية بشكل ملموس في الصين، بحيث تعكس في جميع الظروف السمات الخاصة لبلدنا، بعبارة أخرى، يتعلق الأمر بتطبيقها في ضوء الخصائص المحددة للصين. يجب أن نضع حدا لأسلوب الصور النمطية الأجنبية، وقضاء وقت أقل في الثرثرة الفارغة حول مفاهيم مجردة، والتخلص من الدوغمائية، لإفساح المجال للأسلوب الصيني المليء بالحيوية والنشاط، جذابا لآذان وعيون عامة الشعب الصيني. إن فصل المحتوى الأممي عن الشكل الوطني هو طريقة الأشخاص الذين لا يفهمون شيئا عن الأممية. بالنسبة لنا، يجب أن نربط الإثنين معا بشكل وثيق، ويجب تصحيح الأخطاء الفادحة الموجودة حول هذه المسألة في صفوفنا بعناية." [28]

[28]. ماو، "دور الحزب الشيوعي الصيني في الحرب الوطنية"، الأعمال المختارة، المجلد الثاني، ص. 208 ـ 210. (مرجع النص الفرنسي، ص. 224-226).

هكذا يمكننا أن نرى الخداع المثير للاشمئزاز الذي يسعى خوجا إلى ارتكابه، وكذلك حقيقة أنه هو نفسه لا يفهم شيئا عن هذه المسألة.

يؤكد ماو أن الماركسية ـ اللينينية قابلة للتطبيق عالميا، لأنها يمكن ويجب أن تطبق على الظروف الملموسة لكل بلد. من الواضح أن هذا ليس اكتشافا جديدا لماو، ولكنه مبدأ أساسي للماركسية، على الرغم من أنه مبدأ لم يجد طريقه إلى تفكير خوجا.

لنطرح المسألة بشكل مختلف، أي أن التحليلات، وكذلك الإستراتيجية والتكتيكات التي طورها ماركس وإنجلز ولينين وستالين، أو ماو في هذا الصدد، والتي صاغوها خلال ممارساتهم الثورية، يمكن ببساطة فرضها على أي ظرف من الظروف، إن هذا هو حقا "نفي" للسيرورة الحقيقية لدمج الماركسية في الحركة الثورية، فضلا عن أنها تصفية شاملة للمادية الديالكتيكية. إن هذا الأسلوب لا يمكن إلا أن يؤدي إلى هزيمة الحزب البروليتاري وإلى التخلي عن القيادة البروليتارية للثورة.

يكشف لنا هذا الهجوم التافه أيضا، أن خوجا يحاول عمدا تشويه ما يقوله ماو. إنه يريدنا أن نعتقد أن ماو كان ينشر "**الأطروحة التحريفية التي بموجبها يجب أن يكون للماركسية محتوى محدد خاص بكل بلد**". في مقابل ذلك، يؤكد ماو بوضوح شديد أن محتوى الماركسية والأممية يكتسب "**شكلًا وطنيا**" محددا. هل خوجا غير قادر على فهم الفرق بين المحتوى والشكل، أم أنه ببساطة يختار الكذب من أجل الخلط بين الأشياء؟

ماو، ستالين وخروتشوف

لسوء الحظ، فالنصائح السيئة للكومنترن بشأن الثورة الصينية عام 1927 لم تنته عند هذا الحد. لقد أشرنا بالفعل إلى أن خط وانغ مينغ، الذي يدافع عنه خوجا بعناد بعد أن ثبت خطأه منذ فترة طويلة، كان مدعوما بدرجات متفاوتة

من طرف الكومنترن، وربما أيضا من ستالين. ومنذ عام 1935، خلال الحرب ضد اليابان، طرح وانغ مينغ عموما خطا استسلاميا، وحظي مرة أخرى بدعم الكومنترن في القيام بذلك. حيث دعا وانغ مينغ إلى **"حكومة موحدة للدفاع الوطني"** في معارضة مباشرة لدعوة ماو **"لجمهورية شعبية" وجبهة موحدة ضد اليابان**. في ذلك الوقت، دعم وانغ مينغ شرط تشيانغ كاي شيك للوحدة مع الشيوعيين: وهو منح تشيانغ كاي شيك السيطرة على الجيش الأحمر، وبطبيعة الحال، حارب ماو بشدة مثل هذا الاستسلام، وتمكن من منعه.

ظهر هذا الاتجاه نفسه بشكل أكثر حدة في سنة 1945، بعد هزيمة اليابان. في ذلك الوقت، كان ستالين يقاتل بضراوة لحمل الحزب الشيوعي الصيني على التخلي عن أي فكرة لإكمال الثورة الديمقراطية البرجوازية في المستقبل القريب، وبدلاً من ذلك، عليه أن يسعى إلى الحصول على دور قانوني في جمهورية برجوازية تحت قيادة تشيانغ كاي شيك. بالنظر إلى الوضع بعد هزيمة اليابان، دخل ماو بشكل صحيح في مفاوضات مع تشيانغ، لكنه في الوقت نفسه أكد بوضوح أن أي حكومة ائتلافية يجب أن تقوم على أساس استمرار استقلالية الحزب الشيوعي وقواعد الارتكاز والجيش الأحمر.

في سنة 1945، أطلق ماو تصريحه الشهير: **"بدون جيش شعبي، لا يملك الشعب شيئا"**، كرد مباشر على أولئك الذين كانوا سيحلون الجيش الشعبي من خلال الاندماج الكامل دون قيد أو شرط في حكومة تشيانغ. وتجدر الإشارة إلى أن هذه السياسة التي أريد فرضها على الحزب الصيني، مثلت الخط الذي اتبعته في ذلك الوقت العديد من الأحزاب في أوروبا الغربية (على سبيل المثال في فرنسا وإيطاليا واليونان). وكانت النتيجة ضياع أي إمكانية مباشرة لإحداث ثورة في هذه البلدان. وفي عام 1946، هبت عاصفة التحريفية بكامل قوتها في العديد من الأحزاب الشيوعية عبر العالم، بذريعة اتباع نموذج الاتحاد السوفياتي الذي كان يقوم بتسويات مع القوى الإمبريالية الرئيسية التي تحالف معها خلال الحرب، فقدم ماو ملاحظة بارزة في هذا الصدد:

"مثل هذه التسويات لا تتطلب من شعوب البلدان المختلفة في العالم الرأسمالي بأن تحذو حذوها وتقوم بالتالي بتسويات في بلدانها. ستواصل شعوب

هذه البلدان في خوض نضالات مختلفة في ظل ظروف مختلفة. إن المبدأ الذي تتبعه القوى الرجعية إزاء القوى الديمقراطية الشعبية هو التدمير الحازم لكل القوى الديمقراطية التي تستطيع القضاء عليها، والاستعداد لتدمير فيما بعد كل ما لا تستطيع تدميره في الوقت الحالي. أمام هذا الوضع، يجب على القوى الديمقراطية الشعبية أن تطبق نفس المبدأ إزاء القوى الرجعية." [29]

والبقية هي من التاريخ. قاد ماو الحزب في الحرب الأهلية ضد تشيانغ كاي شيك (أو بشكل أكثر دقة في حرب التحرير ضد الإمبريالية الأمريكية وعملائها المحليين الذين يمثلهم تشيانغ)، والتي أدت إلى الانتصار على الصعيد الوطني في سنة 1949. شكك ستالين حتى النهاية في إمكانية قيام الحزب الشيوعي بالاستيلاء على السلطة، لذلك استمر في الحفاظ على العلاقات (وحتى منح الإعانات العسكرية) مع حكومة تشيانغ كما لو كانت هذه الأخيرة ستستمر لفترة طويلة. لكن ستالين، على عكس خوجا، اعترف بسرعة بالخطأ الذي ارتكبه في الاستهانة بقوة الثورة الصينية وبإمكانية تحقيقها الانتصار على النظام الرجعي لحزب الكومينتانغ، وأكد بصراحة أنه سعيد بأن الأحداث أثبتت خطأه.

خلافا لاتهام خوجا بأن ماو "يلقي باللوم على الكومنترن وممثليه بالصين" عن الهزائم والانحرافات وسط الحزب [30] ، حمل في الواقع ماو المسؤولية لأولئك "الشيوعيين" الصينيين الذين أصروا بأي ثمن أن يتبعوا الآخرين بشكل أعمى، والذين حاولوا استخدام دعمهم من طرف السوفيات كرأسمال، من أجل الترويج للخطوط الخاطئة. إنه من المفيد مرة أخرى مقارنة المقتطف الذي اختاره خوجا بنص ماو.

يعيد خوجا جملة ماو مشيرا إلى أن ستالين ارتكب **"عددا من الأخطاء بشأن الصين، و [إن] كان أصل مغامرات وانغ مينغ "اليسارية" مع قرب نهاية الحرب الأهلية الثورية الثانية،**

[29]. ماو، "بعض التقدير حول الوضع الدولي الراهن"، المؤلفات المختارة، المجلد 4 (بكين، 1969)، ص. 87-88

[30]. خوجا، مرجع سابق، ص. 120. (مرجع النص الفرنسي، ص 465.).

وانتهازية وانغ مينغ اليمينية مع بدء حرب المقاومة ضد اليابان " [31]**.**

حسب خوجا، فإن هذه المقولة، إلى جانب حجج ماو الأخرى، تشكل

> **"هجوما على ستالين، بهدف الحط من قدر عمله وسلطته، وبغية رفع سلطة ماو تسي تونغ إلى مرتبة زعيم ذو مكانة عالمية، و (واحد) من كلاسيكيات الماركسية ـ اللينينية، يزعم أنه اتبع دائما خطا سليما ومعصوما (من الخطأ)!"** [32]

لكن في الواقع، فإن المقولات التي اختارها خوجا لا تشكل على الإطلاق محاولة "للحط" من عمل ستالين، بل على العكس تماما، إنها مأخوذة من نص يدافع فيه ماو عن ستالين ضد هجوم التحريفيين الخروتشوفيين. ها هي الفقرة بأكملها التي اقتطعها خوجا بطريقته الانتقائية الخاصة:

> **"إن الذين رفعوا ستالين أمس إلى علو عشرة آلاف ذراع في الاتحاد السوفياتي، رموا به اليوم إلى حضيض تسعة آلاف ذراع تحت الأرض. وفي بلادنا أناس يحذون حذوهم. فاللجنة المركزية ترى أن من بين كل عشرة من أعمال ستالين ثلاثة أخطاء وسبعة إنجازات، فهو يظل إجمالا ماركسيا عظيما. وبناء على هذا التقييم أعددنا مقال "حول التجارب التاريخية لديكتاتورية البروليتاريا". إن هذا التقييم، ثلاثة مقابل سبعة، مناسب. لقد ارتكب ستالين أخطاء في حق الصين، فمغامرة وانغ مينغ "اليسارية" في أواخر مرحلة الحرب الأهلية الثورية الثانية وانتهازية وانغ مينغ اليمينية في أوائل حرب المقاومة ضد اليابان كلتاهما ترجع إلى ستالين. ثم في مرحلة حرب التحرير لم يسمح لنا ستالين في البداية بالثورة معتقدا بأن الأمة الصينية ستتعرض لخطر الدمار إن قامت حرب أهلية. ولما قامت الحرب كان ينظر إلينا نظرة بين الشك واليقين. وعندما انتصرنا في الحرب كان ستالين يرتاب في أن انتصارنا انتصار تيتوي. وفي عامي 1949 و1950 كانت ضغوطه علينا بالفعل شديدة. ومع ذلك كله فإننا نضع ثلاث**

[31]. خوجا، مرجع سابق، ص. 119 (مرجع النص الفرنسي، ص. 462.).

[32]. نفس المرجع، ص. 46.

درجات لأخطائه وسبع درجات لإنجازاته، وهذا إنصاف." [33]

هناك العديد من الأشياء الجديرة بالملاحظة في هذا النص. أولا، تم كتابته في أبريل من سنة 1956، بعد بضعة أشهر فقط من "خطاب خروتشوف السري" الذي أدان فيه ستالين، وفي وقت لم يكن فيه الحزب الألباني، بما في ذلك خوجا، قد شهد بَعْدُ تحريفية خروتشوف. ثانيا، عند الإشارة إلى أخطاء ستالين في الثورة الصينية، لم يكشف ماو عن أي شيء لم يكن معروفا فعلا في الصين. ما أراد ماو تأكيده هو أنه علينا دعم ستالين باعتباره "ماركسياً عظيما" على الرغم من أخطاءه. وهنا كان ينتقد أولئك الذين يتبعون تحريفية خروتشوف المسعورة والهستيرية.

من المثير للاهتمام أن نلاحظ أن خوجا في كتابه، لم يجرؤ على تكرار الكذبة التي نجدها في بعض تصريحاته في السنوات العديدة الماضية (أذاعتها بعض الطوائف التي تتبعه)، والتي حسبها أن الحزب الألباني أخذ المبادرة لإطلاق النضال ضد التحريفية المعاصرة. مثل هذا الادعاء يتعارض كليا مع الحقائق المستندة إلى البيانات العامة. ومع ذلك، يحاول خوجا تمرير هذه الكذبة بطريقة مخادعة والتسلل من الباب الخلفي بالقول: أن الحزب الصيني والحزب الألباني قد طورا روابط وثيقة **"خاصة عندما دخل الحزب الشيوعي الصيني أيضا في صراع مفتوح مع التحريفيين الخروتشوفيين"** [34].

إن البيان التالي، الذي أدلى به ماو في نونبر 1956، يعرض بوضوح موقف ماو تجاه ستالين وتجاه التحريفية الخروتشوفية:

"أود أن أقول بضع كلمات حول المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي للاتحاد السوفياتي. في رأيي، هناك "سيفان": أحدهما لينين، والآخر هو ستالين. سيف ستالين رفضه الروس الآن. جومولكا (Gomulka) وبعض الأشخاص من المجر التقطوها لطعن الاتحاد السوفياتي، ولمحاربة ما يسمى بالستالينية. تنتقد الأحزاب الشيوعية في العديد من البلدان الأوروبية الاتحاد السوفياتي، وزعيمها هو توجلياتي

[33]. ماو، "حول العلاقات العشر الرئيسية""، المؤلفات المختارة، المجلد. 5 (بكين، 1975)، ص. 304 (مرجع النص الفرنسي، بكين 1977، ص. 328).

[34]. خوجا، مرجع سابق، ص. 105 (مرجع النص الفرنسي، ص. 406.).

(Togliatti). يستخدم الإمبرياليون أيضا هذا السيف لقتل الناس. دوليس (Dulles) على سبيل المثال، لوح بها لبعض الوقت. هذا السيف لم يتم إعارته، بل تم إلقاؤه. نحن الصينيين لم نلقي بها جانبا: أولا، ندافع عن ستالين، وثانيا، ننتقد أخطائه في نفس الوقت، ولهذا كتبنا مقالة "حول التجربة التاريخية لديكتاتورية البروليتاريا". لذلك، وعلى عكس بعض الأشخاص الذين حاولوا تشويه سمعة ستالين وتدميره، فإننا نتصرف وفقا للواقع الموضوعي. أما بالنسبة لسيف لينين، ألم يتم نبذه أيضا إلى حد ما من طرف بعض القادة السوفيات؟ في رأيي، تم التخلص منه إلى حد كبير. هل ثورة أكتوبر ما زالت قائمة؟ هل يمكن أن تظل نموذجا لدول مختلفة؟ يقول تقرير خروتشوف في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي للاتحاد السوفياتي، أنه من الممكن الوصول إلى السلطة من خلال الطريق البرلماني، وهذا يعني أنه لم تعد هناك حاجة بالنسبة للدول الأخرى إلى أن تتعلم أو أن تتبع نموذج ثورة أكتوبر. فبمجرد فتح هذه البوابة، يتم التخلص من اللينينية عمليا." [35]

وهكذا يمكننا أن نرى بوضوح أن ماو قد فهم جوهر مسألة ستالين وجوهر التحريفية الخروتشوفية، في وقت كان فيه الحزب الألباني، وباعترافه بنفسه، **"لم يكن يعرف جيدا بعد"** طبيعة شخصية خروتشوف، و **"لم يكن بعد مقتنعا تماما"** بتحريفية خروتشوف [36].

نسعى عبثا في الأعمال المختارة لخوجا، بحثا عن أي إشارة تعود إلى فترة أواخر الخمسينيات من القرن الماضي، والتي قد تكشف عن فهم مشابه أو مقارب لفهم ماو لما كان يحدث بالاتحاد السوفياتي. لكن كل ما يمكن العثور عليه هو فقط الاعتراف بأنه بعد المؤتمر العشرين، استغل الإمبرياليون وغيرهم (مثل اليوغوسلافيين) هجوم خروتشوف على ستالين لشن هجوم على الاشتراكية. يشكو

[35]. "خطاب في الجلسة العامة الثانية للجنة المركزية الثامنة للحزب الشيوعي الصيني"، المؤلفات المختارة، المجلد. 5، ص. 341. (مرجع النص الفرنسي، ص. 369).

[36]. تاريخ حزب العمل الألباني، ص. 414؛ إنفير خوجا، الأعمال المختارة، المجلد. 2 (تيرانا، 1975)، ص. 484، ملاحظة الناشر. (مرجع النص الفرنسي، ص. 508.).

خوجا أيضا من أن الاتحاد السوفياتي لم يعد يُظهر ما يكفي من الحزم تجاه يوغوسلافيا [37]. وحتى هنا، بينما كان من الصحيح بالطبع مهاجمة تحريفية تيتو الصارخة، فإن اهتمامات خوجا غالبا ما تشبه الوطنية الضيقة أكثر من الأممية البروليتارية. وهو يعترف بأنه يخشى على سبيل المثال، أن "يوغوسلافيا ... سيحضرون بعد ذلك قواتهم للتدخل بحجة إنقاذ الاشتراكية في ألبانيا." [38] هذا لا يعني أن هذا الخوف لم يكن له ما يبرره، على العكس من ذلك، كان هناك ما يدعو للقلق حيال ذلك، لكن المهم أن نصوص هذه الفترة، النصوص التي اختارت قيادة الحزب الألباني طبعها، لا تُظهر أي محاولة من طرف خوجا لتحليل الخط العام الصادر عن المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي. ومع ذلك، يوجد في الواقع نص واحد على الأقل من طرف خوجا حول هذا الموضوع، تمت الإشارة إليه في ملاحظات أعماله المختارة، على الرغم من أن هذا النص لم تتم طباعته هناك، إنه خطاب ألقي "**في الاجتماع الرسمي الذي تم تنظيمه بمناسبة الذكرى الخامسة عشرة لتأسيس حزب العمل الألباني، في 8 نونبر 1956**" [39]. ويبدو أنه نفس نص، أو على الأقل الأساسي منه، "مقال" كتبه الرفيق إنفير خوجا تحت عنوان "**حزب العمل الألباني 15 عاما** "، **ونشر في جريدة "برافدا" في 8 نونبر 1956** [40]، والذي كما يشير خوجا إلى ذلك، أنه "**نُشر بالكامل وبدون أي تعديل في" البرافدا** " [41]. في الواقع، ليس من المفاجئ أن الحزب الألباني فضل عدم إعادة نشر هذا الخطاب، لأنه أثناء مهاجمته يوغوسلافيا والتيتوية، فإنه يعطي دعما غير مشروط تقريبا للمؤتمر العشرين! [42] بالطبع، هذا لا يعني أنه يجب على كل شخص إما فهم كل قضية سياسية على الفور وبشكل شامل، وإما وصفه بالمرتد. بدلاً من ذلك، فإن السؤال بالأحرى هو: كيف

[37]. انظر على سبيل المثال، خوجا، المرجع نفسه، الصفحات 626، 638، 676. (مرجع النص الفرنسي، الصفحات 659، 673، 713).
[38]. نفس المرجع، ص. 637. (مرجع النص الفرنسي، ص. 672).
[39]. نفس المرجع، ص. 623. ملاحظة الناشر. (مرجع النص الفرنسي، ص. 657)
[40]. نفس المرجع، ص. 624. ملاحظة الناشر. (مرجع النص الفرنسي، ص. 658).
[41]. خوجا، نفس المرجع، ص. 624. (مرجع النص الفرنسي، ص. 658)
[42]. "حزب العمل الألباني يبلغ من العمر 15 عاما"، برافدا، 8 نوفمبر 1956، ص. 3.

يمكن أن يتباهى خوجا بكونه السيد العظيم والموقر في النضال ضد التحريفية السوفياتية، عندما يكون هناك دليل على أنه متذبذب، وأن لديه فهما محدودا للغاية للوضع في الاتحاد السوفياتي، وفيما يتعلق بالاستيلاء على السلطة من طرف التحريفيين السوفيات، فقد ثبت أنه غير قادر على صياغة تحليل عميق مثل التحليل الذي صاغه الحزب الشيوعي الصيني تحت قيادة ماو.

لم يكن الأمر يتعلق بأي حال من الأحوال بمسألة انخراط الحزب الشيوعي الصيني "أيضا" *! في صراع مفتوح مع التحريفية السوفياتية، لأنه في النهاية، كان الحزب الشيوعي الصيني (تحت قيادة ماو بالطبع) هو أول من فتح الصراع وانخرط في الهجوم العام على الأطروحات التحريفية التي طرحها المؤتمر العشرين، ونشر في عدد 16 أبريل 1960 من الجريدة النظرية للحزب، العلم الأحمر، مقالة "**عاشت اللينينية!**"، وواصل الحزب الصيني هذا الهجوم في اجتماع الاتحاد العالمي لنقابات العمال في بكين في يونيو 1960. وفي وقت لاحق من نفس الشهر (شهر يونيو)، اجتمع ممثلو العديد من الأحزاب الشيوعية في المؤتمر الثالث للحزب الشيوعي الروماني في بوخارست، "من أجل تحديد مكان وموعد اجتماع جميع الأحزاب، حيث سيناقشون، من بين أمور أخرى، الخلافات القائمة بين الحزب الشيوعي للاتحاد السوفياتي والحزب الشيوعي الصيني". فهذا المقتطف الأخير، الذي يوضح الغرض من هذا الاجتماع، مأخوذ من نص إنفير خوجا، وقد كتب في ذلك الوقت. ويضيف خوجا: **"لا يجب أن نصغي فقط إلى ما يقوله الرفاق السوفيات، ولكن أيضا إلى ما يقوله الصينيون، ونحن أيضا سنقول كلمتنا في المناقشة"** [43].

في وقت لاحق من ذلك العام، نونبر 1960، عقد الاجتماع في موسكو، وكان الخطاب الذي ألقاه خوجا بهذه المناسبة موجها بوضوح نحو دعم تحليل وموقف الحزب الشيوعي

*. في الطبعة التي نشرت باللغة الإنجليزية، يقول خوجا: ".. عندما كان الحزب الشيوعي الصيني، أيضا ..." وبهذه الطريقة، يريد الإيحاء جهرا بأن الصين كانت ثاني دولة تدخل هذا الصراع.

[43]. " اتخذ دائما خطا صحيحا" (مساهمة خوجا في المناقشة في اجتماع للمكتب السياسي للجنة المركزية لحزب العمل الألباني، 22 يونيو 1960) ألبانيا تتحدى تحريفية خروتشوف، ([ترجمة المجلد 19 من أعمال خوجا]، نيويورك، 1976)، ص. 2-3.

الصيني، أي دعم الرفض الصيني للأطروحات "الجديدة" للمؤتمر العشرين، كان دعم الرفض الصيني الذي قرره الألبان صحيحا وانتهوا به إلى الاتفاق. والآن، يدعي خوجا أنه كان في طليعة النضال ضد التحريفية السوفياتية، متهما ماو ب "التردد"؛ هذا الادعاء هو ببساطة سخيف ومثير للسخرية!

بناء الاشتراكية في الصين

من الصعب تقديم نقد شامل وعميق لتحليل خوجا لتطور الاشتراكية في الصين (أو غياب مثل هذا التطور)، بالنظر إلى أن هذا القسم من عمله، هو مليء بالانتقائية والهجمات الرخيصة والتزييف المتعمد. ويبدو أن أطروحته الأساسية هي أن "الثورة الصينية ظلت ثورة ديمقراطية بورجوازية ولم تتطور إلى ثورة اشتراكية"[44].

جوهر حجة خوجا هو ادعائه أن البروليتاريا تحت قيادة ماو **"تقاسمت السلطة"** مع البرجوازية الوطنية. خوجا يصرح:

> **"لا يمكن تحقيق الانتقال من الثورة الديمقراطية البرجوازية إلى الثورة الاشتراكية إلا عندما تقوم البروليتاريا بطرد البورجوازية بحزم من السلطة ومصادرتها. ما دامت الطبقة العاملة في الصين تتقاسم السلطة مع البرجوازية، واحتفظت هذه الأخيرة بامتيازاتها، فإن السلطة التي تم تأسيسها هناك، لا يمكن أن تكون سلطة البروليتاريا، وبالتالي لا يمكن أن تتحول الثورة الصينية إلى ثورة اشتراكية"**[45].

عندما نجح جيش التحرير الشعبي عام 1949 في سحق الكومينتانغ وإحراز انتصار على الصعيد الوطني، كان الأساسي في الثورة الديمقراطية قد اكتمل في معظمه. واعتبر ماو، محقا، أن جميع فئات الشعب التي ناهضت الإقطاع

[44]. خوجا، الإمبريالية والثورة، ص. 115 ـ 116. (مرجع النص الفرنسي، ص. 448).

[45]. نفس المرجع، ص. 117. (مرجع النص الفرنسي، ص. 453).

والإمبريالية، والمؤيدة لنظام اجتماعي قائم على مصالح الطبقة العاملة وتحالف العمال والفلاحين، يجب أن تتمتع بالحقوق في الدولة الجديدة.

في الظروف الملموسة للصين، كان هذا المبدأ يعني أن أقساما من البورجوازية - ولا سيما البورجوازية الوسطى أو الوطنية - التي تتناسب مع هذه المعايير، يجب أن تُدرج في الديكتاتورية الديمقراطية التي تقودها البروليتاريا، ولم تكن تلك الأُقسام من البورجوازية في ذلك الوقت على الأقل، هدفا لمثل هذه الديكتاتورية.

كان هذا التحليل متوافقا تماما مع خط ماو الأساسي - والصحيح - بشأن طبيعة الثورة الصينية، وأهدافها، والقوى المحركة لها، وحلفائها مهما كانت متذبذبة.

في الوقت نفسه (مارس 1949) وضع ماو السياسة الأساسية التي يجب أن تتبعها الحكومة الجديدة من أجل تحقيق الانتقال إلى الثورة الاشتراكية. وهذا حتى قبل أن يتحقق النصر على المستوى الوطني. أعلن ماو بوضوح أن:

"بعد القضاء على الأعداء المسلحين، سيظل هناك أعداء غير مسلحين، ومن المؤكد أنهم سيخوضون قتالا مستميتا ضدنا، فيجب علينا ألا ننظر إلى هؤلاء باستخفاف...

على من نعتمد في قيادة نضالنا في المدن؟ يعتقد بعض رفاقنا ذووا الأفكار المشوشة ألا نعتمد على الطبقة العاملة، بل على جماهير الفقراء، ويعتقد رفاق أخرون ذووا أفكار أكثر تشوشا أنه يجب علينا الاعتماد على البرجوازية.... يجب علينا أن نعتمد بكل إخلاص على الطبقة العاملة، ونتحد مع بقية الجماهير الكادحة، ونكسب المثقفين، ونجتذب إلى جانبنا أكبر عدد ممكن من أفراد البرجوازية الوطنية وممثليهم، الذين يمكنهم أن يتعاونوا معنا، أو نجعلهم يقفون موقف الحياد، حتى نتمكن من خوض صراع حازم ضد الإمبرياليين والكيومنتانغ والبرجوازية

البيروقراطية، وقهر هؤلاء الأعداء خطوة بخطوة."[46]

استندت هذه الإستراتيجية للنهوض بالثورة إلى الظروف الملموسة للصين، حيث لا تمثل فيها الصناعة الحديثة إلا ٪10 فقط من إنتاج الاقتصاد الوطني، بينما تمثل الزراعة والحرف اليدوية 90٪. أشار ماو إلى أن وجود صناعة حديثة يسمح أساسا للطبقة العاملة بقيادة الثورة ومتابعة البناء الاشتراكي، ولو أن الوضع يتطلب مشاركة البرجوازية الوطنية في الاقتصاد، بل وحتى أن تلعب دورا معينا في الدولة. أشار ماو إلى أن:

"وترتب على ذلك أن شهدت الصين طبقتين جديدتين وحزبين سياسيين جديدين، البروليتاريا والبورجوازية، الحزب البروليتاري والحزب البورجوازي. إن البروليتاريا وحزبها قد تصلب عودهما جراء اضطهادهم من طرف عدة أعداء، وأصبحا مؤهلين لقيادة ثورة الشعب الصيني، ومن يتغاضى عن هذه النقطة أو يقلل من شأنها فإنه سيرتكب أخطاء الانتهازية اليمينية." [47]

يواصل ماو قوله:

"إن صناعة الصين الحديثة ممركزة للغاية، رغم أن قيمة إنتاجها لا تشكل إلا حوالي 10 بالمائة من مجمل قيمة الإنتاج الوطني، إذ أن القسط الأكبر والأهم من الرأسمال ممركز في أيدي الإمبرياليين وخدامهم البرجوازيين البيروقراطيين الصينيين. إن مصادرة هذا القسط وتحويله إلى ملكية الجمهورية الشعبية التي تقودها البروليتاريا سوف يمكنان هذه الجمهورية من السيطرة على عصب الاقتصاد في البلاد، ويجعل من اقتصاد الدولة القطاع القيادي في الاقتصاد الوطني كله. إن هذا القطاع من الاقتصاد ذو طابع اشتراكي لا رأسمالي، ومن يتغاضى عن هذه النقطة، أو يقلل من شأنها، فإنه سيرتكب أخطاء الانتهازية اليمينية." [48]

---

[46]. "تقرير إلى الدورة العامة الثانية للجنة المركزية المنبثقة عن المؤتمر الوطني السابع للحزب الشيوعي الصيني"، الأعمال المختارة، المجلد 4، ص. 364 (مرجع النص الفرنسي، ص. 382-383.)

[47]. نفس المرجع، ص. 367. (مرجع النص الفرنسي، ص385).

[48]. نفس المرجع، ص. 367. (مرجع النص الفرنسي، ص. 386.).

إن الاتجاه الذي سعى فيه ماو لدفع الثورة إلى الأمام نحو الاشتراكية، لم يكن مجرد "**صيغة**" كما يدعي خوجا، بل كان في الواقع مبنيا على الحقائق الفعلية للصين ومدعوما بمنظور واضح لكيفية بدء عملية التحول الاشتراكي للاقتصاد. في نفس الوقت، أدرك ماو أن هذا التحول لا يمكن أن يتحقق بضربة واحدة، فلا تزال قطاعات ضخمة من الزراعة والحرف اليدوية في الاقتصاد، التي لا يزال للرأسماليين فيها دورا معينا يلعبونه، وهو ما حال دون القضاء عليهم على الفور. يعلل ماو ذلك:

> **"في هذه الفترة يجب السماح لجميع العناصر الرأسمالية في المدن والأرياف، والتي ليست ضارة بل مفيدة للاقتصاد الوطني، أن تبقى وتتطور. هذا ليس أمرا لا مفر منه فحسب، ولكنه ضروري اقتصاديا أيضا. لكن لا يمكن أن نترك الرأسمالية تبقى وتتطور في الصين كما هو الحال في البلدان الرأسمالية حيث تطغى بدون قيود. إن الرأسمالية في الصين سوف تقيد من عدة نواح، من نواحي نطاق نشاطها والسياسة الضريبية وأسعار السوق وظروف العمل.... إن سياسة تقييد الرأسمالية الخاصة سوف تصطدم حتما بمقاومة على درجات متفاوتة وفي أشكال مختلفة، وخاصة مقاومة كبار مالكي المؤسسات الخاصة، أي كبار الرأسماليين. إن التقييد ومقاومة التقييد سيكونان الشكل الرئيسي للصراع الطبقي في الدولة الديمقراطية الجديدة. [أي أثناء الانتقال إلى الاشتراكية - JW].**[49]

هذه هي السياسة التي، حسب خوجا، أعطت الأولوية لتطور الرأسمالية!

واستباقا لتساؤل القارئ عن كيفية ربط خوجا نقده لماو في السنوات الأولى للجمهورية الشعبية، مع السياسة الاقتصادية الجديدة المشهورة للينين في السنوات الأولى للجمهورية السوفياتية بعد الحرب الأهلية، يقتبس خوجا مقولة للينين، الذي قال:

> "لا يوجد أي خطر على الدولة البروليتارية طالما أن البروليتاريا متمسكة بحزم بالسلطة، وطالما أنها تحتفظ بقوة على النقل والصناعة الكبيرة" [50]

[49]. نفس المرجع. ص. 368. (مرجع النص الفرنسي، ص. 386 ـ 387.).

[50]. ذكره خوجا في الصفحة 117. (مرجع النص الفرنسي، في الصفحة 452).

خوجا يعلق إذن:

"في الصين، ليس في عام 1949 أكثر مما كان عليه في عام 1956، عندما أيد ماو تسي تونغ هذه الأطروحات، لم يكن للبروليتاريا، في الواقع، لا السلطة ولا الصناعة الكبيرة في يديها.

من ناحية أخرى، اعتبر لينين السياسة الاقتصادية الجديدة سياسة مؤقتة فرضتها الظروف الملموسة لروسيا آنذاك، التي دمرتها الحرب الأهلية الطويلة، وليس كقانون عام للبناء الاشتراكي. والحقيقة أنه بعد مرور عام على إعلان السياسة الاقتصادية الجديدة، أشار لينين إلى أن التراجع قد انتهى، وأطلق شعار يدعو إلى التحضير للهجوم على رأس المال الخاص في الاقتصاد. بينما في الصين، كان من المتوقع أن يستمر الحفاظ على الإنتاج الرأسمالي إلى أجل غير مسمى. وفقا لوجهة نظر ماو تسي تونغ، كان من المفترض أن يكون النظام الذي نشأ في الصين بعد التحرير نظاما ديمقراطيا بورجوازيا، ولن يكون الحزب الشيوعي الصيني في السلطة إلا في المظهر. هذا هو "فكر ماو تسي تونغ"." [51]

إنها خلطة خوجية نموذجية من التشويهات والأكاذيب! أولا، كانت السلطة السياسية، فضلا عن النقل والقطاعات الرئيسية للصناعة الكبرى، في أيدي البروليتاريا فور التحرير سنة 1949. ولعبت البروليتاريا والحزب الشيوعي الدور القيادي في الدولة. أما بالنسبة لادعاء خوجا بأن النقل والصناعة الكبرى لم تكونا في أيدي البروليتاريا، فمن الواضح أن خوجا يعتقد أنه إذا تخيل شيئا ما مثل هذه الأوهام ووضعه في كتابه، فسيقبله الجميع دون تمييز ... كالحقيقة. قد يكون هذا صحيحا بالنسبة ل "الأممية" الجديرة بالشفقة التي يحاول أن يشكلها حوله، لكن مثل هذه الأوهام لن يقبلها الماركسيون ـ اللينينيون الحقيقيون أبدا.

الأمر الأكثر تسلية هنا هو أن خوجا شدد على عبارة "سياسة مؤقتة مفروضة بشروط ملموسة" في روسيا، لأن الظروف في الصين كانت أقل ملاءمة بكثير للمصادرة الفورية لملكية البرجوازية بأكملها. كانت الصين، كما أشرنا من قبل، أكثر

[51]. نفس المرجع، ص. 117. (مرجع النص الفرنسي، ص. 452 ـ 453).

تخلفا بكثير من روسيا، حيث تعرضت للدمار، ليس فقط بسبب سنوات قليلة من الحرب الأهلية، ولكن أيضا بسبب ثلاثة عقود من الحرب، بالإضافة إلى الخراب، الخنق والركود الذي فرضته الإمبريالية والإقطاع. فهذه هي الظروف الملموسة التي دفعت ماو إلى تبني هذه السياسات.

أما بالنسبة لملاحظة خوجا البارعة بأن لينين لم ينظر إلى السياسة الاقتصادية الجديدة على أنها "**قانونا عاما للبناء الاشتراكي**" (كما لو كان ماو قد رآها بهذه الطريقة) وادعائه بأن ماو "**تصور أن يستمر الإنتاج الرأسمالي إلى أجل غير مسمى**"، يمكننا فقط تذكير خوجا بتعليق للينين وجهه ضد مجادل بارع مثل خوجا نفسه (أي كاوتسكي)، يقول لينين: **إن إسناد موقف خاطئ بشكل صارخ للخصم ثم دحضه، هو أسلوب أناس غير بارعين. ودعونا نضيف أنها طريقة بعيدة كل البعد** عن الماركسية!

سنتحدث بشكل كامل في الصفحات التالية عن نظرية ثورة الديمقراطية الجديدة في الصين، ومع ذلك يمكننا بالفعل أن نرى أنه حتى في المراحل الأولى لجمهورية الصين الشعبية، في الفترة التي كان لابد من التركيز فيها على تعزيز الانتصار على الإمبريالية، وعلى ملاك الأراضي، وعلى الرأسماليين الصينيين الكبار المرتبطين بهم، كان ماو يتخذ بالفعل الخطوات اللازمة لضمان أن يكون مستقبل الصين اشتراكيا وليس رأسماليا. أي أن ماو اتخذ تدابير اشتراكية محددة لضمان أن يكون العامل الرئيسي للاقتصاد هو قطاع ملكية الدولة الاشتراكي، وكان الأهم من ذلك هو النضال المرير الذي كان يخوضه ماو داخل الحزب، لتوضيح تجاه الثورة الصينية وتمهيد الطريق الضرورية لها، ولإعداد الجماهير للنضال القادم.

بالفعل في وقت مبكر من عام 1952، بدأ ماو ينتقد بشدة نظرية "القاعدة الاقتصادية المركبة"، وهو الخط الذي دافع عنه وروج له ليو تشاو تشي (Liu Shao-chi)، والذي بموجبه سيكون اقتصاد الصين مزيجا متناغما من الصناعة الاشتراكية، والصناعة الخاصة والاقتصاد الفلاحي.

بينما أشار ماو بشكل صحيح، إلى أنه لا يمكن التخلص من جميع عناصر الرأسمالية في المدينة والريف دفعة واحدة، وأن بعضها سيستمر لفترة طويلة نسبيا، حيث أوضح أن الانتقال إلى المجتمع الاشتراكي قد بدأ، وأن محاولة "تعزيز"

نظام الديمقراطية الجديدة من شأنه أن يزج الصين في الطريق الرأسمالي. على مستوى النظرية، عبر ماو عن هذه الحقيقة في إعلانه الصادر في يونيو 1952:

"مع الإطاحة بطبقة ملاك الأراضي والطبقة البيروقراطية الرأسمالية، أصبح التناقض بين الطبقة العاملة والبورجوازية الوطنية هو التناقض الرئيسي في الصين، لذلك لا ينبغي بعد الآن تعريف البرجوازية الوطنية على أنها طبقة وسطى"[52]

وهكذا أشار ماو بوضوح إلى أن البرجوازية الوطنية كانت هدفا للثورة الاشتراكية. هل يعني ذلك إذن، أنه يمكن مصادرة كل الممتلكات البرجوازية على الفور، أو أنه يمكن تجريد البرجوازية من حقوقها السياسية بضربة واحدة؟ بالطبع لا، لأن واقع الاقتصاد الصيني ما زال يتطلب مشاركة أقسام معينة من البورجوازية فيه، وحشد الجماهير وكسبها لمواصلة الثورة الاشتراكية إلى أبعد من ذلك، وإطلاق العنان لحركة الفلاحين الفقراء وخاصة الأقل فقرا من أجل تحقيق الزراعة الجماعية، كما يجب على معظم المثقفين أيضا، الذين كانوا إلى حد كبير مرتبطين بالبرجوازية الوطنية، أن ينضموا إلى خدمة البروليتاريا.

مرة أخرى، تعد كلمات ماو أكثر إفادة للقارئ من التوصيف الذي يقوم به خوجا:

"يجد البعض أن الفترة الانتقالية طويلة جدا، ويظهرون نفاذ صبرهم، إنهم على وشك الوقوع في خطأ الانحراف "اليساري". وآخرون، على العكس، راوحوا مكانهم منذ انتصار الثورة الديمقراطية. لم يفهموا أن طابع الثورة قد تغير، واستمروا في ممارسة "ديمقراطيتهم الجديدة" بدلا من التعامل مع التحول الاشتراكي، وهؤلاء على وشك الوقوع في خطأ الانحراف اليميني...

"ترسيخ نظام المجتمع الديمقراطي الجديد بحزم." هذه الصيغة ضارة. خلال الفترة الانتقالية، هناك تغييرات تحدث باستمرار، وتظهر العوامل

[52]. ماو، "التناقض بين الطبقة العاملة والبرجوازية هو التناقض الأساسي في الصين" المؤلفات المختارة، المجلد. 5، ص. 77. (مرجع النص الفرنسي، ص. 80).

الاشتراكية كل يوم، فكيف يمكننا إذن "ترسيخ نظام المجتمع الديمقراطي الجديد"؟

إن الفترة الانتقالية مليئة بالتناقضات والصراعات. إن نضالنا الثوري الحالي هو أعمق حتى من النضال الثوري المسلح القديم. إنها ثورة ستدفن بشكل نهائي النظام الرأسمالي وجميع أنظمة الاستغلال الأخرى. إن فكرة "ترسيخ نظام المجتمع الديمقراطي الجديد" تتعارض مع واقع النضال، إنها تعيق تطور القضية الاشتراكية.

"الانتقال من الديمقراطية الجديدة نحو الاشتراكية"، هذه صياغة غامضة، نحن فقط "نتحرك نحو الهدف ..." نحن "نتقدم" نحوه عاما بعد عام، وما زلنا نتحرك نحوه، في غضون خمسة عشر عاما هل ستظل مسألة "التوجه نحو..."؟ مجرد "التحرك نحو ..."، تعني ببساطة عدم بلوغ الهدف. تبدو هذه الصياغة مقبولة للوهلة الأولى، ولكن عند التمحيص الدقيق، ندرك أنها ليست جيدة."[53]

يُظهر هذا التصريح، المكتوب في عام 1953، مدى صحة ما قاله ماو عن أن الثورة الاشتراكية قد بدأت بالفعل، وهو ما يتعارض بشكل مباشر مع توصيف خوجا لها. لذلك يمكننا أن نرى أن ادعاء خوجا بأن ماو دعا إلى إقامة "نظام بورجوازي ديمقراطي" "بعد التحرير" هو مرة أخرى نقيض الحقيقة. فبعد تحرير الصين، اعتبر ماو "نظام" الديموقراطية الجديدة بمثابة انتقال إلى الاشتراكية، وتتميز أساسا بالموقع القيادي للبروليتاريا بالتحالف مع قوى تقدمية أخرى (كما كان بالفعل وإن بشكل مختلف نوعا ما في روسيا)، وخاصة جماهير الفلاحين (المزيد حول هذا لاحقا). علاوة على ذلك، فإن أي شخص لديه أي معرفة بالثورة الصينية، يعرف جيدا أنه بين عامي 1952 و1956، قاد ماو والحزب الشيوعي الصيني صراعا شديدا وعلى مستوى هائل، نتج عنه أن الصينيين أنجزوا الأساسي من القاعدة الاقتصادية الاشتراكية.

[53]. ماو، "دحض الانحرافات اليمينية التي تحيد عن الخط العام" المرجع نفسه، ص. 93-94. (مرجع النص الفرنسي، ص. 97 ـ 98).

كان أحد الإنجازات الرئيسية لهذه الفترة، النضال الهائل الذي خيض في الريف، بهدف تحويل الملكية الخاصة للاقتصاد الفلاحي (الذي ميز مجال الزراعة) إلى نظام ملكية اشتراكية. حيث قاد ماو الفلاحين لتجاوز "فرق الدعم" البدائية التي تم إنشاؤها خلال الحرب الأهلية في قواعد الدعم بعد الانتهاء من الإصلاح الزراعي والتي انتشرت في جميع أنحاء الصين بعد الانتصار في عام 1949. احتوى "الدعم المتبادل" بداخله على عناصر من المستقبل الاشتراكي، ولكنه لم يكن كافيا لتغيير جذري في علاقات الملكية القديمة، حيث ظلت الملكية الخاصة للأرض كما هي. كافح ماو لقيادة الفلاحين من أجل إنشاء تعاونيات أكثر تطورا، وإتمام إنشاء المزارع الجماعية (collectivisation) الأساسية، ثم المرور بسرعة إلى تشكيل كومونات شعبية ضخمة، والتي تمثل الشكل الأساسي لنظام الملكية الاشتراكية في الريف، وذلك لفترة طويلة، إلى أن يتيح تطور القوى المنتجة وتعميق الوعي الاشتراكي للفلاحين قفزة يمكن من خلالها إنشاء مزارع الدولة حيث سيصبح الفلاحون عمالا بأجر.

من أجل قيادة هذه المعركة الكبرى حتى النهاية، كان على ماو أن يقاتل بضراوة ضد اليمينيين داخل الحزب الذين طالبوا بـ **"المكننة أولا، التعاونية بعد ذلك"**، حيث استشهدوا، لتعزيز أطروحتهم، بمثال الاتحاد السوفيتي (الذي لم تكتمل فيه المزارع الجماعية إلا في أوائل الثلاثينيات). أوضح ماو أن تأخير المزارع الجماعية إلى حين أن تستطيع القاعدة الاقتصادية الضعيفة للصين أن توفر الجرارات وكل ما يلزم لمكننة الزراعة، سيكون كارثة للثورة. بعد إنجاز الإصلاح الزراعي تطور الاستقطاب بين الفلاحين بسرعة، وتمكن بعض الفلاحين من العيش بشكل جيد، بينما ظل البعض الآخر فقيرا نسبيا. فأشار ماو إلى أنه إذا تم السماح لهذا الوضع بالتطور بدون قيود، فسيؤدي إلى تدمير تحالف العمال والفلاحين، وهو التحالف الذي شكل حجر الأساس للثورة الصينية خلال مرحلة الديمقراطية الجديدة، وكذلك خلال المرحلة الاشتراكية (على الرغم من أن تحالف المرحلة الاشتراكية هو على مستوى أعلى).

في المدن، تم تحويل المؤسسات الرأسمالية الصناعية الحكومية (التي، كما أشرنا سابقا، لم تشكل أبدا العامل

المهيمن في الصناعة بجمهورية الصين الشعبية)، وكذلك الشركات المختلطة، المشتركة بين الدولة والخواص، إلى ملكية اشتراكية للدولة. وتجدر الإشارة إلى أنه في كثير من الحالات حصل الملاك السابقون لهذه الشركات على فائدة ثابتة على الممتلكات التي تمت مصادرتها منهم، وهو ما يمثل في الواقع شكلا من أشكال استغلال القوى العاملة.

استندت هذه السياسة على عدة عوامل: أولا، بسبب خصوصية المرحلة الديمقراطية الطويلة نوعا ما للثورة الصينية، كان هناك العديد من أعضاء البورجوازية الوطنية الذين قبلوا ببعض التحولات. وبينما يسعى ماو إلى تصفية البرجوازية كطبقة، أدرك مزايا تكتيكية معينة في عدم اعتبار كل فرد برجوازي على أنه عدو شديد للثورة. ثانيا، كانت خبرة البورجوازية لا تزال مطلوبة وضرورية لتشغيل بعض المصانع، إلخ... وهذه السياسة لا تكاد تختلف عن سياسة لينين المعروفة والمتمثلة في "رشوة" التقنيين والمديرين من الطبقة الرأسمالية القديمة للعمل لصالح الدولة السوفياتية، وهي سياسة استمرت حتى الثلاثينيات من القرن الماضي، وكانت تمثل حلا وسطا وتسوية ضرورية[54].

إن واقع استمرار دفع الفائدة لعدة سنوات بعد التحول الاشتراكي للصناعة، استخدمه خوجا وآخرون للإصرار على أنه لم يحدث تحول اشتراكي حقيقي على الإطلاق بالصين، إن هذا الأمر يمثل تحريفا بشعا للواقع.

بمجرد أن يتم تأميم وسائل الإنتاج التي كانت في أيدي البورجوازية الوطنية، لم يعد من الممكن اعتبارها مؤسسات أو مشاريع رأسمالية، فالمصانع أصبحت إذن مملوكة للشعب بأكمله في شكل ملكية الدولة. لقد استندت مستويات الإنتاج والتخطيط على الاحتياجات الاجتماعية الشاملة كما وردت في خطط الدولة، وليس على أساس إملاءات أو متطلبات السوق، ولا على أساس الحاجة إلى الربح. لم يكن باستطاعة المالكين السابقين بيع أو نقل

[54]. انظر Red Papers رقم 7: كيف تمت استعادة الرأسمالية في الاتحاد السوفياتي وماذا يعني هذا بالنسبة للنضال العالمي (شيكاغو، 1974)، ص. 15.

ممتلكاتهم السابقة تحت أي ظرف من الظروف، ولا يمكن إعادة استثمار المبلغ الضئيل للفائدة التي تلقوها على ممتلكاتهم السابقة كرأس مال، وبالمثل، حتى في تلك المصانع التي تم فيها الاحتفاظ بالمالكين القدامى بشكل أو بآخر، من أجل ممارسة بعض الوظائف، لم تعد لديهم الكلمة الحاسمة ولم يعودوا يحددون ظروف العمل ولا قواعد العمل وما إلى ذلك... لا يمكن لفرد واحد أن يستحوذ بشكل خاص على إنتاج القوى العاملة. باختصار، لم تكن هناك علاقات رأسمالية في القطاع الصناعي.

من الواضح أن الفوائد التي يحصل عليها الرأسماليون أتت من قوة عمل الطبقة العاملة، وهي تمثل في الواقع شكلا من أشكال الاستغلال. وبالمثل، عندما يستورد بلد اشتراكي سلعا رأسمالية من البلدان الإمبريالية ويتعين عليه دفع فوائد (بشكل أو بآخر)، فإن هذا يمثل أيضا شكلا من أشكال الاستغلال الإمبريالي. ومع ذلك، فالدوغمائيين والماديين الميكانيكيين هم وحدهم من يدعون (كما يفعل خوجا) أن بلدا اشتراكيا، كبيرا كان أو صغيرا، لا يجوز له أبدا أن يسمح بالاقتراض من الدول الإمبريالية. هذا الأمر يتعارض بشكل مباشر مع سياسة لينين الذي وافق على مثل هذه الاتفاقيات عندما كانت الظروف ملائمة، وبالمثل، من المعروف أن ستالين استورد العديد من المصانع الكاملة من الشركات الغربية (بما في ذلك شركة Ford Motor Company). (إن سياسة ستالين هذه يجب انتقادها بدلا من محاكاتها، ومع ذلك، فإن ذروة النفاق هي التي يتظاهر بها خوجا، هنا كما في أي مكان آخر، بدعمه ستالين من أجل معارضة ماو، بينما يغض الطرف عن ممارسة ستالين الفعلية عندما يكون ذلك مناسبا لأهدافه. بالإضافة إلى ذلك، فيما يتعلق بالسؤال العام المطروح حول جواز اتفاقيات القروض وما شابه ذلك في ظروف معينة، فإن ستالين كان على حق، وليس خوجا).

الهدف من هذه الإشارة، هو للتأكيد على حقيقة أنه حتى عند ترسيخ علاقات الإنتاج الاشتراكية، فقد تظل هناك بقايا لعلاقات هي في الواقع رأسمالية، كحالة هذا المثال على دفع الفوائد. كانت هذه المسألة برمتها حول وجود العناصر الرأسمالية حتى داخل النظام الاشتراكي، مسألة، كما سنرى لاحقا، كرس ماو الكثير من الاهتمام الجدي لحلها. وهو أيضا

مجال خاض فيه ماو مرة أخرى صراعا طبقيا قويا ضد المستغِلين.

وكما هو معروف أيضا (على الرغم من أن خوجا يبدو أنه "نسي") أن سياسة دفع الفوائد للمالكين القدامى قد ألغيت تماما خلال الثورة الثقافية. أليس لهذا السبب يشوه القادة الصينيون الحاليون سمعة "الأربعة" (وفي الواقع ماو)، متهمين إياهم "بإساءة معاملة البرجوازية الوطنية"، ويطالبون بإعادة كل الممتلكات إلى هذه البرجوازية الوطنية؟ وإعادة دفع الفوائد؟ هذا إلى جانب الانفتاح السريع وتعريض الصين على نطاق واسع للاستغلال الإمبريالي الحقيقي!

وبطبيعة الحال، فإن هذا النوع من التحول في القاعدة الاقتصادية الذي تم تنفيذه خلال السنوات الأولى للجمهورية الشعبية لا يمكن تحقيقه دون صراع شرس في البنية الفوقية، أي في مؤسسات الدولة، في الحزب، وفي مجالات التعليم والثقافة، وفي مجال الإيديولوجيا بشكل عام. وقد ثبت صحة توقع ماو بأن "تقييد أو عدم تقييد الرأسمالية" سيكون الشكل الرئيسي للصراع الطبقي في الجمهورية الشعبية التي تم إنشاؤها حديثا. إن العديد من القوى البرجوازية التي كانت إلى جانب النظام الشعبي قد عارضته بشكل متزايد مع تعمق الثورة الاشتراكية.

وصل هذا الصراع إلى نقطة حرجة خلال السنوات 1956-59، وهي فترة حاسمة للصراع الطبقي في الصين. في ذلك الوقت، قاد ماو النضال من أجل تأسيس الكومونات الشعبية بالإضافة إلى جوانب أخرى من القفزة العظيمة إلى الأمام، بهدف تسريع الثورة الاشتراكية وبناء علاقات إنتاج اشتراكية جديدة، مع دفع الاقتصاد إلى الأمام على أساس اشتراكي. وفي هذه اللحظة بالضبط ظهرت التحريفية السوفيتية منتصرة، وهو انتصار تميز بشكل بارز من خلال ما سمي بـ "الخطاب السري" الذي ألقاه خروتشوف في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفيتي. بطبيعة الحال، لم يكن هذا الخطاب "سريا" على الإطلاق، بل على العكس من ذلك، شكل إشارة إلى التحريفيين في الأحزاب بالعالم أسره (بالتأكيد، بما في ذلك في الصين)، إشارة لإطلاق العنان لهؤلاء التحريفيين للانخراط في النضال من أجل الخط التحريفي. في الوقت ذاته، ظهر العديد من المعادين للثورة

في بعض بلدان أوروبا الشرقية، ولا سيما في المجر وبولندا، مما تسبب في فوضى تحت راية معارضة "الديكتاتورية" والمطالبة بالديمقراطية (البورجوازية). وقد انعكس هذا الوضع أيضا في الصين، لا سيما بين المثقفين البورجوازيين.

وفي هذا السياق أطلق ماو حملة "المائة زهرة" التي كان شعارها "**دع مائة زهرة تتفتح، دع مائة مدرسة فكرية تتنافس**". إلا أن خوجا، على الرغم من أنه لم يقدم أي تحليل حقيقي لهذه الحركة، يستخدم هذا الشعار للادعاء بأن ماو اقترح أنه "إلى جانب الإيديولوجية البروليتارية والمادية والإلحاد، ينبغي للمرء أيضا أن يسمح للإيديولوجية البرجوازية والمثالية والدين، ونمو "الأعشاب السامة" إلى جانب "عبق الزهور "وغيرها"[55]. لكن في الواقع، إذا ألقى المرء نظرة جادة على كتابات ماو لهذه الفترة، يمكن أن يرى بوضوح شديد، أن هدف حملة "مائة زهرة"، كان عكس ما يدعيه خوجا تماما.

كان ماو قد حلل حقيقة أنه في المجتمع الصيني لا تزال هناك طبقات متعادية (البورجوازية والبروليتاريا)، وأن الصراع بين هذه الطبقات لم يكن على وشك الزوال أو القضاء عليه بإصدار مرسوم كذا وكذا. كما أشار إلى وجود تناقضات كثيرة وسط الشعب، بما في ذلك العمال والفلاحين، وأنه إذا لم يتم التعامل معها بشكل سديد، فمن الممكن أن تتحول هذه التناقضات إلى عدائية، مؤدية بذلك بالثورة إلى الكارثة. هكذا واجه ماو بطريقة ملموسة وضعا صعبا نشأ من وجود نوعين متميزين من التناقضات: التناقضات العدائية والتناقضات غير العدائية، لم يكن نوع هذه التناقضات يستبعد الواحد منها الآخر، ولكنها في الواقع كانت مرتبطة بعضها ببعض ارتباطا وثيقا، مع إمكانية أن تتحول أيضا إلى نقيضها.

كان التناقض مع المثقفين الذين دعم معظمهم النظام الشعبي من جهة، بينما من جهة أخرى لا زالوا دون حسم واحتفظوا بإيديولوجية البورجوازية، فكان عليهم مواصلة إعادة تثقيفهم والتخلص من الإيديولوجية البورجوازية. كان هذا التناقض في الأساس غير عدائي، وبالتالي كان لا بد من حله من خلال المناقشات والنضالات، وليس عن طريق الإكراه أو عن طريق نزع حقوق هؤلاء المثقفين. في الوقت

[55]. خوجا، مرجع سابق، ص. 112 (مرجع النص الفرنسي، ص. 433).

نفسه، كان من الواضح تماما أن التناقض مع المثقفين البورجوازيين الذين لم يتم إعادة تثقيفهم، يتعلق بتناقض عدائي مع الثورة المضادة، وأن العديد من الموضوعات التي أصر عليها قادة اليمين داخل وخارج الحزب، كانت تستهدف حشد هؤلاء المثقفين البورجوازيين كجزء من القاعدة الاجتماعية اللازمة لمهاجمة النظام الاشتراكي.

في صياغة استدلاله لهذه المسألة، تأثر ماو أيضا بتقييمه لتجربة الاتحاد السوفياتي، ليس فقط لتطور التحريفية الخروتشوفية، ولكن أيضا الأخطاء التي ارتكبها ستالين، خاصة في منتصف وأواخر الثلاثينيات، عندما أعلن، بعد إنجاز التحول الاشتراكي الأساسي للصناعة والزراعة، أنه لم يعد هناك أي طبقات عدائية في الاتحاد السوفياتي، بل ولم يدرك أيضا إمكانية نشوء أو تطور مثل هذه الطبقات.

سنتحدث لاحقا عن المسألة الأساسية المتعلقة بالصراع الطبقي في ظل الاشتراكية، ولكن يجب الإشارة إلى أنه حتى في هذه المرحلة الأولى المبكرة من الثورة الصينية، عندما لم تكن فيها مسألة برجوازية جديدة تنشأ داخل الحزب والدولة مسألة رئيسية، كان لانتقادات ماو للأخطاء التي ارتكبها ستالين تأثيرا كبيرا على تطور اتجاهه الخاص. لقد أدرك ماو أن الفشل في التمييز بين هذين النوعين من التناقضات، والخلط بينهما، سيؤدي، أولا، إلى إنكار إمكانية استعادة الرأسمالية، وبالتالي الحاجة إلى ممارسة ديكتاتورية صارمة قدر الإمكان ضد أولئك الذين يرغبون في محاولة مثل هذه الاستعادة. وثانيا، الفشل في فهم أن التناقضات وسط الشعب يجب حلها بطريقة مختلفة، أي من خلال النقاش والنضال. إن عدم القيام بذلك أو الفشل فيه، سيؤدي إلى تحول التناقضات غير العدائية إلى تناقضات عدائية، وبالتالي زيادة احتمال أن تنضم أقسام واسعة من الشعب إلى الثورة المضادة، ويتم حشدهم كقوى اجتماعية لاستعادة الرأسمالية. كانت هذه هي المشكلة في صميم سياسة ماو "دع مائة زهرة تتفتح، دع مائة مدرسة فكرية تتنافس"، وليس مشكلة "الليبرالية".

وإدراكا منه أن الصراع الطبقي سيستمر في ظل النظام الاشتراكي الجديد، وأن صراعا مهما كان يختمر (بسبب تقارب الظروف المحلية والدولية المذكورة سابقا)، أطلق ماو نداء "دع مائة زهرة تتفتح، دع مائة مدرسة فكرية تتنافس".

حيث تم تشجيع الناس على التعبير علانية عن آرائهم حول الحزب الشيوعي، وعما يعتقدون أنها عيوبا في الحزب، ومناقشة القضايا المختلفة على الجبهات الثقافية والتعليمية والعلمية. في الوقت نفسه، أشار ماو إلى أنه لا ينبغي السماح للمعادين للثورة بمثل هذه الحرية في التعبير (على وجه التحديد تلك العناصر المضادة للثورة، التي تم كشفها والتعرف عليها على هذا النحو خلال حركات القضاء على أعداء الثورة في أوائل الخمسينات)، والأهم من ذلك، أن ماو وضع مبادئ توجيهية لمساعدة الجماهير على فرز "الأزهار العاطرة" من "الأعشاب السامة":

"إن الشعارين "دع مائة زهرة تتفتح" و "دع مائة مدرسة فكرية تتنافس"، لا تحمل ألفاظهما طابعا طبقيا، بحيث من الممكن أن تستخدمهما البروليتاريا، كما يمكن أن تستخدمهما البرجوازية والناس الآخرون. إن لكل طبقة، ولكل فئة، ولكل كتلة اجتماعية المفهوم الخاص بها عن الأزهار العاطرة والاعشاب السامة. فما هي المعايير التي نميز بها اليوم بين الأزهار العاطرة والأعشاب السامة من وجهة نظر الجماهير الشعبية الغفيرة؟ وكيف يمكن في مجرى حياة شعبنا السياسية التمييز بين الصواب والخطأ في أقوالنا وأفعالنا؟ ...، يمكننا أن نضع لذلك، على وجه عام، المعايير التالية:

1 ـ أن تساعد أقوالنا وأفعالنا على توحيد الشعب من مختلف القوميات في بلادنا، لا أن تعمل على تقسيمه.

2 ـ أن تساعد على التحويل الاشتراكي والبناء الاشتراكي، لا أن تضر بهما.

3 ـ أن تساعد على توطيد الديكتاتورية الديمقراطية الشعبية، لا أن تقوضها أو تضعفها.

4 ـ أن تساعد على توطيد نظام المركزية الديمقراطية، لا أن تهدمه أو تضعفه.

5 ـ أن تساعد على تعزيز قيادة الحزب الشيوعي، لا أن تحاول التخلص منها أو تضعفها.

6 ـ أن تساعد على التضامن الاشتراكي الأممي والتضامن الأممي بين جميع الشعوب المحبة للسلام في العالم، لا أن تلحق بهما ضررا أو أذى.

وأهم هذه المعايير الستة هما معيار الطريق الاشتراكي ومعيار قيادة الحزب."[56]

لم يكن لدى ماو أوهام بأن اليمينيين البورجوازيين سيتبعون هذه المعايير في النضال اللاحق. بل على العكس تماما: فقد توقع أن يشن هؤلاء اليمينيون هجوما شرسا على قيادة الحزب، وضد الطريق الاشتراكي، كما فعل نظرائهم في المجر. كان يعلم أن اليمينيين سوف يكشفون عن أنفسهم، وأنهم سيحاولون تعبئة الرأي العام لصالح عودة الرأسمالية سواء "سمح" لهم الحزب بذلك أم لا. ومن خلال إصدار المعايير الستة (والتركيز بشكل خاص على اثنين منها)، أنشأ ماو أفضل أساس ممكن للجماهير لفرز الآراء ووجهات النظر السياسية المختلفة التي كان من المؤكد أن تتطور.

خلال الأسابيع الأولى لحملة "مائة زهرة"، في ربيع عام 1957، شن حزب الرابطة الديمقراطية، وهو حزب سياسي برجوازي شارك في حكومة الجمهورية الشعبية، هجوما شاملا على الحزب عن طريق جريدة "وينهوي باو" (Wen Hui Pao)، المرتبطة بتلك الرابطة، وهي تمثل وجهة النظر السياسية للبرجوازية الوطنية. بالإضافة إلى ذلك، كانت هناك ظاهرة انضمام أعضاء الحزب إلى هذا الهجوم الهستيري، حيث دعا اليمينيون إلى إقامة "ديمقراطية" على النمط الغربي، مطالبين بـ "نزول الحزب الشيوعي عن كرسي سيدان*". ورفعت الملصقات حول نفس المواضيع، في معاقل مختلفة لليمينيين، خاصة في الجامعات. كانت هناك أيضا حوادث فظيعة، حيث تم نزع وتمزيق ملصقات تدعم الحزب، وضرب الناس وما إلى ذلك..

اختار ماو عدم الرد على الفور، وانتظر بضعة أسابيع حتى يتقدم اليمينيون البرجوازيون ويكشفون عن أقنعتهم وحتى أن يسارع أعضاء الحزب الذين لديهم نفس الأفكار ونفس البرنامج للدفاع عنهم. لكن هذه السياسة لم تكن البتة نوعا

[56]. ماو، "حول المعالجة الصحيحة للتناقضات في صفوف الشعب"، الأعمال المختارة، المجلد 5، ص. 412 (مرجع النص الفرنسي، ص. 447 . 448).

* . ملاحظة المترجم: وهو كرسي عبارة عن مقصورة لنقل شخص واحد، قد تكون مزودة بنقالات ومغلقة، ويتم حملها على أذرع الحمالين (جياو (jiào) هو المصطلح الصيني العام). والقصد هنا هو تخلي الحزب الشيوعي عن "كرسي" القيادة والسلطة.

من التعايش السلمي بين الخط البرجوازي والماركسية ـ اللينينية: لقد قاد ماو الجماهير الشعبية لشن هجوم مضاد شرس ضد اليمين البرجوازي. وتحت ضربات الحزب والجماهير، اضطر البرجوازيون اليمينيون إلى التراجع بأقصى سرعة، فتوطدت قيادة الحزب بين الجماهير. لقد اتهمت الصحافة الغربية واليمينيون الصينيون ماو بأنه "خدعهم" عن طريق السماح لهم بالكشف عن برنامجهم الرجعي، وذلك بهدف وحيد هو الدوس والقضاء عليهم.

أجاب ماو عن ذلك:

"وهكذا كان على الجماهير أن تميز بوضوح بين أولئك الذين كان نقدهم حسن القصد، وبين أولئك الذين كان نقدهم مزعوما خبيثا، وبالتالي أمكن حشد القوى وتركيزها للانتقال للهجوم المضاد في الوقت المناسب.

يقول البعض أن هذا كان مؤامرة دبرت في الظل. نقول إنها كانت مشروعا صمم في واضحة النهار. لأننا أوضحنا للعدو مسبقا: لا يمكننا تصفية العباقرة الأشرار إلا بالسماح لهم بالتعبير عن أنفسهم أولا، كما لا يمكن اقتلاع الأعشاب السامة والقضاء عليها إلا عن طريق السماح لها بالخروج من الأرض.

ألا يقتلع الفلاحون الأعشاب السامة عدة مرات في السنة؟ إلى جانب ذلك، يمكن استخدام الأعشاب المقتلعة كسماد. سوف يبحث الأعداء الطبقيون دائما عن الفرص لإظهار أنفسهم، لن يستسلموا لفقدان سلطة الدولة ومصادرة ممتلكاتهم. فعلى الرغم من تحذيرات الحزب الشيوعي لأعدائه مسبقا وإعلامهم باستراتيجيته الأساسية، فإنهم لن يتخلوا عن شن هجماتهم. الصراع الطبقي هو حقيقة موضوعية مستقلة عن إرادة الإنسان، وهذا يعني أن الصراع الطبقي أمر لا مفر منه. لا يمكن تجنبه حتى لو أراد الناس تجنبه، أي حتمي. الشيء الوحيد الذي يجب فعله هو قيادته حسب قوانينه الخاصة بهدف تحقيق النصر."[57]

[57]. ماو، "يجب نقد التوجه البورجوازي لـ Wenhui Bao" الأعمال المختارة، المجلد. 5، ص. 454. (مرجع النص الفرنسي، ص. 493).

إن تحقيق النصر في حملة "مائة زهرة" هو بالضبط ما قام به ماو. لقد استيقظ وعي الجماهير، ومن المؤكد أن هذه الجماهير لن تتسامح مع الهجمات المسعورة على انتصارات الثورة والتحولات الاشتراكية التي كانت تتحقق. تراجع اليمينيون البورجوازيون، لكن ماو طاردهم وأصر على أنهم لن يفروا من الوضع السيئ الذي وجدوا أنفسهم فيه ببضع عبارات بسيطة من النقد الذاتي. أولئك الذين شاركوا في أنشطة معادية للثورة (كانت هناك هجمات وحتى القتل على أيدي اليمين البرجوازي) تم اعتقالهم وتقديمهم إلى العدالة. فعلى الرغم من محاولات خوجا تصوير ماو على أنه ليبرالي يحب أن يكون محاطا بالمعادين للثورة، أكد ماو بوضوح شديد في خضم الهجوم المضاد الذي استهدف اليمين البرجوازي:

"يجب القضاء على المعادين للثورة أينما وجدوا. أقل عدد ممكن من عمليات الإعدام، لكن دون إلغاء عقوبة الإعدام أو إعلان عفو عام ... يجب أن تعاقب العدالة العناصر السيئة المعترف بها على هذا النحو من قبل الجمهور.

لكن الآن، يهمل بعض مسؤولي العدالة والأمن العام أداء واجبهم من خلال إطلاق سراح أولئك الذين ينبغي اعتقالهم ومعاقبتهم، هم مخطئون. فكما أنه من الخطأ إنزال عقوبة مفرطة، فمن الخطأ أيضا إصدار حكم متساهل للغاية، في الوقت الحالي، يكمن الخطر في هذا الاتجاه الأخير." [58]

بالإضافة إلى ذلك، عانى أولئك الذين تم تصنيفهم على أنهم يمينيون بورجوازيون، داخل الحزب وخارجه، من قيود شديدة على حقوقهم السياسية. في الواقع، لم تتم استعادة حقوق هؤلاء الرجعيين إلا بعد وفاة ماو، على يد هوا كيو فنغ (Hua Guo-feng) وتينغ سياو بينغ (Deng Xiao ping) بعد انقلابهم التحريفي.

لقد استمرت حملة "مائة زهرة" حتى نهاية عام 1958. ومع ذلك، بعد صيف عام 1957، لم يعد اليمينيون البرجوازيون

[58]. ماو، "الوضع في صيف عام 1957"، المؤلفات المختارة، المجلد. 5، ص. 476 (مرجع النص الفرنسي، ص 518).

في حالة هجوم، وكانت ملصقات الحائط وتعليقات الصحف ملكا للجماهير العريضة من الشعب، وخاصة العمال والفلاحين. واستمرت الانتقادات الموجهة للحزب الشيوعي، لكنها كانت ذات طابع مختلف تماما، حيث كانت تستند في الفعل كما في الكلمة على المعايير الستة لماو. لقد ساهمت هذه الانتقادات في تصليب وتقوية الحزب الشيوعي، وأدى النقاش الذي دار على نطاق واسع بين الجماهير إلى فهم أعمق لخط الحزب وطبيعة الثورة الاشتراكية، وزاد من تصميمهم وقدرتهم على مواصلة هذه الثورة. كما أشار ماو، كانت حملة "مائة زهرة" أيضا مدرسة مهمة للحزب نفسه، وكذلك للجماهير. أشار ماو إلى:

"ينبغي للماركسيين ألا يخشوا النقد من أي كان، بل عليهم أن يتمرسوا خلال الانتقاد من قبل الناس وعبر عواصف الكفاح حتى يتصلب عودهم ويطوروا صفوفهم ويوسعوا مراكزهم. يمكن أن نشبه النضال ضد الأفكار الخاطئة باللقاح ضد الجدري، فإن الجسم يزداد مناعة تحت تأثير اللقاح. أما النبات الذي نما في بيت زجاجي فلا يكون قويا متعافيا. وأن تطبيق السياسة القائلة: "دع مائة زهرة تتفتح، ومائة مدرسة فكرية تتنافس"، لن يضعف مركز الماركسية القيادي في المجال الإيديولوجي، بل على العكس من ذلك، فهو يقوي هذا المركز.

فما هي إذن السياسة الواجب اتباعها حيال الأفكار الغير الماركسية؟ إن حل هذه المسألة بسيط اتجاه العناصر التي تجاهر الثورة بالعداء والعناصر التي تعمل على تقويض قضية الاشتراكية، ذلك فقط بأن نحرمهم من حرية الكلام. ولكن الأمر يختلف حيال الأفكار الخاطئة الموجودة بين صفوف الشعب. فهل يمكن تحريم مثل هذه الأفكار، وألا تعطى أي فرصة للإفصاح عنها؟ كلا، بالطبع. فإن استخدام الأساليب الجافة في معالجة المسائل ذات الصفة الإيديولوجية بين صفوف الشعب وفي معالجة مسائل العالم الروحي، هو عديم الجدوى أبدا، بل إنه مضر للغاية. وإذا لم يسمح بإبداء الأفكار الخاطئة، فإن هذه الأفكار ستظل رغم ذلك قائمة. أما الأفكار الصحيحة فإنها إذا كانت ناشئة في بيوت زجاجية ولم تتعرض للعواصف والأعاصير ولم تكتسب المناعة، فلن تتمكن من الانتصار حينما تواجهها الآراء الخاطئة، ولذلك لا يمكن إنماء الأفكار

الصحيحة والتغلب على الأفكار الخاطئة بصورة عملية، ولا يمكن حل المسائل حلا حقيقيا إلا عن طريق النقاش والانتقاد والإقناع بالحجج." [59]

هكذا يمكننا أن نرى بوضوح جانبين لحملة "مائة زهرة" التي تم الهجوم عليها بطريقة ماكرة ومخادعة من طرف خوجا والدوغمائيين التحريفيين الآخرين (وأيضا من قبل التحريفيين الخروتشوفيين الذين افتروا عليها في ذلك الوقت ب "اللبرالية"). أولا، مثلت هذه الحملة محاولة لصرف وصد تيار معاد للثورة كان يتطور في الصين في ظل التحولات الاشتراكية ومصادرة ملكية البورجوازية الصينية، فضلا عن صعود التحريفية عالميا (على الخصوص بالاتحاد السوفياتي، وكذلك منذ انتفاضة الثورة المضادة بالمجر). ثانيا، كانت حملة "مائة زهرة" نداء لنقاش إيديولوجي بين صفوف الجماهير على نطاق وطني، والذي لا يمكنه إلا أن يعمق تأثير الماركسية ـ اللينينية في صفوف البروليتاريا والشعب الصيني.

قد يتساءل المرء لماذا تنتاب العقائديين التحريفيين نوبة غضب تجاه حملة "مائة زهرة". بالطبع، فمن الواضح أن هذه الحملة تقدم لخوجا وأعوانه، فرصة ممتازة لنزع الاقتباسات من سياقها، في محاولة لقلب الواقع وتصوير ماو على أنه كان ليبراليا مبتذلا. ولكن الأهم، هو أن حملة "مائة زهرة" دفعت خوجا إلى سعار جنوني، لأن الفهم السياسي الكامن في أساسها، يضرب في العمق تماما كل وجهة نظر خوجا الميكانيكية والخاطئة حول تطور الاشتراكية. فحسب وجهة النظر السائدة الآن في الحزب الألباني، فإن الجماهير قد تتبنى الماركسية وتتخلص من الإيديولوجية البرجوازية، ليس في خضم الصراع العنيف بين الخطين والطريقين، وليس من خلال إطلاق العنان لموجة واسعة من الجدال والنضال، ولكن من خلال سيرورة مستقرة و "غير منقطعة" يقوم فيها الحزب ببساطة بتثقيف الجماهير. هذه النظرة هي التي تقود خوجا، كما سنرى لاحقا، إلى تقييمه الضد ـ ثوري للثورة الثقافية البروليتارية الكبرى.

[59]. ماو، "حول المعالجة الصحيحة للتناقضات في صفوف الشعب"، مرجع سابق، ص 410 – 411. (مرجع النص الفرنسي، ص. 445 ـ 446).

في حين أن التحليل الشامل للخط العام لخوجا، وممارسات الحزب الألباني هو خارج نطاق هذه المقالة، فمن المفيد مع ذلك مقارنة وجهة نظر ماو في حملة "مائة زهرة"، مع موقف الحزب الألباني بشأن الصراع الطبقي في ظل الاشتراكية. دعونا نرى، على سبيل المثال، مقتطفا من الدستور الألباني الجديد، الذي تم تبنيه في نهاية عام 1976:

"في جمهورية ألبانيا الاشتراكية الشعبية، لا توجد طبقات مستغلة، وتمت تصفية وحظر الملكية الخاصة واستغلال الإنسان للإنسان." [60]

ولكن رغما عما هو مكتوب في الوثائق القانونية الألبانية، ورغما عن أن السيد خوجا يريد حظر الطبقات العدائية، فإنها لا تزال موجودة في ألبانيا كما كانت موجودة ولا تزال في الصين. يُظهر هذا النص في الدستور خلطا بين الأشكال القانونية والواقع الاجتماعي. في الفترة التاريخية الحالية يمثل هذا الخلط إنكارا متعمدا للماركسية.

بما أن خوجا لا يعترف بوجود طبقات عدائية خلال المرحلة الاشتراكية بعد مصادرة ملكية البورجوازية (موضوع سنناقشه لاحقا)، فإنه لا يستطيع تصور كيفية معالجة الأنواع المختلفة من التناقضات داخل المجتمع الاشتراكي. لذلك ينتهي به الأمر حتما بالوقوع في جميع أنواع الانحرافات "اليسارية" واليمينية، التي تؤدي في المقام الأول إلى تحول التناقضات غير العدائية في صفوف الشعب، إلى تناقضات عدائية وتقويض الأساس الذي عليه يكتمل التحول الاشتراكي.

إن نقد خوجا لحملة ماو "مائة زهرة" وما سمي بـ "البرالية" ماو تجاه البورجوازية الوطنية، مرتبط بشكل وثيق بانتقاده لسياسة الحزب الشيوعي الصيني التي سمحت بوجود بعض الأحزاب السياسية البورجوازية ومنحتهم صوتا محدودا في الهيئات القيادية للدولة.

يأخذ خوجا هذا الاقتباس من كتابات ماو: "هل من الأفضل، بعد كل شيء، أن يكون لديك حزب واحد أم أكثر؟ من

[60]. المادة 16 من دستور جمهورية ألبانيا الشعبية الاشتراكية (تيرانا، 1977)، ص. 13.

الأفضل أن يكون لديك العديد، كما يبدو لنا. كان هذا هو الحال في الماضي، وربما يكون كذلك في المستقبل. إنه تعايش طويل الأمد والرقابة المتبادلة "[61]

تعليق خوجا:

"اعتبر ماو أن مشاركة الأحزاب البورجوازية في السلطة وإدارة البلاد بنفس الحقوق والامتيازات التي يتمتع بها الحزب الشيوعي الصيني أمر ضروري. علاوة على ذلك، فإن أحزاب البرجوازية هذه، "التاريخية" حسبه، لا يمكن أن تنمحي قبل أن ينمحي الحزب الشيوعي الصيني أيضا، أي أنهم سيتعايشون حتى ظهور الشيوعية." [62]

مرة أخرى، من المفيد جدا أن نترك ماو يتحدث عن نفسه، لذا نعيد كتابة نص ماو الذي "اقتبس" منه خوجا:

"إن كلا من الحزب الشيوعي والأحزاب الديمقراطية هما نتاج التاريخ. وما ينشأ في مجرى التاريخ يزول في مجراه. وعليه فإن الحزب الشيوعي سيزول يوما وكذلك الأحزاب الديمقراطية. وهل هذا الزوال أمر مزعج جدا؟ إنه في نظري مريح جدا. وإني لأعتقد أنه أمر رائع أن يستغنى عن الحزب الشيوعي وديكتاتورية البروليتاريا في يوم من الأيام. ومهمتنا أن نعجل في زوالهما. وهذه الحقيقة قد تحدثنا عنها مرات عديدة.

ولكن في الوقت الحاضر لا يمكن الاستغناء عن الحزب البروليتاري وديكتاتورية البروليتاريا، بل وأكثر من ذلك، من الضروري تعزيزهما باستمرار وأن يصبحوا أكثر قوة، وإلا فلن نتمكن من قمع أعداء الثورة ومقاومة الإمبريالية وبناء الاشتراكية أو ترسيخها عند بنائها. إن نظرية لينين حول الحزب البروليتاري وديكتاتورية البروليتاريا ليست بأي حال من الأحوال "بالية" كما يزعم البعض. " [63]

وهكذا يمكن ملاحظة أن ما يقوله ماو لا يشبه كثيرا الكلمات التي يحاول خوجا وضعها في فمه. نفترض أنه عندما قال

[61]. خوجا، ص. III، نقلا عن ماو، "حول العلاقات العشر الرئيسية" الأعمال المختارة، المجلد. 5، ص. 296 (مرجع النص الفرنسي، ص. 319).
[62]. خوجا، نفس المرجع.
[63]. ماو، "حول العلاقات العشر الرئيسية"، مرجع سابق، ص. 297. (مرجع النص الفرنسي، ص. 320 ـ 321).

خوجا إن الأحزاب الديمقراطية "كانت تاريخية"، فإنه يشير إلى تصريح ماو بأن كلا من الحزب الشيوعي والأحزاب الديمقراطية "كلها نتاج التاريخ". هذه حقيقة واضحة تماما كما يصح أيضا أن الحزب الشيوعي والأحزاب الديمقراطية سوف تختفي يوما ما. لا يقول ماو بأن الأحزاب الديمقراطية ستظل قائمة طالما ظل الحزب الشيوعي، أي حتى الوصول إلى الشيوعية.

ترتبط سياسة ماو القائمة على "التعايش طويل الأمد والرقابة المتبادلة" بين الحزب الشيوعي والأحزاب الديمقراطية ارتباطا مباشرا بالظروف الفعلية لتطور الثورة الصينية. فلأن الثورة الصينية تضمنت مرحلة ديمقراطية طويلة إلى حد ما، كان من الطبيعي والصحيح أن تلعب بعض الأحزاب البرجوازية التي ناهضت الإمبريالية والإقطاعية بدرجات متفاوتة وكانت على استعداد للعمل مع الحزب الشيوعي، دورا معينا في النظام الجديد. لم يكن الأمر مجرد بذل مجهود لتحقيق الوحدة مع القادة البرجوازيين في المستويات العليا لهذه الأحزاب، بل كانت المسألة تتعلق بالاتحاد مع أقسام من الشعب التي تأثرت بهؤلاء، وذلك من أجل حشدهم وتحويلهم. فقد شكلت هذه الأقسام الشعبية قوة اجتماعية مهمة للغاية.

في الوقت نفسه، أشار ماو بوضوح أن أي تعاون بين الحزب الشيوعي والأحزاب الديمقراطية يجب أن يقوم فقط على أساس قيادة الحزب الشيوعي وعلى قبول الانتقال إلى الاشتراكية. إن ادعاء خوجا بأن الأحزاب الديمقراطية مُنحت نفس الحقوق والامتيازات التي يتمتع بها الحزب الشيوعي هو ادعاء سخيف.

كان "الحق" و"الامتياز" لقيادة الثورة، بالطبع من مسؤولية الحزب الشيوعي، وكانت قيادته هي الأساس الوحيد الذي يمكن أن تقوم عليه أية مشاركة من أي نوع كانت للأحزاب الديمقراطية.

لم يكن لدى ماو أوهام حول دور الأحزاب الديمقراطية. فقد أشار إلى أن هذه الأحزاب عارضت الكثير من سياسات الحزب الشيوعي، فضلا عن أنهم يحتفظون بنظرة للعالم مختلفة تماما. وأكد في الوقت نفسه: "إنهم موجودون وغير موجودون في المعارضة. فغالبا ما ينتقلون من المعارضة إلى

اللا معارضة ".[64] فقط خلال هذا الانتقال إلى اللا معارضة يمكن تحقيق تعاون طويل الأمد، هذا الاحتمال أراد ماو أن يحتفظ به، لكنه في ذات الوقت استعد لاحتمال آخر مختلف تماما، وهو أن الأحزاب الديمقراطية بإمكانها أن تنقلب ضد الثورة، حيث أكد ذلك بوضوح في عام 1957، خلال بداية حملة "مائة زهرة":

> **"إن التعايش الطويل الأمد بين الحزب الشيوعي والأحزاب الديمقراطية، هذه رغبتنا، وهي أيضا سياستنا. أما مسألة ما إذا كانت الأحزاب الديمقراطية تستطيع البقاء زمنا طويلا، فهي مسألة لا تتوقف على رغبة الحزب الشيوعي وحده، بل تتوقف كذلك على تصرفات مختلف الأحزاب الديمقراطية وعلى ما إذا كانت تحظى بثقة الشعب أم لا." [65]**

وهكذا يوضح ماو أن "الشروط التاريخية" لحل وزوال هذه الأحزاب البورجوازية ليست هي نفسها بالنسبة للحزب الشيوعي نفسه. "تتوقف كذلك على تصرفات مختلف الأحزاب الديمقراطية " يمكن أن تعني فقط: ما إذا كانت تقبل التحولات الاشتراكية أم لا. "ما إذا كانت تحظى بثقة الشعب أم لا" تتجلى في الموقف الذي أبدوه تجاه العمال والفلاحين، وما إذا كانت هذه الأحزاب لا زالت لها قاعدة اجتماعية التي لا بد من كسبها والاتحاد معها.

في الواقع، لم تعد معظم الأحزاب الديمقراطية موجودة إلى حد كبير خلال الثورة الثقافية. لقد شاركوا في الدولة على شكل المؤتمر الاستشاري السياسي، الذي أصبح بقايا لهيئة سياسية من دون سلطة ونادرا ما يجتمع. من الواضح، من وجهة نظر ماو وأولئك الذين شكلوا جزءا من القيادة العامة الثورية، أن الظروف التاريخية التي تتطلب التعاون مع الأحزاب الديمقراطية لم تعد موجودة (باستثناء، ربما، وبطريقة محدودة للغاية فيما يتعلق بتايوان)

وتجدر الإشارة إلى أنه على الرغم من محاولة خوجا إظهار بأن وجود العديد من الأحزاب لا يتوافق مع اللينينية، إلا أن هناك تجربة تاريخية لهذا الوضع موجودة في الاتحاد

[64]. المرجع السابق، ص. 297. (مرجع النص الفرنسي، ص. 320).

[65]. ماو، "حول المعالجة الصحيحة للتناقضات في صفوف الشعب"، مرجع سابق، ص 413. (مرجع النص الفرنسي، ص. 449).

السوفياتي، وكذلك في بلدان أخرى. ثورة أكتوبر، على سبيل المثال، انطلقت ليس فقط من قبل الحزب البلشفي (الذي كان بالطبع القوة المحركة والقائدة لها)، ولكن أيضا بمشاركة الاشتراكيين الثوريين اليساريين (SR اليساري). اقترح لينين أن يشارك ممثلو هذا الحزب في الحكومة الجديدة (مجلس مفوضي الشعب) وناقش الأساس الذي يمكن عليه تحقيق هذا النوع من التعاون.

أشار لينين إلى أن الاشتراكيين الثوريين اليساريين كان لهم تأثير قوي على الفلاحين، وأنهم يمثلون إلى حد ما الفلاحين المستعدين للانضمام إلى الثورة، ويترتب على ذلك أنه من الضروري الاتحاد مع الاشتراكيين الثوريين اليساريين أثناء وبعد الاستيلاء على السلطة. كان هذا التعاون بين البلاشفة والاشتراكيين الثوريين اليساريين قصير الأمد، ليس لأن لينين والحزب البلشفي تبنوا سياسة تفكيك هذا التحالف، ولكن لأن الاشتراكيين الثوريين اليساريين انتفضوا ضد النظام الجديد وخاصة معارضة معاهدة سلام بريست. ليتوفسك (Brest-Litovsk).

في ظل هذه الظروف، قاد الحزب البلشفي هجوما قويا ضد الاشتراكيين الثوريين اليساريين الذين أصبحوا هدفا لديكتاتورية البروليتاريا. لقد كانت هناك العديد من الأسباب التي دفعت أعضاء هذا الحزب إلى معارضة البروليتاريا والنظام الاشتراكي، ترجع في جزء كبير منها إلى حقيقة أن الثورة كانت تتعرض لهجوم الإمبرياليين والرجعيين، وبالتالي كانت في موقف دفاعي. ومع ذلك، فلا يوجد شيء في كتابات لينين يشير أو يسمح بالاعتقاد بأن التعاون مع الاشتراكيين الثوريين اليساريين لا يمكنه أن يستمر لمدة أطول لو كانت الظروف مختلفة.

بل ذهب لينين إلى حد القول إن **"حرمان البورجوازية من حقوقها الانتخابية ليس سمة إلزامية وضرورية لديكتاتورية البروليتاريا"** [66]. إن تصريح لينين هذا يمكن اعتباره في هذا الوقت غير صحيح (على الأقل إذا تم اعتباره

[66]. لينين، الثورة البروليتارية والمرتد كاوتسكي، الأعمال الكاملة، المجلد. 28 (موسكو، 1965)، ص. 271 (مرجع النص الفرنسي، ص. 58).

على أنه يعني مرحلة الاشتراكية بأكملها)، ومع ذلك، سيكون من الخطأ الجسيم (وأيضا افتراء معاديا للثورة) وصف لينين بأنه ليبرالي مبتذل بسبب هذا التصريح! يتعلق الأمر بحقيقة أن دعم دكتاتورية البروليتاريا والالتزام بها هو مبدأ بالنسبة للشيوعيين، ومع ذلك يجب الاعتراف بأنه خلال استكمال هذا المبدأ، من المحتمل أن تكون تكتيكات مختلفة ضرورية في ظل ظروف مختلفة، وحتى إذا ارتكب المرء أخطاء في اختيار أو استخدام تكتيكات معينة، فهذا ليس سببا لتوجيه اتهامات هستيرية كما يفعل خوجا (بالإضافة إلى أن خوجا لم يتمكن من إثبات أن ماو ارتكب حتى أخطاء تكتيكية).

علاوة على ذلك، بينما نتحدث عن "الدور القيادي والغير القابل للتجزيء للحزب الماركسي ـ اللينيني في الثورة والبناء الاشتراكي"[67]، فمن الجدير بالذكر أن التاريخ الرسمي للحزب الألباني يعترف بأنه لعدة سنوات بعد التحرير، ظل الحزب في "حالة شبه غير شرعية، حتى بعد أن أصبح الحزب الحاكم في السلطة... كان برنامج الحزب متخفيا في إطار برنامج الجبهة الديمقراطية... واحتفظ أعضاء الحزب بسرية عضويتهم ... وتم نشر توجيهات الحزب (كان يطلق عليه في ذلك الوقت الحزب الشيوعي الألباني) كقرارات للجبهة الديمقراطية..."[68]. تم ذكر هذه السياسات في التاريخ، في سياق النقد الذاتي من قبل الحزب الألباني نفسه، وهي تمثل انحرافات فظيعة، تقترب من خط "كل شيء من خلال الجبهة المتحدة".

من جهة أخرى، حتى بينما كان ماو يسمح بوجود أحزاب ديمقراطية ويشجع التعاون معها، فقد أشار إلى أنه إذا تعرضت الثورة لتغير، على سبيل المثال، إذا قام الإمبرياليون بهجوم واسع النطاق عليها، يمكن للأحزاب الديمقراطية أن تنقلب بشراسة ضد الثورة. وحذر ساخرا: "إذا حدث تحول في العالم، وقامت قنبلة ذرية بتحويل بكين وشنغهاي إلى

[67]. خوجا، الإمبريالية والثورة، مرجع سابق، ص. 112 (مرجع النص الفرنسي، ص. 432).

[68]. تاريخ حزب العمل الألباني، مرجع سالق، ص. 321 (مرجع النص الفرنسي، ص. 340).

ركام، ألن يغيروا موقفهم؟ لا أحد يعلم... كثير منهم يفضلون البقاء مختبئين".[69]

أخيرا حول هذه المسألة، من الضروري العودة من جديد وبطريقة أكثر شمولا وعمقا لإشكالية نظرية واحدة تتعلق بطبيعة الدولة الصينية أثناء الانتقال من الثورة الديمقراطية إلى الثورة الاشتراكية: مسألة "الدكتاتورية الديمقراطية الشعبية". ففي الوقت الذي أطلق فيه ماو هذا الشعار لأول مرة، مشيرا إلى الدكتاتورية المشتركة لأربع طبقات متميزة (الطبقة العاملة والفلاحين والبرجوازية الصغيرة الحضرية والبرجوازية الوطنية)، كانت الثورة الصينية لا تزال في المرحلة الأولى، المرحلة الديمقراطية. وبالطبع، كان لكل هذه الطبقات الأربع، وبدرجات متفاوتة، مصلحة موضوعية في إتمام هذه الثورة. بالإضافة إلى ذلك، كانت إحدى خصائص الثورة الصينية هي أن الحرب الطويلة الأمد ووجود مناطق قواعد الدعم يعني في الواقع عن وجود نظامين في مواجهة بعضهما البعض.

على سبيل المثال، خلال الحرب الأهلية الثورية الثالثة (الحرب الأخيرة ضد تشيانغ كاي شيك)، واجهت قواعد الدعم للشيوعيين (الذين يبلغ عدد سكانهم 100 مليون نسمة) المناطق التي يسيطر عليها الكومينتانغ. بطبيعة الحال، كان وجود قواعد الدعم هذه يعني أن الحكومة يجب أن تكون قادرة على القضاء على أعداء الثورة، ومواصلة الإصلاح الزراعي، وإنتاج الغذاء والملابس اللازمة لجيش التحرير الشعبي، والحفاظ على استمرار الاقتصاد، وما إلى ذلك. إن سياسة الديكتاتورية الديمقراطية الشعبية التي دعا إليها ماو كانت في الواقع تمارس في قواعد الدعم خلال هذه الحرب الأهلية، والأحزاب السياسية والشخصيات المؤثرة والقوى الأخرى التي تمثل الطبقات الأربع كانت ممثلة في

[69]. ماو، "خطاب ألقي في مؤتمر الأمناء الرابع للجان الحزب للمقاطعات والبلديات ومناطق الحكم الذاتي"، الأعمال المختارة، المجلد 5، ص. 533 (مرجع النص الفرنسي، ص. 383).

أجهزة السلطة. فمن الواضح إذن أن هذه السياسة كانت صحيحة بالنظر إلى مهام الثورة في المرحلة المذكورة.

عندما تأسست الجمهورية الشعبية سنة 1949، ضمت نفس القوى الطبقية المنخرطة فيها، أي القوى التي تحالفت مع الثورة ضد الإمبريالية والإقطاعية والرأسمالية البيروقراطية. في الوقت نفسه، كان على هذه الحكومة الجديدة (التي قادتها بوضوح الطبقة العاملة وحزبها الشيوعي، والقائمة على تحالف العمال والفلاحين) مهمة الشروع على الفور في الانتقال إلى الاشتراكية.

وهكذا، فمنذ البداية، تضمنت "الديكتاتورية الديمقراطية الشعبية" مظهران متناقضان: من ناحية، مثلت انتصار الثورة الديمقراطية ومن ثم تضمنت ممثلي البرجوازية الوطنية. ومن ناحية أخرى، كانت حكومة يقودها الممثلون السياسيون للطبقة العاملة مصممة على قيادة الثورة نحو الاشتراكية والقضاء النهائي على البورجوازية.

وبالعودة إلى الوراء، فمن المؤكد أن هذا المظهر الثاني، أي حقيقة أن النظام الجديد كان يسير على الطريق الاشتراكي، كان يشكل المظهر الرئيسي الذي حدد الطابع الاشتراكي لهذا النظام. وبحلول سنة 1956، كان ماو يشير إلى أن النظام في الصين على أنه "ديكتاتورية البروليتاريا" و "ديكتاتورية ديمقراطية شعبية". ومنذ ذلك الحين يشير الأدب الصيني إلى عام 1949، وهو العام الذي تم فيه انتصار الثورة الديمقراطية على الصعيد الوطني، كالعام الذي تأسست فيه دكتاتورية البروليتاريا. وهكذا، وبالعودة إلى الوراء، يتضح أن النظام الذي أقيم عام 1949 كان شكلا من أشكال ديكتاتورية البروليتاريا، نظام أخذ في الاعتبار طبيعة المجتمع الصيني والظروف التاريخية التي تطورت خلال مسار الثورة الديمقراطية.

كان لينين قد أدلى بملاحظة مهمة في روسيا تساعد في إلقاء الضوء على هذا الموضوع.، حيث أشار إلى أن ديكتاتورية البروليتاريا كانت، في ظروف روسيا، شكلا خاصا من أشكال التحالف الطبقي، وتحديدا تحالف الطبقة العاملة مع الفلاحين الفقراء، الذين كانوا يشكلون معا غالبية الشعب. ليس من المستغرب أن يكون شكل التحالف الطبقي الضروري للبروليتاريا لممارسة حكمها - ديكتاتوريتها - في الصين مختلفا عن الشكل الضروري في الاتحاد السوفياتي،

باختلاف الظروف المادية، والتركيب الطبقي، والطريق إلى السلطة بالبلدين. من الواضح أيضا أن هذا التحالف لم يكن ثابتا، لأنه مع تحول الثورة إلى ثورة اشتراكية، فإن طابع هذا التحالف سيتغير أيضا، ومن هنا جاء تصريح ماو في سنة 1953 بأنه: "لم يعد من الممكن اعتبار البورجوازية الوطنية على أنها طبقة وسيطة".

من المهم أيضا ملاحظة أنه في الفترة التي كتب فيها ماو أعماله النظرية الرئيسية التي تتناول هذا الموضوع، لم يكن لدى البروليتاريا وحزبها الشيوعي خبرة تاريخية فيما يتعلق بمهمة قيادة ثورة ديمقراطية إلى النصر، وبناء نظام اجتماعي جديد على هذا الأساس. كانت هناك تجربة الديمقراطيات الشعبية، التي تشكلت في أوروبا الشرقية (بما في ذلك ألبانيا) على أساس الانتصار على الفاشيين، وتم التمييز في الأدبيات الشيوعية في ذلك الوقت، بين ديكتاتورية البروليتاريا وتلك الانتصارات الديمقراطية (والتي بالمناسبة تفترض غالبا مشاركة العديد من الأحزاب في الحكومة). ومع ذلك، ولعدة أسباب، لم يكن من الممكن تقييم هذه التجربة نظريا من طرف ماو في ذلك الوقت، بالإضافة إلى أن هذا الوضع كان مختلفا بشكل واضح عن الوضع في الصين. باختصار، على الرغم من أن الوضع التاريخي جديد لم يسبق له مثيل، إلا أن ماو تعامل معه بشكل صحيح للغاية، وقدم إسهامات للماركسية ـ اللينينية والثورة البروليتارية من خلال القيام بذلك.

إنها ذروة النفاق عندما يشير خوجا إلى أن النظام في الصين، خاصة منذ التحول الاشتراكي لنظام الملكية الذي اكتمل في عام 1956، لم يمثل دكتاتورية البروليتاريا. فكل الأدب الصيني الذي نُشر خلال الثورة الثقافية وحتى انقلاب 1976، يظهر بوضوح أن خط ماو والثوريين الذين دعموه، كان من أجل أن تمارس البروليتاريا ديكتاتورية على البورجوازية في جميع مجالات الحياة الاجتماعية. بالإضافة إلى ذلك، تُظهر التجربة الكاملة للثورة الصينية أن ماو كان يقود البروليتاريا والجماهير الصينية إلى قمع البورجوازية بلا رحمة، سواء تعلق الأمر بالمستغِلين القدامى الذين ما زالوا يطمحون للعودة إلى السلطة، أو العناصر البرجوازية الجديدة التي نشأت داخل المجتمع الاشتراكي نفسه.

يقتصر خوجا في نهاية المطاف على ترديد النغمة القديمة المتهالكة للتروتسكيين، التي حسبها أن الدولة الصينية لم تكن تشكل ديكتاتورية البروليتاريا، مستشهدا في ذلك بوجود نجوم على علم جمهورية الصين الشعبية.[70]

بعد فحص هجمات خوجا على تطور الثورة الصينية إلى إنجاز الأساسي للاقتصاد الاشتراكي في عام 1956، وحملة "مائة زهرة" في العام الموالي، وقبل الانتقال إلى هجومه على الثورة الثقافية وخط ماو بشأن استمرار الثورة في ظل دكتاتورية البروليتاريا، نتوقف للحظة لنطرح السؤال التالي: لماذا يؤسس خوجا معظم الانتقادات الموجهة إلى ماو على هذه الفترة من الثورة الصينية، محاولا لف كل منطقه حول ما يدعيه بأن ماو "تصالح" مع المستغِلين الصينيين القدامى؟

أولا، يريد إنفير خوجا البقاء على ما يعتقده أنه أرضية صلبة. بعد كل شيء، فإن تحليل الطبقات والتناقضات في ظل الاشتراكية ليست موطن قوته، وهو يأمل من خلال الاستعانة بطريقة تفكير ميكانيكية ودوغمائية مقرونة بإعادة كتابة وتشكيل التاريخ، في حشد القارئ الساذج إلى استنتاجاته الرجعية.

ولكن الأهم من ذلك، أن خوجا يحاول عمدا توجيه النقاش بعيدا عن المسألة الأساسية التي يجب أن يتركز فيها: وهي كيفية منع بورجوازية جديدة، نشأت داخل المجتمع الاشتراكي ذاته، من الاستيلاء على السلطة واستعادة الرأسمالية. هذه هي بالضبط المسألة التي قدم فيها ماو تسي تونغ، من الناحية النظرية والعملية على حد سواء، أهم إسهاماته وأكثرها إشراقا وحيوية للماركسية ـ اللينينية والثورة البروليتارية. لا يريد خوجا ولا يستطيع تحدي خط ماو بشكل مباشر، إنه يعلم جيدا أنه في هذا الصدد وعلى هذه الجبهة سيواجه صعوبة أكبر في دعم أخطاء ستالين باعتبارها الكلمة الأخيرة للماركسية. بالإضافة إلى ذلك، فهو بلا شك يخشى كشف الصيغ الانتقائية والملتبسة للحزب الألباني بشأن هذه المسائل. لذلك فهو يأمل في صرف الانتباه بعيدا عن قضية الثورة الثقافية والخط الذي يكمن ورائها، والتركيز بدلا من ذلك على قضية المستغِلين القدامى في

[70]. خوجا، مرجع سابق، ص. 116 (مرجع النص الفرنسي، ص. 448).

المجتمع الصيني الذين لعبوا في الواقع دورا ثانويا فقط في استعادة الرأسمالية بالصين.

سعيا إلى مواصلة النقاش على هذا الأساس، يضع خوجا نفسه فعليا في نفس موقع التحريفيين الصينيين الحاليين، الذين كانوا حريصين على إثبات أن خطر استعادة الرأسمالية يمكن أن يأتي من أي جانب، ولكن ليس من جانبهم. الآن فقط، مع اكتمال انقلابهم، وبينما هم يتخلصون تدريجيا من قناعهم الماركسي، أعاد هوا (Hua) وتنغ (Teng) تأهيل جميع المستغِلين وأشادوا بهم وبجميع أوغاد المجتمع القديم.

حول استمرار الثورة في ظل دكتاتورية البروليتاريا

إن تطوير ماو تسي تونغ لنظرية وممارسة "استمرار الثورة في ظل دكتاتورية البروليتاريا" يمثل أكبر إسهاماته في علم الماركسية ـ اللينينية، ويشكل في الواقع تطويره الأهم لهذا العلم. لقد تم الاعتراف بهذه الحقيقة من طرف جميع الماركسيين ـ اللينينيين الحقيقيين خلال النضال ضد التحريفية المعاصرة، وخاصة خلال الثورة الثقافية البروليتارية العظمى. في الواقع، أشاد خوجا والحزب الألباني عاليا بإسهامات ماو. ويمكن القول إن الاعتراف أو عدم الاعتراف بهذا التطوير للماركسية ـ اللينينية الذي قام به ماو، يشكل ولا يزال يشكل خطا أساسيا للفصل بين الماركسية ـ اللينينية والتحريفية. وبالتالي ليس من المستغرب أنه في محاولاته لإزاحة ماو عن موقعه كواحد من أعظم المعلمين والقادة الماركسيين ـ اللينينيين الكلاسيكيين، شن خوجا هجوما هستيريا محموما على الثورة الثقافية، مع أنه لم يجرؤ أبدا على مواجهة مباشرة للتعاليم النظرية لماو والثوار الذين قاتلوا معه جنبا إلى جنب بشأن هذه المسألة.

إن تلخيص خوجا للثورة الثقافية لافت للنظر بسبب سطحيته بالإضافة إلى خطه الرجعي:

"أظهر مجرى الأحداث أن الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى لم تكن ثورة، ولم تكن عظيمة ولا ثقافية، وعلى الخصوص لم تكن ثورة بروليتارية

على الإطلاق. كان ذلك بمثابة انقلاب قصر على نطاق عموم الصين لتصفية حفنة من الرجعيين الذين استولوا على السلطة. بالطبع[!]، هذه الثورة الثقافية كانت خدعة. لقد قضت على كل من الحزب الشيوعي الصيني وعلى المنظمات الجماهيرية، وأغرقت الصين في فوضى جديدة. هذه الثورة قادتها عناصر غير ماركسية [أو على وجه التحديد الأربعة] الذين تم تصفيتهم بدورهم من خلال انقلاب عسكري شنته عناصر أخرى مناهضة للماركسية وفاشية." [71]

وهكذا لدينا أطروحة خوجا الأساسية (بعيدة عن كونها أصيلة على الإطلاق)، والتي بموجبها لم تكن الثورة الثقافية أكثر ولا أقل من صراع فئوي على السلطة، تم التلاعب بها من طرف حفنة من قادة الحزب الشيوعي.

تكشف هذه الأطروحة حقيقة أن خوجا غير قادر على فهم التطور الديالكتيكي للمجتمع الاشتراكي، وأنه بالتالي في حيرة من أمره لفهم الثورة الثقافية وأهميتها ودروسها التاريخية للعالم كله. يكره خوجا الثورة الثقافية لأنها تتعارض تماما مع الجذور الميتافيزيقية المتأصلة في نظرته للعالم، حيث يمثل الاستقرار والوحدة والانسجام السمات الرئيسية للكون، وبالتأكيد تمثل أسمى تطلعات المجتمع البشري.

"الفوضى": هذه هي الصفة المفضلة لدى خوجا عندما يهاجم الثورة الثقافية، لأن مفهوم "الفوضى"، وفي الحقيقة الصراع بين الأضداد، الصراع الطبقي والثورة نفسها، تتعارض مع تصوره للعالم وتصوره للمستقبل الذي كما لاحظنا سابقا، أقرب ما يكون إلى المفهوم الديني ل "الجنة" عن المادية الديالكتيكية. قبل المرور إلى فحص تصوره الميتافيزيقي للعالم (والذي هو أصل هجومه الكامل على ماو)، من المفيد فحص "الفوضى" التي وجدها خوجا بشكل خاص مثيرة للاشمئزاز في الصين، بمعنى الثورة الثقافية.

خلال الثورة الثقافية، ارتكب ماو الخطيئة العظمى حسب الدوغمائيين التحريفيين: لأنه أطلق العنان لحركة الجماهير الثورية للنضال من أجل انتزاع السلطة من أيدي قادة الحزب المنخرطين في الطريق الرأسمالي الذين استولوا على أقسام معينة من سلطة الحزب والدولة. إن أردنا أن نصدق أقوال

[71]. نفس المرجع، ص. 107 (مرجع النص الفرنسي، ص. 413).

خوجا، فلم يكن ليعارض مهاجمة العناصر التي كانت أهدافا للثورة الثقافية، وبالتحديد المقر العام التحريفي لليو شاو شي (Liou Chao-chi) و تينغ سياو بينغ (Teng Siao-ping) (ومع ذلك سنرى لاحقا أن "معارضة" خوجا لخطهم هي خيالية أكثر من كونها حقيقية). ولكن، لإطلاق سيل من النضال الجماهيري على نحو غير مسبوق ولا مثيل له، وعدم خوض النضال من خلال سلسلة من الإجراءات المنظمة للحزب والدولة، والأهم من ذلك كله الاعتماد بشكل مباشر على الجماهير - العمال، الفلاحين، الجنود والطلاب -، فهذا كان مرة أخرى شيء آخر تماما! *

هذا ما كتبه خوجا:

> في رأينا، كون هذه الثورة الثقافية لم يكن يقودها الحزب، ولكن كانت فوضى عارمة عقب نداء أطلقه ماو تسي تونغ، نزع عن هذه الحركة طابعها الثوري.
>
> أثارت سلطة ماو في الصين الملايين من الشباب غير المنظمين، طلاب وتلاميذ المدارس، الذين انطلقوا في مسيرة نحو بكين تجاه لجان الحزب والسلطة، وقاموا بتفكيكها.
>
> وقيل إن هؤلاء الشباب كانوا يمثلون حينئذ "الإيديولوجية البروليتارية" في الصين، وأنهم سوف يظهرون للحزب وللبروليتاريين الطريق "الحقيقي"! . . .
>
> نشأ هذا الوضع الخطير من تصورات ماو تسي تونغ القديمة المناهضة للماركسية المتمثلة في التقليل من الدور القيادي للبروليتاريا والمبالغة في تقدير دور الشباب في الثورة.
>
> كتب ماو:
>
> **"ما هو الدور الذي بدأ شباب الصين في لعبه منذ فترة "حركة 4 ماي"؟ بطريقة ما بدأوا في لعب دور طليعي معين. وهي حقيقة يعترف بها الجميع في بلدنا، باستثناء الرجعيين المتطرفين. وما معنى الدور الطليعي؟ إنه يعني أخذ زمام المبادرة... ". وهكذا تركت الطبقة العاملة على الهامش، وكانت هناك**

* ـ ملاحظة المترجم: نعتقد أن الكاتب يلوح بمفهوم "ثورة في الثورة"! (وذلك بالاعتماد المباشر على الجماهير الثورية الغفيرة: العمالية والفلاحية والشبيبية...، وعدم خوض طريق المسالك والقنوات الحزبية والحكومية، طبعا ضمن منظور استمرار الصراع الطبقي في ظل ديكتاتورية البروليتاريا).

العديد من الحالات التي عارضت فيها الجيش الأحمر، وحتى أنها دخلت في مواجهات معهم..

رفاقنا الذين كانوا في الصين في ذلك الوقت، رأوا بأعينهم عمال المصانع يحاربون الشباب. تفكك الحزب، وتم تصفيته وتم تجاهل الشيوعيين والبروليتاريا. كان هذا الوضع خطيرا للغاية." [72]

تخيل ذلك! رعب! الرفاق الألبان "رأوا بأعينهم" عمال المصانع يحاربون الطلاب! لا يمكننا مقارنة موقف خوجا إلا بموقف آدم بعدما أخذ قضمة من التفاحة. من حسن حظ خوجا أنه لم يذهب بنفسه إلى الصين خلال الثورة الثقافية، لأنه ربما رأى عمالا يقاتلون ضد العمال، ولكان قد سقط على الفور ميتا بنوبة قلبية! السؤال المذهل حقا والذي لا يمكننا الإجابة عنه في الوقت الحالي، هو كيف يمكن أن ينطق خوجا بمثل هذه التخاريف، حتى بعد أن اختبر هو بنفسه الثورة.

يعلم الجميع أنه تم حل لجان الحزب خلال الثورة الثقافية، وتم تعليق إلى حد كبير العمل المنتظم للتسلسل القيادي للحزب، إلخ...؛ هذه الأحداث لطالما كانت جزءا من قائمة التحريفيين السوفيات، الذين أصروا عليها مدعين أنها دليل "إثبات" على أن ماو كان "مثاليا" و "يساريا" متطرفا (إن نصوص وانغ مينغ المكتوبة في موسكو، حيث أنهى حياته المهنية بها كمدافع عن التحريفية السوفيتية، هي مرة أخرى مفيدة للغاية، وننصح ورثته بمقاضاة خوجا بتهمة السرقة الأدبية!) بالنسبة للتحريفيين السوفيات، يتفهم المرء بسهولة سبب عدم رغبتهم في الحديث عن طبيعة لجان الحزب التي تم حلها وعن الخط الذي كانت تتبعه إلخ...؛ إلا أن المرء يأمل من إنفير خوجا شيئا أفضل من ذلك بقليل. إلا أنه بدلا من ذلك، فهو يتحدث فقط عن شكل هذه اللجان الحزبية وليس عن محتواها. ونظرا لأننا نعرف جيدا ما هو المحتوى الفعلي لهذه اللجان الحزبية، والخط الذي كانت تتبعه، فإن هذا لا يدفعنا إلا للشك، رغم اعتراضات خوجا،

[72]. نفس المرجع، ص. 106 ـ 107 (مرجع النص الفرنسي، ص. 411 ـ 412).

على أنه في الواقع يعتبر "شيوعيين" أولئك الذين تم "تجاهلهم" بفظاظة، أي بيروقراطيو الحزب المتحالفين مع ليو شاو شي.

كان الوضع الذي واجهه ماو في بداية الثورة الثقافية (1966) واضحا للغاية: فقد نجحت القيادة العامة التحريفية داخل الحزب، بقيادة ليو تشاو تشي، في الاستيلاء على السلطة في العديد من الصناعات والمدن والمقاطعات الرئيسية. في ذلك الوقت، كان تنغ سياوبينغ (Teng xiao ping) الأمين العام للحزب، وبالتالي كانت له قبضة قوية على سلسلة القيادة، وهيمنت التحريفية على الجبهة الثقافية والتعليمية. وتم اتباع الخط التحريفي من قبل العديد من مديري المصانع، إلخ. وسمح هذا الوضع للقيادة العامة للبورجوازية بالتصدي لخط ماو الثوري، وعرقلة بشدة تعليم الماركسية ـ اللينينية للجماهير، واستخدام بنية الحزب التنظيمية على نطاق واسع من أجل قمع الجماهير والسيطرة عليها (سنتناول لاحقا حقيقة أن هذا الوضع لم ينتج عن "أخطاء" أو "ليبرالية" ماو).يمكننا الحكم على قوة القيادة التحريفية من خلال فحص الوثائق والسياسات التي كانت سائدة داخل الحزب الصيني في ذلك الوقت، وأيضا من خلال واقع أن هذه القيادة كانت قادرة على الحفاظ على قوة معينة حتى بعد تعرضها لبعض الهزائم الكبيرة خلال الثورة الثقافية. لأنه قبل كل شيء فالقيادة القديمة ل Liou Chao-chi (الذي يعتبر Teng xiao-ping الوريث الشرعي له)، جنبا إلى جنب مع جزء من البيروقراطية الوفية ل Chou En-lai، هي من لعبت الدور الرئيسي في الانقلاب المضاد للثورة عام 1976.

إن الشدة التي هاجم بها الرأسماليون في الصين كل مكاسب الثورة والسرعة التي يعيدون بها حاليا النظام الرأسمالي، تدلان على القوة الحقيقية لهذه الطبقة. إن الادعاء بأنه كان من الممكن القضاء على هذه القوة ببساطة، عن طريق تعديل تشكيلة الهيئات القيادية للحزب وإصدار بعض التوجيهات، هو مثير للضحك إن لم يكن جريمة، خاصة في ضوء ما حدث في الصين. وبالمثل، يكشف برنامج القادة التحريفيين الصينيين الحاليين بوضوح الطبيعة الحقيقية لأولئك الذين كانوا أعداء ماو واليسار الثوري: لم يكن مجرد نزاع لا سياسي بين "الفصائل"، بل صراعا بين الطبقات

للتقرير في الخط والطريق الذي ستتبعه الصين، طريقا بورجوازيا أم طريقا بروليتاريا. يبدو أن نصيحة خوجا للثوريين في الصين، هي في الأساس تشبه العبارة القديمة للانتهازيين أيام ماركس بشأن كومونة باريس، ولإعلان بليخانوف بشأن ثورة 1905: "ما كان ينبغي عليهم حمل السلاح".

طبعا، لم يكن السؤال هو ما إذا كان يجب الانخراط في النضال المسلح أم لا، ولكن بالأحرى ما إذا كان يجب القيام بثورة حقيقية، انتفاضة سياسية موجهة ضد قادة الحزب الرئيسيين المنخرطين في الطريق الرأسمالي. فعلى الرغم من أن للثورة الثقافية ميزاتها الخاصة حيث جرت في ظل ديكتاتورية البروليتاريا، إلا أنه من الصحيح، كأي ثورة، أنها لا يمكن أن تتقدم إلا من خلال النضال العنيف، وكان لا بد لها أن تتضمن تيارات مضادة، وإشراك أقسام مختلفة من الجماهير الثورية التي جلبت معها في النضال، أحكامها المسبقة وحدودها، وفي بعض الأحيان وجهات نظر وبرامج متناقضة. ومثل أي ثورة، ستثير مقاومة شرسة وعنيدة، ليس فقط من أولئك الذين كانوا أهدافا لهذه الثورة (والذين لا يمثلون سوى نسبة ضئيلة فقط من المجتمع الصيني والحزب)، ولكن أيضا من طرف أقسام معينة من الجماهير، بما في ذلك العديد من العمال، الذين يمكن تعبئتهم إلى حد ما وفي الأوقات الحرجة، ليكونوا بمثابة قاعدة اجتماعية للرجعيين وحركتهم. هذه ليست مجرد سمة من سمات الثورة الثقافية، ولكنها تشكل قانونا للصراع الطبقي وللثورة بشكل عام. قد يكون من المفيد هنا أن نذكر بتعليق لينين الشهير على تمرد الشعب الإيرلندي في عيد الفصح عام 1916، والذي كان موجها إلى أولئك الذين حاولوا استخدام ما أسموه بـ "الماركسية" للسخرية من تلك الانتفاضة البطولية، والتقليل من شأنها والافتراء عليها، حيث وصفوها بأنها "انقلاب"، وبذلك انتهوا موضوعيا في صف البورجوازية الإمبريالية:

"لا يمكننا استخدام مصطلح "انقلاب" بمعناه العلمي، إلا عندما لم تكشف محاولة التمرد سوى عن دائرة من المتآمرين أو مهووسين عبثيين، وعندما لم تجد صدى لها في الجماهير. تجلت الحركة الوطنية الإيرلندية، والتي يمتد تاريخها إلى قرون طويلة مرت بمراحل مختلفة ومزيج من المصالح الطبقية، على وجه خاص في المؤتمر الوطني

الإيرلندي الجماهيري الذي عقد في أمريكا... الذي نادى باستقلال إيرلندا، كما تجلى في قتال الشوارع الذي شارك فيه جزء من البورجوازية الصغيرة الحضرية، وكذلك جزء من العمال، بعد فترة طويلة من التحريض الجماهيري والمظاهرات وحظر الصحف... إلخ. إن من يسمي مثل هذا التمرد بأنه انقلاب هو إما رجعي متشدد، وإما عقائدي عاجز تماما عن تصور الثورة الاجتماعية كظاهرة حية. إن الاعتقاد بأن الثورة الاجتماعية يمكن تصورها بدون تمرد الأمم الصغيرة في المستعمرات وفي أوربا، بدون انفجارات ثورية لجزء من البورجوازية الصغيرة بكل تحيزاتها، بدون حركة جماهير البروليتاريا وشبه البروليتاريا الغير الواعية سياسيا ضد قمع ملاك الأراضي والكنيسة والملكية، ضد القمع القومي... إلخ، إن الاعتقاد بكل هذا هو نبذ للثورة الاجتماعية. هو أن نتصور أن جيشا سيأخذ موقعا في مكان معين ويقول: "نحن مع الاشتراكية"، وآخر في مكان آخر، يقول: "نحن مع الإمبريالية"، وأنه هكذا ستكون حينئذ الثورة الاجتماعية! فقط أولئك الذين يتبنون مثل هذه النظرة المتحذلقة والسخيفة يمكن أن يشوهوا التمرد الإيرلندي من خلال وصفه بشكل مهين على أنه "انقلاب". من يتوقع ثورة اجتماعية "نقية" لن يعيش أبدا ليراها، مثل هذا الشخص يتشدق بالثورة دون أن يفهم شيئا عما هي الثورة الحقيقية." [73]

توجه كلمات لينين هذه ضربة شديدة للخط التحريفي العقائدي لإنفير خوجا، الخط الذي أدى بهذا الأخير إلى الافتراء على الانتفاضة الثورية الأكثر ضخامة، والأطول أمدا، والأكثر وعيا في تاريخ العالم، قائلا إنها لم تكن سوى "انقلاب قصر على نطاق عموم الصين".

دعونا نلقي نظرة أعمق على الطريقة التي يتعامل بها خوجا مع مسألة الشبيبة والدور الذي يمكن أن تلعبه كقوة مبادرة في الثورة. إنه يدين الثورة الثقافية لأن "**الملايين من الشباب**

[73]. لينين، "حصيلة المناقشات حول تقرير المصير" الأعمال الكاملة، المجلد. 22 (موسكو، 1964)، ص 355 ـ 356؛ تشديد لينين. (مرجع النص الفرنسي، ص. 382 ـ 383).

والطلاب وتلاميذ المدارس غير المنظمين" ساروا في مسيرة إلى بكين. وفقا لخوجا، فإن الأساس النظري لهذا "الخطأ" موجود في نص ماو الشهير "اتجاه حركة الشبيبة"، حيث يجرؤ ماو على القول إن الشبيبة الصينية بدأت "بطريقة ما" في لعب دور طليعي، والتي حددها على النحو التالي:

"أن تأخذ زمام المبادرة، يعني السير في مقدمة الصفوف الثورية" [74]

مرة أخرى، يجب الإقرار أن ماو على حق، وليس خوجا. أولا، لعبت الشبيبة الصينية "بطريقة ما" دور طليعيا في حركة 4 مايو وبعدها في الصين. هذه حقيقة لا يمكن إنكارها من أي شخص لديه أدنى اهتمام بالدقة التاريخية وبجعل التاريخ يتوافق مع الواقع. كما أنه لا يمكن إنكار أننا شهدنا مرات عديدة عبر التاريخ التجربة التاريخية لشباب "يأخذ زمام القيادة" ويسير "في الصفوف الأمامية للثورة". هذه الظاهرة هي أمام أعيننا اليوم في إيران، حيث وضع الشباب أنفسهم، بمن فيهم الطلاب والمفكرون الشباب، في الصف الأمامي لهذه الحركة القوية، مما ساعد على إيقاظ الجماهير العريضة من الشعب والبروليتاريا الإيرانية، والتضحية بأنفسهم خلال الكفاح المسلح. في الواقع، من الصعب فهم أي سيرورة ثورية عظيمة وعميقة حقا، والتي لم يكن هذا فيها صحيحا إلى حد كبير.

ولكن بالنسبة إلى خوجا، فإن الدور الديناميكي للشبيبة، أي جرأتهم، ورغبتهم في تدمير العالم القديم، وما إلى ذلك، يشكل بالنسبة للثورة خطرا وليس ميزة، شيء يجب مهاجمته وخنقه ما لم يكن من الممكن "قيادة" الشبيبة (وهنا يجب القول في الحقيقة السيطرة عليهم) من طرف الطبقة العاملة وحزبها (كما هو الحال بالنسبة لمسألة الفلاحين، فإن السؤال ليس هو ما إذا كانت الشبيبة ستنتفض أم لا، بل ما إذا كان يجب قيادة أو خنق مبادرة الشبيبة).

ماذا يعني أن "تقود" الطبقة العاملة وحزبها الشبيبة؟

[74]. ماو، المؤلفات المختارة، المجلد. 2، ص. 245. (مرجع النص الفرنسي، ص. 263)

حسب خوجا، فإن هذا يعني أن الشبيبة يجب أن تتبع بشكل سلبي في ذيل الطبقة العاملة؛ من أجل محبة الله! علينا ألا نعتقد أبدا أن الشبيبة قادرة على لعب دور طليعي، بأي شكل كان، دور قيادي في تعبئة وتنظيم صفوف الجماهير العريضة من الشعب. بالطبع، ماو واضح تماما في أن الطبقة العاملة، وبالمعنى الأساسي، هي من يجب أن تقود الثورة. في نص نُشر في نفس المناسبة التي منها اقتبس خوجا، يوضح ماو العلاقات الطبقية الأساسية * :

"هناك قوى اجتماعية معينة ضرورية لتحقيق الثورة الديمقراطية في الصين. هؤلاء هم الطبقة العاملة والفلاحون والمثقفون والقسم التقدمي للبورجوازية ... إن العمال والفلاحين هم القوى الثورية الأساسية والطبقة العاملة هي الطبقة القيادية للثورة. بدون هذه القوى الثورية الأساسية وبدون قيادة الطبقة العاملة، سيكون من المستحيل إنجاز الثورة الديمقراطية المناهضة للإمبريالية وللإقطاعية." [75]

لكن من هنا، يشرع ماو وخوجا في مسارات مختلفة تماما. لأنه حتى لو اتفقنا على أننا بحاجة إلى "قيادة الطبقة العاملة" (وهذا يعني قبل كل شيء، قيادة حزب الطبقة العاملة، وقيادة خط الطبقة العاملة، أي الماركسية ـ اللينينية)، يبقى سؤال: ما هو مضمون هذه القيادة، وما الذي تسعى إلى تحقيقه، وعلى أي طريق تقود الشبيبة؟ إن مقالة ماو بأكملها، "اتجاه حركة الشبيبة"، التي اقتبس منها "خوجا" الفقرة أعلاه، تهدف تحديدا (كما يوحي بذلك حتى عنوانها) إلى إعطاء القيادة والتوجيه للشبيبة:

"لا بد أن يختلط مفكرونا الشباب وطلابنا بجماهير العمال والفلاحين الذين يشكلون 90 في المائة من السكان، ويقومون بتعبئتهم وتنظيمهم. إذا لم تكن لدينا هذه القوة الرئيسية من العمال والفلاحين، وإذا كنا نعتمد فقط على جسم المثقفين والطلاب الشباب، فلن نتمكن من الانتصار على الإمبريالية والإقطاع. لهذا السبب يجب على كل الشباب المثقف والطلاب في جميع أنحاء البلاد أن يلتحموا

* . نورد مقال "حركة 4 مايو". الذي نشر مع خطاب "اتجاه حركة الشبيبة" بمناسبة الذكرى العشرين لحركة 4 مايو عام 1939.

75. نفس المرجع، ص. 238 (مرجع النص الفرنسي، ص. 256).

بالجماهير العريضة من العمال والفلاحين حتى يؤلفوا معها كلا واحدا: وعندئذ فقط يمكن تكوين قوة جبارة." [76]

وأشار ماو إلى أنه **"في الحركة الثورية الديمقراطية الصينية، كان المثقفون هم أول من أدرك سياسيا من بين الشعب .... ولكن إذا لم يندمج المثقفون بجماهير العمال والفلاحين، فلن يحققوا شيئا."** [77] وهكذا، يقدم ماو وجهة النظر الديالكتيكية الصحيحة للعلاقة بين حقيقة أن المثقفين، ولا سيما الطلاب، غالبا ما يكونون القوة الأولى التي تنتفض خلال حركة ثورية ويلعبون دورا حيويا مهما في المساعدة على "التعبئة" "وتنظيم" الجماهير الشعبية، وحقيقة أنه فقط من خلال الاندماج بالعمال والفلاحين يمكن للمثقفين أن يقدموا مساهمة فعلية للسيرورة الثورية. وكما أشار مرارا وتكرارا في كتاباته، فإنه فقط من خلال القيام بذلك، يمكن للشباب تغيير نظرتهم ومفهومهم عن العالم، وأن يصبحوا فعليا ماركسيين حقيقيين.

هذا مثال على ما يعنيه حقا منح القيادة الحقيقية. وهذا لا علاقة له بفكرة خوجا التي تقيد حركة الشبيبة وتجبرها على السير بطاعة خطوة واحدة خلف العمال. تعني القيادة الماركسية ـ اللينينية الحقيقية للثورة معرفة كيفية إبراز العوامل الثورية وإطلاقها، وفي نفس الوقت إعطاء القيادة والتوجيه السديد للحركة بشكل عام وفي أجزائها الخاصة. القيادة الحقيقية لا تعني تجاهل أو محاولة إزالة التناقضات بين أقسام مختلفة من الجماهير (وبالتالي أدوارها المتناقضة)، ولكنها تدرك هذه التناقضات وتستخدمها لدفع الثورة إلى الأمام. مفهوم إنفير خوجا هذا يبدو شبيها بأسلوب لين بياو ("كل شيء تحت إمرتي وكل شيء تحت تصرفي")، بدلا من الأسلوب الماركسي للقيادة الذي مارسه ماو.

أولئك الذين ينتقدون ماو لأنه أدرك واستخدم حقيقة أن الشبيبة في كثير من الأحيان تلعب نوعا من دور الطليعة خلال النضال الثوري، هم أنفسهم عالقون تماما وبشكل يائس لا يمكن إصلاحه في فكرة، كما وصفها لينين، أن عليك

[76]. نفس المرجع، ص. 245 (مرجع النص الفرنسي، ص. 263 ـ 264.).

[77]. نفس المرجع، ص. 238 (مرجع النص الفرنسي، ص. 256).

انتظار ظهور جيشين، جاهزين، صافيين ولكل منهما علامته الخاصة. أما بالنسبة لأولئك الذين يرغبون في منع حشد أقسام معينة من الجماهير الثورية وحتى أقسام معينة من العمال، لانتظار اليوم الذي سينهض فيه العمال في وحدة واحدة متجانسة (يوم على هذا النحو لن يأتي في الواقع أبدا)، يجب عليهم أن يصمموا على عدم رؤية الثورة أبدا، أو أن ليست لديهم أي فكرة عما هو النضال الثوري. لأنه طالما أن هناك طبقات، فلن يأتي اليوم الذي لن تنقسم فيه الطبقة العاملة إلى أقسام مختلفة، تحمل مشاعر وخطوط ثورية وغير ثورية، أو حتى معادية للثورة. وهذه الانقسامات ستؤدي إلى صراعات (صراعات إيديولوجية، وسياسية، وحتى إلى صراعات جسدية في بعض الأحيان) بين أقسام معينة من العمال وأقسام أخرى من الجماهير الشعبية.

ولأن ماو فهم هذا، فقد عرف عند اندلاع الثورة الثقافية، أن يعتمد إلى حد كبير على مبادرة وجرأة الشباب والطلاب، ليس كبديل للطبقة العاملة، ولكن للمساعدة في إيقاظها وحشدها في هذه المعركة العظيمة.

على إنفير خوجا أن يكون على دراية بمنطق ماو حول هذه المسألة، بالنظر إلى أن ماو قد أوضح ذلك بإيجاز شديد لوفد زائر من ألبانيا للصين في عام1967:

"انطلقت حركة "4 ماي" من قبل المثقفين، مما يدل بوضوح على بعد نظرهم ووعيهم. ومع ذلك، يجب أن نعتمد على أسياد عصرنا، أي العمال والفلاحين والجنود، ليكونوا القوة الرئيسية لمواصلة الثورة حتى اكتمالها، ثورة كالحملة الشمالية الحقيقية أو المسيرة الطويلة.... على الرغم من أن المثقفين والجماهير العريضة من الطلاب الشباب هم الذين أطلقوا نقد الخط البورجوازي الرجعي، إلا أنه كان من واجب أسياد ذلك الوقت، والجماهير العريضة من العمال والفلاحين والجنود، أن يكونوا القوة الرئيسية في مواصلة الثورة حتى اكتمالها. لطالما كان المثقفون دائمًا قادرين على تغيير تصورهم للأشياء بسرعة كبيرة، ولكن بسبب محدودية غرائزهم، وكونهم

يفتقدون للطابع الثوري الحقيقي، فهم في بعض الأحيان انتهازيون" [78]

من الواضح إذن أنه من الناحية النظرية (وكذلك في الممارسة)، اعتبر ماو أن دور الطلاب في الصين هو بالدرجة الأولى دور المبادر. لقد أدرك جيدا نقاط ضعفهم، لا سيما ميولهم نحو الفوضوية و "اليسارية" المتطرفة، ولكن أيضا في بعض الأحيان نحو المحافظة (conservatism)؛ كما أدرك صعوباتهم في توحيد الصفوف الثورية لمواصلة النضال حتى النصر، و لولا الدور المبادر للطلاب، ولا سيما الحرس الأحمر البطولي، لكانت التحريفية قد انتصرت قبل ذلك بكثير في الصين، ولما كانت الثورة الثقافية قد انطلقت، ولو لم يصبح العمال القوة الرئيسية والقيادية في الثورة الثقافية، لكانت الانتصارات الأولية قد تحولت إلى هزائم، ولم تكن لتتحقق الإنجازات العظيمة للثورة الثقافية، وبالتأكيد لما تعززت، وبالمثل، لكانت التحريفية قد انتصرت في الصين في وقت مبكر بكثير.

يتجاهل خوجا دور الطبقة العاملة في الثورة الثقافية، لأنه لا يتلاءم مع الفانتازيا التي يحاول نقلها إلى الثوريين في جميع أنحاء العالم. لكن، إن نحن سألنا، من كانت بالفعل القوة المحركة والقائدة لعاصفة يناير في شنغهاي، الانتفاضة التي تمثل الحالة الأولى والنموذجية "بحل" الجماهير الثورية لجان الحزب الرجعية؟ بالنسبة لأي شخص لديه أدنى معرفة بالأحداث في الصين، فمن المؤكد أنها كانت بالأساس منظمات العمال الثوريين لشنغهاي، بقيادة تشانغ تشون-تشياو (Chang Chun-chiao)، وياو وين يوان (Yao Wen-yuan) ، و وانغ هونغ-وين (Wang Hung-wen) (جميعهم تم الافتراء عليهم حاليا كأعضاء في "عصابة الأربعة" في الصين) الذين أنجزوا هذه الانتفاضة العظيمة جدا. بعد ذلك، مثل هذه الانتفاضات تكررت في مدينة بعد مدينة في الصين. وعندما أصبح واضحا أن بعض الأقسام من الحرس الأحمر غير قادرة على المضي قدما في الثورة وأن

[78]. "خطاب إلى الوفد العسكري الألباني"، مختارات من فكر ماو تسي تونغ (1949-1968) (أرلينغتون، فيرجينيا، 1974)، ص. 458.

دورها الأولي المبادر، بدأ يتحول إلى نقيضه، فماذا حدث؟ مرة أخرى، كما نعلم، أصدر ماو توجيهه الشهير:

"يجب على الطبقة العاملة ممارسة القيادة في كل شيء"، مما أدى إلى مسيرة عشرات الآلاف من العمال نحو الجامعات لتولي القيادة. بعد دخولهم الجامعات، مكثوا هناك واتحدوا مع الطلاب الثوريين وأعضاء هيئة التدريس والكوادر الثورية، وأطلقوا أعظم التغييرات الثورية على الجبهة التعليمية التي شهدها العالم على الإطلاق. كل هذه الإنجازات لا يمكن إنكارها، رغما عن إنفير خوجا.

أخيرا، وحول مسألة قيادة الحزب في الثورة الثقافية، ففي الواقع قاد الحزب الثورة الثقافية بالشكل الصحيح الوحيد المناسب للظروف الملموسة التي كانت سائدة في تلك الفترة. كان يقودها الخط القيادي في الحزب وفي اللجنة المركزية، خط رئيسها ماو تسي تونغ. تمت المصادقة على التوجه العام للثورة الثقافية بأغلبية ضئيلة في اللجنة المركزية سنة 1966، وأسندت مهمة قيادتها إلى المجموعة المسؤولة عن الثورة الثقافية [79] ، ويشير ماو بنفسه أنه كان عليه "انتظار اللحظة المناسبة" لحشد أغلبية اللجنة المركزية للشروع في الثورة الثقافية. لكن على عكس خوجا، نحن لا نبني رأينا حول الثورة الثقافية على ما إذا كانت تتوافق أم لا مع الممارسة الراسخة حول أسلوب إدارة النضال داخل الأحزاب اللينينية.

يمكننا القول بشكل لا لبس فيه، أنه حتى لو (وفي الواقع على وجه الخصوص) عارضت الثورة الثقافية غالبية اللجنة المركزية (وهو ما كان سيعني أن اللجنة المركزية قد تم الاستيلاء عليها من طرف التحريفيين) لكانت من مسؤولية ماو دعوة الجماهير داخل الحزب وخارجه للتمرد على اللجنة المركزية.

نود أن نطرح هذا السؤال على إنفير خوجا: ما الذي يجب أن يفعله الشيوعيون الحقيقيون، والعمال ذوو الوعي الطبقي،

[79].انظر "قرار من 16 نقطة حول الثورة الثقافية" و "منشور اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني" (16 مايو 1966)، مطبوع في كتيب في بكين، 1968.

والجماهير الثورية بشكل عام، عندما تكون إمكانية انتصار التحريفية وشيكة؟ وما هو الموقف الذي يجب أن يتخذه الشيوعيون الحقيقيون والجماهير الثورية، إذا حدث في الواقع مثل هذا الاغتصاب التحريفي للسلطة؟ هل كان من المقبول بالنسبة لخوجا أن تكون الطبقة العاملة في الاتحاد السوفياتي قد ثارت بعد "خطاب خروتشوف السري" وأطاحت به؟ أو ماذا لو حشد الماركسيون ـ اللينينيون الحقيقيون في قيادة الحزب السوفياتي أغلبية ضئيلة في اللجنة المركزية وأقروا ثورة ثقافية قبل الانقلاب مباشرة؟ وماذا لو كانت غالبية الطبقة العاملة لا تزال غير مدركة لخطر التحريفية الوشيك، فهل يجوز لقادة الحزب عندئذ الاعتماد على الطلاب للبدء في النضال الثوري؟ أم أنه يفضل قمعهم؟ خنقهم باسم "هيمنة البروليتاريا"؟! لا يمكن أن يكون هناك شك، أن خط خوجا يقود إلى استنتاج واحد فقط، وهو: ما كان على الثوار حمل السلاح (ولا حتى البدء في صراع سياسي سلمي نسبيا).

بطبيعة الحال، فحجج خوجا يلفها في عباءة كونه المدافع العظيم عن الماركسية ـ اللينينية، ولكن جهوده لوضع الشكل ("المعايير اللينينية") فوق المحتوى (الطبقة التي تخدمها هذه الأشكال)، تشبه إلى حد كبير الأكاذيب المصطنعة في البلدان الديمقراطية البورجوازية حول "الديمقراطية"، أكثر من التعاليم الثورية لماركس وانجلز ولينين وستالين. هنا، مجددا فالممارسة التي يحتقرها لينين بشدة:

تناول الماركسية بشكل حرفي للتنكر في الواقع لروحها الأساسية! في النهاية، فخوجا يعارض الثورة الثقافية، وخط ماو تسي تونغ، لأنه يفضل خط أولئك الذين أطاحت بهم تلك الثورة! صحيح أنه يتمتم ببعض الأشياء ضد ليو شاو شي (Liou Chao-chi) و تينغ كسياو بينغ (Teng xiao-ping)، إلا أنه لا يوجد محتوى فعلي في انتقاداته لليو (Liou)، بينما يقتصر انتقاده لخط هوا (Houa) وتينغ (Teng) في التعامل فقط مع "استراتيجية العوالم الثلاثة". سنرى لاحقا أن خط خوجا فيما يتعلق بطبيعة الاشتراكية والصراع الطبقي في ظل الاشتراكية، هو في الأساس نفس الخط التحريفي الذي روج له ليو وتينغ، باستثناء أنه تم إخفاؤه تحت غطاء دوغمائي تحريفي رقيق للغاية.

في الواقع، تواجه خوجا صعوبة كبيرة في إخفاء مواقفه الحقيقية، فالمنطق الداخلي للكتاب نفسه، يقود القارئ إلى استنتاج مفاده أنه كان من الأفضل لو انتصرت قوى ليو تشاو تشي (أو بدلا من ذلك، القوى الأخرى الموالية للتحريفية السوفياتية). إذا كان فكر ماو تسي تونغ هو نوع من التحريفية منذ عام 1935، ألا ينبغي لنا أن ندعم أولئك الذين عارضوه باستمرار؟ يدعي خوجا أن الحزب ككل لم يكن ماركسيا أبدا، وأن أيا من المجموعات المختلفة في قيادة الحزب (على الأقل خلال العقد الماضي، بطبيعة الحال حالة وانغ مينغ ((Wang Ming، قصة أخرى تماما!) لم تكن ثورية. إذن لماذا قلق خوجا المعلن من أن الثورة الثقافية "قضت على الحزب الشيوعي الصيني والمنظمات الجماهيرية"؟ إذا كان صحيحا أن "قيادة الحزب الشيوعي الصيني لم تكن مشكلة من ثوريين ماركسيين ـ لينينيين" [80] فمن يهتم إذن إذا تمت تصفية هذا الحزب، إلا أن قلق خوجا بشأن هذه "التصفية" هو حقيقي وليس مفترضا، فهو يعلن أنه تمت "تصفية المنظمات الجماهيرية"، ولكنه لا يهتم بتصفية أية تنظيمات جماهيرية، لأنه، بعد كل شيء، لن ينكر سوى معتوه أبله، أن الثورة الثقافية خلقت عددا لا يحصى من المنظمات الجماهيرية الجديدة: في المراحل الأولية كان هناك الحرس الأحمر، المجموعات العمالية المتمردة، إلخ، وبعد ذلك أدت هذه الثورة إلى إعادة بناء النقابات العمالية، والمنظمات النسائية وغيرها، إعادة البناء على أساس قيادة خط ماو واليسار. هكذا يتضح أن قلق خوجا الحقيقي هو هزيمة المنظمات الجماهيرية التي كانت تحت سيطرة خط ليو شاو شي (Liou Chao-chi) (مثل رابطة الشباب الشيوعي)، فبينما هو يدعم تلك المنظمات، يدين خوجا بجنون المنظمات الجماهيرية الثورية التي تأسست خلال الصراع.

علاوة على ذلك، فإذا كانت المشكلة الرئيسية للحزب الشيوعي الصيني، هي أنه ابتعد عن "الماركسية ـ اللينينية" في الثورة، وفي بناء الاشتراكية (وهو ما يعني، وفقا لخوجا، الابتعاد عن تجربة وأساليب الاتحاد السوفياتي)، ألا ينبغي لنا أن ندعم المسؤولين داخل الحزب الصيني، الذين ناضلوا

[80]. خوجا، مرجع سابق، ص. 477.

لتنفيذ هذه المبادئ "اللينينية" في الصين؟ إن إحدى الميزات الإيجابية في قراءة النصوص الأصلية لوانغ مينغ (بدلا من الانتحال الذي يقوم به خوجا) هي أنها تخلص من الخداع الذي لا يزال خوجا يرى أنه من المفيد توظيفه، ف وانغ لا يحاول حتى التستر على سياساته كما يفعل خوجا ذلك، إذ يدعي وانغ مينغ علنا أن "الأمميين الحقيقيين" في الحزب الصيني لم يضموا في صفوفهم سوى ليو تشاو تشي (سيء السمعة)، بالإضافة إلى مجموعة من الخونة الآخرين، الذين أعيدوا حاليا إلى السلطة، أو أعيد تأهيلهم، بعد وفاته، من طرف تينغ كسياو بينغ [81] (Teng xiao-ping).

إن الفيتنام، التي يصفق لها خوجا بشكل متزايد، بينما هي تقع تحت سيطرة الجناح السوفياتي، تعتبر أن ليو تشاو تشي وتينغ كسياو بينغ هما الماركسيان ـ اللينينيان الحقيقيان في الصين [82] .

إن نقد خوجا للثورة الثقافية، ينبع من حقيقة فشله في فهم طبيعة الاشتراكية، ونظرته الميتافيزيقية للعالم، ومن براغماتيته، فخلال "عرضه" عن التغيير الدرامي والمأساوي لخط الحزب الألباني تجاه ماو والثورة الثقافية، يكشف خوجا بغير قصد عن الأساس البراغماتي الذي أدى بهذا الحزب إلى "إعادة تقييم" فكر ماو تسي تونغ.

يؤكد خوجا:

"للحكم على الممارسات الملتبسة السابقة [للصينيين]، وكذلك تلك التي لوحظت في الثورة الثقافية، وخاصة الأحداث التي أعقبت هذه الأخيرة حتى الآن، الانضمام المتعاقب لمجموعات مختلفة إلى القيادة، اليوم لمجموعة لين. بياو (Lin Piao)، وغدا لمجموعة تينغ كسياو بينغ (Teng xsiao-ping)، أو ل هوا كيو فينغ (Hua Kuo-feng)، وما إلى ذلك ... كل هذه الأشياء دفعت حزبنا إلى التعمق أكثر في وجهات نظر وأفعال ماو تسي تونغ والحزب

[81]. وانغ مينغ، لينين، اللينينية والثورة الصينية (موسكو، 1970).

[82]. انظر مانشستر جارديان (Manchester Guardian) (29 أكتوبر 1978)، ص. 13، نقلا عن هوانج تونج (Hoang Tung)، رئيس تحرير جريدة حزب فيتنام اليومية نهان دان (Nhan Dan).

الشيوعي الصيني، للحصول على معرفة أكثر شمولا عن "فكر ماو تسي تونغ"." [83]

ويضيف لاحقا:

"ساعد التطور الفوضوي للثورة الثقافية ونتائجها على تعزيز رأينا الذي لم يتبلور بعد بالشكل الكامل، بأن الماركسية ـ اللينينية لم تكن معروفة ولم يتم تطبيقها في الصين، وأنه بالأساس، لم يكن للحزب الشيوعي الصيني و لماو تسي تونغ وجهات نظر ماركسية ـ لينينية ..." [84]

هكذا، في تقييم مسألة فكر ماو تسي تونغ، يكشف خوجا بوضوح عن وجهة نظره وتوجهه الأساسيين، فمن الواضح أن خوجا لم ترقه "نتائج" انقلاب 1976 في الصين، ولا سيما سياسات الاستسلام والتحالف الرجعي مع الإمبريالية الأمريكية لهوا (Houa) وتينغ (Teng) تحت راية استراتيجية "العوالم الثلاثة". وبالنظر إلى أخطائه ووجهة نظره العامة، فإن خوجا لا يستطيع تحليل الأحداث في الصين انطلاقا من الصراع الطبقي، وخاصة انطلاقا من الصراع بين الخط التحريفي الكامل لهوا (Houa) وتينغ (Teng)، والخط الثوري لماو والأربعة الذين قاتلوا جنبا إلى جنب معه، وبدلا من تولي المهمة التي فرضها عليه التاريخ، والمتمثلة في قيادة الدفاع عن إنجازات الثورة الصينية وإسهامات ماو، اختار خوجا أن يتخذ "نتائج" الصراع الطبقي في الصين كنقطة انطلاق ("نتائج" مُعرَّفة بطريقة ضيقة ومحدودة)، ومن هناك، يسعى للعودة إلى الوراء، في محاولة لإيجاد أساس هذه النتائج في خط وأفعال الماركسيين ـ اللينينيين [85] .

إذا كان هؤلاء قد انهزموا، فلا بد أنهم كانوا مخطئين: هذه في كلمتين، هي نقطة انطلاق خوجا، وبما أن خوجا لا يفهم

---

[83]. خوجا، مرجع سابق، ص. 106 (مرجع النص الفرنسي، ص. 410 ـ 411.).

[84]. خوجا، مرجع سابق، ص. 107 (مرجع النص الفرنسي، ص. 414.).

[85]. انظر الرسالة من اللجنة المركزية لحزب العمل الألباني والحكومة الألبانية إلى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني والحكومة الصينية (تيرانا، 1978)، حيث يدعي الحزب الألباني أن الثورة الثقافية "انتهت في الصين من خلال إقامة السلطة بين أيدي العناصر البرجوازية والتحريفية"، ص. 36. (مرجع النص الفرنسي، ص. 38).

بشكل صحيح دينامية الثورة، وخاصة قوانين تطور الاشتراكية، فإنه لا يستطيع أن يتصور أن التحريفية، يمكن أن تنتصر دون أن تكون بعض الأخطاء من جانب الثوريين هي السبب الرئيسي (مع أنه لا أحد ينكر أن أخطاء مختلفة سيتم حتما ارتكابها)، ولكن بسبب القوة النسبية للطبقات المنخرطة في الصراع * .

لسوء الحظ، فقد أثر هذا المنطق على طريقة تفكير بعض الماركسيين ـ اللينينيين الحقيقيين، حيث بينما يدعمون إسهامات ماو، فهم لا زالوا ينطلقون من فرضية، أن التحريفية انتصرت في الصين، فيجب أن تكمن أسباب هذه الهزيمة في أخطاء الثوريين.

مثل هذا الخط من التفكير، على الأقل من جانب خوجا، يعادل إنكار وجود أي احتمال حقيقي لاستعادة الرأسمالية، طالما ظل الحزب "يقظا"، بمعنى أنه لا يتردد في منع ظهور أي فصيل، أي قيادة وأي خط متطور بالكامل يعارض القيادة الفعلية داخل الحزب.

هذه النظرة هي خاطئة في الأساس، وتتعارض بشكل مباشر مع تعاليم ماو، لأنها تفصل مسألة الصراع داخل الحزب عن أي نوع من التحليل المادي ـ والديالكتيكي ـ الحقيقي للصراع الطبقي في ظل الاشتراكية.

مع تطور تحليل ماو للصراع الطبقي في ظل الاشتراكية، أصبح التركيز أكثر فأكثر على وجود القيادة العامة للبورجوازية داخل الحزب الشيوعي نفسه.

لنفحص هجوم خوجا على تحليل ماو حول وجود خطين داخل الحزب وحول البورجوازية في الحزب:

"ماو تسي تونغ نفسه دعا إلى الحاجة إلى "خطين" في الحزب. ووفقا له، فإن وجود خطين والصراع بينهما هو ظاهرة طبيعية، هو تعبير عن وحدة

* ـ قد يسأل القارئ، إذا كان الأمر كذلك، فكيف يمكن لخوجا أن يدعم ستالين بطريقة خالية من الحس النقدي بالنظر إلى أن التحريفية انتصرت بعد وقت قصير من وفاته؟ في الواقع، هذا يشكل تناقضا للخط الألباني الذي يتجنبونه بأي ثمن. والأكثر ما يلفت الانتباه في الكتابات الألبانية التي تتناول هذا الموضوع هو سطحيتها، وعدم قدرتها على تقديم تفسير حقيقي للانتصار التحريفي في الاتحاد السوفياتي.

الأضداد، هي سياسة مرنة توحد في حد ذاتها الوفاء للمبادئ والتسوية ... هذه الآراء تتعارض تماما مع التعاليم اللينينية عن الحزب الشيوعي باعتباره فصيلا طليعيا منظما، يجب أن يكون لديه خط واحد ووحدة فولاذية للفكر والحركة.

إن الصراع الطبقي في صفوف الحزب، باعتباره انعكاسا للصراع الطبقي الجاري خارج الحزب، ليس له أي شيء مشترك مع مفاهيم ماو تسي تونغ حول "الخطين في الحزب". الحزب ليس ساحة للطبقات يجري فيه الصراع بين الطبقات العدائية، إنه ليس تجمعا لأشخاص لهم أهدافا متناقضة.

إن الحزب الماركسي ـ اللينيني الحقيقي هو حزب الطبقة العاملة وحدها، ويقوم على أساس مصالح هذه الأخيرة. هذا هو العامل الحاسم في انتصار الثورة وبناء الاشتراكية، فستالين، مؤيدا للمبادئ اللينينية بشأن الحزب، والتي لا تسمح بوجود عدة خطوط، وتيارات معارضة داخل الحزب الشيوعي، أشار إلى أن:

"... الحزب الشيوعي هو حزب البروليتاريا الأحادي، وليس حزب مجموعة عناصر مختلفة من طبقات مختلفة".

من ناحية أخرى، يرى ماو تسي تونغ الحزب على أنه اتحاد طبقات متناقضة المصالح، كمنظمة تضم قوتين، البروليتاريا والبورجوازية، "القيادة البروليتارية" و " القيادة البرجوازية"، يكون لهما ممثلين على جميع مستويات الحزب، من القواعد إلى الهيئات القيادية العليا، يواجهون ويصارعون بعضهم البعض" [86] .

إن خوجا مخطئ هنا لعدة أسباب: مخطئ، لأنه لا يفهم شيئا عن الديالكتيك، مخطئ لأنه لا يفهم ما الذي يعطي أي حزب ماركسي ـ لينيني حقيقي الحياة والحيوية، ومخطئ في تصوره للموقع الفعلي الذي يحتله الحزب في المجتمع الاشتراكي،

[86]. خوجا، مرجع سابق، ص. 109 (مرجع النص الفرنسي، ص. 420 ـ 422).

ومن هنا الخصائص المختلفة التي يتخذها الصراع داخل الحزب.

دعونا أولا، نتخلص من حجة لخوجا الأكثر سخافة وهي أن:

"ماو تسي تونغ نفسه قد دعا إلى الحاجة إلى وجود "خطين في الحزب"، وأنه بطريقة ما، فضل، أو سمح بوجود قيادة بورجوازية داخل الحزب. بالطبع، فإن ماو لم يقل أي شيء من هذا القبيل، فما قاله ماو، وهو محق تماما في ذلك، هو أن وجود خطين في الحزب، ونشوء فصائل أو قيادات بورجوازية داخل الحزب، هو ظاهرة حتمية، والأهم من ذلك، هو أن ماو طور الفهم النظري لضرورة محاربة الخط البورجوازي، والمحاولات المتعددة من طرف مسؤولي الحزب، المنخرطين في الطريق الرأسمالي، لتأسيس قيادة بورجوازية في الحزب، والاستيلاء على السلطة في القطاعات الرئيسية داخل الحزب والدولة، ومن تم الاستعداد للهجوم النهائي على القيادة البروليتارية للحزب والدولة.

لم يطور ماو هذا التحليل من الناحية النظرية فحسب، بل قاد أيضا الصراع لتنفيذ هذا الخط، وخاصة خلال الثورة الثقافية، أن يُستخلص من هذا، أن ماو أراد أن يترك البورجوازية تقوم بعملها، وأنه لم يشن حربا عليها، سيكون مناقضا تماما للحقائق [87] .

لطالما دعم الماركسيون ـ اللينينيون الأطروحة الفلسفية القائلة بأن "الحرية هي إدراك للضرورة"، فقدرة الإنسان على تغيير المجتمع والطبيعة لا تعتمد في المقام الأول على إرادته، ولكن بناء على فهمه الصحيح للعالم الموضوعي، لأنه فقط من خلال التعامل وفقا للقوانين التي تحكم المجتمع والطبيعة، يمكن للإنسان التأثير في هذه القوانين. إن الادعاء بأن ماو دافع عن الخط البورجوازي، وعن نشوء قيادة بورجوازية في الحزب، فقط لمجرد أنه كان أول من اعترف وأدرك بطريقة شاملة ومنهجية، القوانين التي تحدد

[87]. في الوقت نفسه، أدرك ماو الضرورة، وقد دعا في بعض الأحيان، إلى وضع انتهازيين في بعض المواقع المعينة داخل الحزب لأسباب تكتيكية. سيتم مناقشة هذا الموضوع في الصفحات التالية.

وجودها، هو بمثابة الادعاء بأن لويس باستور دافع عن وجود الفيروسات!

لنتابع قليلا هذا التشبيه إلى أبعد من ذلك، يمكننا القول إنه بسبب تمكن باستور من اكتشاف وجود الفيروسات تمكن من تطوير اللقاح الأول، وبالمثل، لأن ماو اكتشف القوانين التي تحكم المجتمع الاشتراكي، والتي تؤدي إلى ظهور الخط البورجوازي داخل الحزب، تمكن من تطوير السياسات والاستراتيجيات، وكذلك التكتيكات، لهزم الخط البورجوازي ومختلف المراكز البرجوازية، ليس لمرة واحدة، بل لعدة مرات.

قد يعتقد خوجا أنه قدم مساهمة رائعة للماركسية من خلال تطبيق مبدأ النعامة، على استمرار الثورة في ظل الاشتراكية، لكن في الواقع، كل ما يطبقه بشكل خلاق هو نفس النظرة الإنسانوية (humanitarian) البورجوازية الصغيرة التي ترفض الاعتراف بانقسام المجتمع الرأسمالي إلى طبقات عدائية، على أمل أنه بهذه الطريقة سيجعل هذا العداء يختفي.

بعرضه المبتذل "للمبادئ اللينينية" المتعلقة بالحزب، وباستخدامه التبسيطي لكلمات ستالين المتعلقة بـ "الحزب الأحادي للبروليتاريا"، يكشف خوجا ببساطة، وبشكل أكثر عمقا، عن نظرته الميتافيزيقية الضد ـ ديالكتيكية للعالم، وبالتالي عن الغياب التام لأي فهم للتطور الفعلي لأي حزب ماركسي.

يزعم خوجا أن المبادئ اللينينية، "لا تسمح بوجود خطوط متعددة، أو اتجاهات متعارضة في الحزب الشيوعي". رائع! ببضع كلمات، يلغي خوجا الضرورة إلى محاربة التحريفية، والدوغمائية، والتروتسكية، وأي انحراف آخر قد ينشأ في صفوف الحزب.

هل يمكن القول على سبيل المثال، أنه لا يوجد تيار تحريفي داخل الحزب الألباني؟ لا، نحن لا نصدق ذلك! حتى لو التزم خوجا بخط ماركسي ـ لينيني بدلاً من أن يدافع بنفسه عن اتجاه تحريفي جديد، فنحن ما زلنا لا نصدق ذلك.

على الرغم من ثرثرة خوجا حول "المبادئ اللينينية"، فقد كرّس لينين وستالين قدرا كبيرا من الاهتمام للاعتراف بكل

أنواع "الاتجاهات المعارضة" في الحزب البلشفي، ومحاربتها وهزمها.

في الواقع، ما يفعله خوجا بطريقته النموذجية المفضلة، هو أنه يدمج اثنين في واحد، على عكس الطريقة الديالكتيكية لتقسيم واحد إلى اثنين. إنه يأخذ مسألة الخطوط والاتجاهات (الميول والنزعات) ويخلط بينها وبين مسألة الفصائل، رغم من أن هاتين المسألتين متصلتان، إلا أنهما متميزتين. إن وجود خطوط واتجاهات تحريفية داخل الحزب، لا تنشأ لكوننا "نسمح" لها بالوجود، بل إنها انعكاس لا مفر منه للقوى الطبقية في المجتمع، والتي هي أيضا لا يعتمد وجودها على "إذن" الماركسيين ـ اللينينيين، ولكن على الظروف المادية والإيديولوجية في المجتمع، بما في ذلك بقايا المجتمع الطبقي الاستغلالي التي توجد ضمن قاعدة المجتمع الاشتراكي وبنيته الفوقية.

إن فصيلا تحريفيا داخل الحزب يمكن حله، وطرد قادة عصابته وما إلى ذلك، لكن مثل هذه الإجراءات لن تؤدي، ولا يمكن أن تؤدي إلى القضاء على كل الميول والنزعات، وكل الخطوط التحريفية داخل الحزب، لأن هذه الميول والنزعات ليست موجودة فقط في الحزب ككل، ولكن أيضا في طريقة تفكير كل فرد!

في التعامل مع هذه المسألة، ينتقل الحزب الألباني من طرف إلى آخر، مما أدى به إلى الخروج بصياغة انتقائية تسمح ب "الصراع الطبقي" داخل الحزب، ولكنها تنفي وجود خطوط متعارضة. هذا إنجاز كبير! يبدو أن خوجا يعتقد أنه من خلال تصفية عملاء العدو، والعناصر البورجوازية والمتفسخين في وقت مبكر، يمكنه منع ظهور خطوط العدو، وخطوط غير ماركسية، وخطوط بورجوازية داخل الحزب، كما لو كان وجود الخط يتوقف على توافر الآلات الكاتبة! مرة أخرى، إنه خوجا، وليس ماو، من ابتعد عن الماركسية ـ اللينينية، التي تعلم أن مسألة الخط وصراع الخطوط (التي لا يمكن إلا أن تفترض وجود خطوط مختلفة) هي روح الحزب.

لنأخذ بعض الأمثلة:

في البلدان الإمبريالية، فالميول نحو التحريفية، لا سيما في شكل الاقتصادوية (أي الاتجاه إلى اختزال نضال العمال في مجرد الحصول على ظروف أفضل للعبيد في ظل عبوديتهم)، هي نزعة خبيثة وعنيدة في نفس الوقت. لقد

كشف لينين الأساس الاجتماعي لهذا الاتجاه في عمله الرائع، ما العمل؟، وكذلك في بعض كتاباته اللاحقة حول الامبريالية، لكن، وببساطة لا يعني أن هذا الاتجاه الذي تم تحديده، و كون الماركسيين اللينينيين الحقيقيين قد انخرطوا في صراع طويل الأمد وعنيف ضده، أنه لا ينعكس داخل الحزب كخط معاد للماركسية، وبالمثل، في العديد من البلدان حيث تكون المهمة المباشرة للطبقة العاملة والحزب هي النضال من أجل تحرير الأمة، فإن الميول نحو القومية الضيقة هي انعكاس للقوى الطبقية الفعلية المنخرطة في المعركة، والشيوعيون في هذه البلدان يجب عليهم أن يخوضوا صراعا شرسا ضد هذه الانحرافات، بما في ذلك، وقبل كل شيء، داخل الحزب حيث تنعكس فيه هو نفسه.

مرة أخرى، فإن الاعتراف بوجود خطوط خاطئة في الحزب، وفهم قاعدتها الطبقية وجذورها التاريخية، هو ما يمكّن الماركسيين ـ اللينينيين من محاربة هذه الخطوط وهزمها، إن مثل هذا الواقع ليست فيه مسألة "سماح" من عدمها، وليست مسألة على الإطلاق.

هل وجود الصراع بين خطين داخل الحزب لا يتوافق مع حقيقة أن "الحزب الماركسي ـ اللينيني الحقيقي هو حزب الطبقة العاملة فقط" على حد تعبير خوجا؟ [88] ، فقط أولئك الذين لا يفهمون أي شيء عن الديالكتيك، يجدونها كذلك.

إن الحزب الشيوعي هو حزب الطبقة العاملة، لأنه يسترشد بالماركسية ـ اللينينية، إيديولوجية الطبقة العاملة، لأن الطبقة العاملة هي الطبقة الوحيدة التي تكمن مصالحها في الإطاحة بالرأسمالية، وجميع أشكال الاستغلال والاضطهاد، وتحقيق الشيوعية، ولأن المبادئ التنظيمية للحزب، "المعايير اللينينية"، إن أردنا، تعكس الطابع الاجتماعي للإنتاج، وتحديدا دور البروليتاريا في الإنتاج، فبهذا المعنى، وبه فقط، يمكننا أن نفهم أن الحزب الشيوعي هو حزب الطبقة العاملة.

لا يظهر الحزب، والطبقة العاملة، والماركسية ـ اللينينية، في شكل "خالص"، فهذا واضح عند النظر على سبيل المثال إلى الطبقة العاملة، فقط نسبة صغيرة من العمال في المجتمع الرأسمالي تدرك دورها كحفار قبور النظام الرأسمالي.

[88]. نفس المرجع، ص. 422.

بالإضافة إلى ذلك، هناك انقسامات داخل صفوف البروليتاريا (الانقسامات السياسية والقومية والاقتصادية)، على الرغم من أن جميع العمال يشتركون بشكل موضوعي في نفس المصلحة الطبقية، وبالتالي فإن الحديث عن بروليتاريا "خالصة" تمثل ذروة السخافة، وستكون بمثابة إنكار للحاجة إلى الحزب الشيوعي، وهي ليست أقل سخافة من التحدث عن "نقاء" الحزب والماركسية ـ اللينينية عند النظر إلى خصوصيات الوجود الفعلي والملموس لأي حزب معين، أو خط أي حزب معين. إن القيام بذلك هو بالضبط إلغاء الحاجة إلى خوض النضال داخل الحزب. هذا هو السبب في أن ماو يَسْخَر بحق، من فكرة "الوحدة المتجانسة" للحزب والحركة الشيوعية العالمية. ("يبدو أن بعض الناس يعتقدون ذلك ... الحزب ليس موضوعا للتحليل، بعبارة أخرى، إنه متجانس وموحد ...") [89] .

دعونا نفحص مقولة لستالين استخدمها خوجا على أمل أن يخيف بها القارئ، من خلال إجراء فحص نقدي وديالكتيكي لهذا الموضوع: "الحزب الشيوعي هو حزب البروليتاريا الأحادي، وليس حزب مجموعة عناصر مختلفة من طبقات مختلفة".

إن المقولة أعلاه هي صحيحة من ناحية، وغير صحيحة من ناحية أخرى، فإذا اعتبرنا المقولة كتجريد علمي، فهي مفيدة إلى حد ما، أما كتحليل لأي حزب كان، فهي غير صحيحة وضارة في نفس الوقت. يجب أن ينطلق الخط السياسي وكذلك المبادئ التنظيمية للحزب من تجريد علمي صحيح (بمعنى كما يقول لينين، أنه يعكس الطبيعة بشكل "أعمق، أصح وأكثر اكتمالا")، من حقيقة أن الحزب هو حزب البروليتاريا، وهذه الطبقة فقط، بينما عضوية الحزب الشيوعي يجب أن تشمل بالضبط "عناصر مختلفة من طبقات مختلفة".

بالطبع، يجب أن ينضموا إلى الحزب على أساس تبني وجهة نظر وخط البروليتاريا، لكن هل يمكن القول إن المثقفين مثلا، في أي حزب، لا يجلبون معهم جوانب معينة من

[89]. ماو، "المنهج الجدلي لتثبيت وحدة الحزب" الأعمال المختارة، المجلد. 5، ص. 515. (مرجع النص الفرنسي، ص. 559).

وجهات النظر، والخط والعادات التنظيمية للبورجوازية والبرجوازية الصغيرة؟ ألا يجلب الفلاحون إلى الحزب جوانب معينة من وجهة نظر المنتج الصغير؟ هل من الخطأ إجراء تحليل طبقي لعضوية الحزب، واستخدام هذا التحليل الطبقي (ديالكتيكيا وليس ميكانيكيا) في فهم الانحرافات المحتمل حدوثها، وكذلك كيفية محاربتها؟ بطبيعة الحال، فإن جميع أعضاء الحزب، بمن فيهم العمال، يجلبون معهم، عندما ينضمون إلى الحزب، أنواعا مختلفة من الإيديولوجيات البورجوازية والأخطاء السياسية، ومن هنا جاءت ملاحظة ماو الساخرة: "كما لو أن المرء بمجرد انضمامه للحزب، يصبح بالضرورة ماركسيا مائة بالمائة " [90] .لا يوجد شيء اسمه "ماركسيون مائة بالمائة"، بمن فيهم إنفير خوجا وبطله وانغ مينغ، الذي أثار أول مرة ضجة كبيرة في أوائل الثلاثينيات، معلنا أنه وحفنة من الطلاب الذين عادوا معه من موسكو، أنهم "بلاشفة مائة بالمائة".

هل الاعتراف بأن الحزب ليس "منسجما"، وأنه في الواقع مليء بالتناقضات التي تعكس العلاقات الطبقية في المجتمع والتركيب الطبقي للحزب نفسه، يلغي الحاجة إلى النضال ضد الفصائلية، ومبدأ أن الحزب لا يمكن إلا أن يقوده خط واحد؟ يجب أن نكرر مرة أخرى، أن هذا لا يطرح مشكلة إلا للميتافيزيقيين فقط، وليس للماركسيين ـ اللينينيين.

إن الاعتراف بوجود خطين داخل الحزب (بالمعنى الأساسي، للخط البورجوازي والخط البروليتاري) هو في نفس الوقت الاعتراف بحقيقة أن أحد هذه الخطوط (بمعنى الخط الرئيسي) يجب أن يكون مهيمنا، ويجب أن يحدد طبيعة الحزب، وهو أيضا الاعتراف بإمكانية أن يتحول أحد المظهرين إلى الآخر، وبالتالي يصبح الحزب تحريفيا.

طالما أن الخط السائد (أي الخط الجماعي للحزب وقيادته، المنعكس في نظرياته وسياساته ومنشوراته، وما إلى ذلك) هو حقا ماركسي ـ لينيني، فمن الصواب اعتبار هذا الحزب ماركسيا ـ لينينيا، حزب الطبقة العاملة. ولكي يظل مثل هذا الحزب ماركسيا ـ لينينيا، فمن الضروري على وجه التحديد خوض صراع شرس لا هوادة فيه ضد كل مظاهر الخط الخاطئ. إن الاعتراف وإدراك هذه الضرورة، هو في نفس

[90]. نفس المرجع.

الوقت، الاعتراف بالحاجة إلى محاربة وتحطيم الفصائل البورجوازية التي تنشأ داخل الحزب.

إن تاريخ الحركة الشيوعية العالمية، يبين بوضوح، ضرورة الاستمرار في النضال بهذه الطريقة، لدحر مساعي الجماعات التحريفية المنظمة داخل الحزب للاستيلاء على هذا الأخير، وتنفيذ خط تحريفي. كانت هذه بالضبط هي المهمة الرئيسية للثورة الثقافية للاستيلاء على السلطة من كبار المسؤولين المنخرطين في الطريق الرأسمالي من أجل هزمهم وتدمير مركزهم التحريفي، ومن هنا تأتي سخافة محاولة خوجا استخدام الثورة الثقافية "لإثبات" أن ماو "سمح" بوجود مراكز بورجوازية داخل الحزب.

في الوقت نفسه، إذا أخذنا في الاعتبار وجود خطين في الحزب، وللأساس الاجتماعي لوجود هذين الخطين، فسندرك أيضا أن تشكل فصائل المعارضة البورجوازية في الحزب ليس ظاهرة عرضية أو هو غير قابل للتفسير، ولكنه جزء لا مفر منه من الصراع الطبقي ومن تطور الحزب، فكلما ظهرت ميول خاطئة، كلما كان الخط الخاطئ موجودا في حالة جنينية (وهو ما يحدث حتما للأسباب التي تم تلخيصها سابقا)، سيتقدم بعض الأفراد عاجلا أم آجلا، للدفاع عن هذه الميول، لتحويلها إلى خط وبرنامج متطور وكامل، وللقتال من أجل استبدال خط الحزب الماركسي ـ اللينيني بهذا الخط الخاطئ.

إن فهم هذه الحقيقة يمَكن، ولا يعيق، الحزب وجميع هيئاته وأعضائه من التعرف على هذه السيرورة بشكل أسرع أثناء تطورها (بشكل متكرر)، من أجل التصرف بشكل حاسم والتصدي لها.

إن الفصائلية (الحزبية) بحد ذاتها هي مظهر من مظاهر الخط الخاطئ. إنها تعكس الانقسامية والتنافسية، و "كل واحد لنفسه" التي تطبع الرأسمالية، على عكس التضامن والتعاون اللذين يميزان العمال كطبقة، لذلك يجب أن يحارب الماركسيون ـ اللينينيون الانقسامية كما فعل ماو في مبادئه الثلاثة الشهيرة حول ما يجب فعله وما لا يجب فعله:

مارس الماركسية وليس التحريفية؛ اعمل للوحدة وليس للانقسام، كن صريحا وفوق الشبهات، ولا تدبر المؤامرات والمكائد.

علاوة على ذلك، وكما أشار الثوار في الصين إلى ذلك (انظر تقرير وانغ هونغ وين (Wang Hong-wen) حول الدستور، الذي ألقي في المؤتمر العاشر للحزب)، فإن الخيارين الأخيرين "لمبادئ ما يجب فعله وما لا يجب فعله" يعتمدان على الأول [91] . يسعى الماركسيون – اللينينيون إلى الوحدة وليسوا في حاجة إلى نسج المؤامرات والمكائد، وقوتهم تنبع من كون خطهم يعكس بشكل صحيح الواقع الموضوعي، ويخدم مصالح الغالبية العظمى من الشعب، ويؤدي إلى تقدم الثورة إلى الأمام. هكذا، كلما تم الالتزام بالمبادئ اللينينية الصحيحة لحياة الحزب الداخلية، كلما تعزز الخط الصحيح بشكل عام.

من الواضح أن أولئك الذين يؤيدون الخط البورجوازي سيعملون حتما من أجل الانقسام، وسيدبرون المؤامرات والمكائد، لأنهم بهذه الطريقة، وفي هذه الساحة يجدون ويطورون قوتهم، تماما كما يهابون النضال السياسي المفتوح مثل الطاعون، ومن ثمة، فإن المسألة ليست "السماح" للفئوية (الحزبية) والمؤامرات والمكائد داخل الحزب، ولكن الاعتراف بأن النضال ضد كل هذا هو جزء من "ممارسة الماركسية وليس التحريفية"، وتنبيه أعضاء الحزب والجماهير إلى حقيقة أن العناصر التي تتبع خطا خاطئا لا يمكن أن تلتزم بالمبادئ التنظيمية الماركسية ـ اللينينية، وبالتالي يجب الحفاظ على اليقظة. إن إصرار خوجا على وجود "وحدة متجانسة" في الحزب، هو انعكاس لحقيقة أنه يرفض نظريا وعمليا أن يتخذ كنقطة انطلاق وأساس أي تحليل لمبدأ الواحد ينقسم إلى إثنين.

يرتبط هذا الرفض ارتباطا وثيقا بتبنيه في الواقع لفلسفة "مدرسة ديبورين" (التي سميت على اسم فيلسوف سوفياتي بارز، خاصة خلال العشرينات من القرن الماضي، الذي بَشر من بين أمور أخرى، بأن التناقض لا يوجد بالضرورة طيلة مدة تطور الشيء، ولكنه ينشأ فقط في مرحلة معينة من ذلك

[91]. المؤتمر الوطني العاشر للحزب الشيوعي الصيني (وثائق) (بكين، 1973)، ص. 46 (مرجع النص الفرنسي، ص. 51). أعيد طبعه في R. Lotta، (شيكاغو، 1978)، ص. 96.

التطور. على سبيل المثال، أعلنت مدرسة ديبورين أنه لا يوجد تناقض داخل "الطبقة الثالثة"("Tiers Etat"، "Third Estate")، أي بين القوى التي عارضت النبلاء ورجال الدين خلال الثورة الفرنسية، ولكن التناقض بين العمال والرأسماليين نشأ في وقت لاحق فقط، أي بعد تطور أكثر تقدما للإنتاج الرأسمالي)، واعتبر ماو تسي تونغ أنه من المهم للغاية النضال ضد مدرسة ديبورين، حيث أشار في عمله الشهير، "في التناقض"، إلى أن:

"مثالية ديبورين تركت أثرا سيئا جدا في الحزب الشيوعي الصيني، ولا يمكن أن نقول إن أسلوب الجمود العقائدي في التفكير داخل حزبنا لا يمت بصلة إلى أسلوب هذه المدرسة." [92]

وبالتالي فليس من المستغرب أن يجد خوجا في هجماته المسعورة على خط ماو ومحاولته قلب حكم التاريخ على وانغ مينغ (Wang Ming)، ملاذًا في المدرسة الفلسفية التي كان وانغ مينغ تلميذا وفيا فيها.

كيف يمكن تفسير ظاهرة بروز وانتصار التحريفية دون دراسة التناقضات الداخلية للحزب، والتناقض بين الخطين؟ فينبغي، إما أن يتخلص المرء من التناقضات الداخلية تماما وتصوير هذه الظاهرة على أنها استيلاء على الحزب من قبل قوى خارجية، أو (وهو ما يعود للأمر نفسه) الادعاء بأن التناقضات الداخلية للحزب لا تظهر إلا في مرحلة معينة من تطورها، وتنشأ من تأثيرات خارجية و"أخطاء" من جانب الثوريين، وهكذا دواليك، إن هذه التفسيرات كلها ترجع إلى الميتافيزيقيا.

لقد نفى ستالين وجود التناقض والخطين داخل الحزب، ولم "يسمح" بذلك، ومع ذلك، فإن هذا لم يمنع صعود التحريفية الخروتشوفية، فهل كانت الجماهير في الاتحاد السوفياتي مسلحة بشكل أفضل لفهم ما حدث، وما يجب فعله بسبب أخطاء ستالين هذه؟ بالطبع، يمكن أن نفهم أن ستالين ربما كانت لديه نظرة أحادية الجانب لحياة الحزب في ظل الاشتراكية، لأنه لم تكن هناك تجربة تاريخية لحزب

[92]. ماو، "في التناقض"، الأعمال المختارة، المجلد الأول، ص. 311. (مرجع النص الفرنسي، ص. 347).

شيوعي حقيقي نجح في القيام بالثورة، ثم تحول فيما بعد إلى نقيضه، إلى حزب بورجوازي يهدف إلى استعادة الرأسمالية * ، لكن الأمر مختلف تماما عندما يصر خوجا على تكرار أخطاء ستالين هذه، وجعلها مبادئ مطلقة، بينما أوجدت التجربة التاريخية منذ ذلك الحين أساسا مَكن الماركسيين ـ اللينينيين، وخاصة الرفيق ماو تسي تونغ، من تقييم هذه الأخطاء وتصحيحها والتغلب عليها.

عندما انتصرت الانتهازية في الأممية الثانية خلال الحرب العالمية الأولى، تمكن لينين، من خلال علم الديالكتيك، من تتبع تطور التناقض (وكذلك الجذور الاجتماعية والتاريخية) الذي أدى إلى هذه الخيانة، لقد أظهر كيف انقسمت الاشتراكية الديموقراطية إلى معسكر ثوري ومعسكر انتهازي، وكيف كان لهذه الظاهرة أساسها المادي في إنشاء أرستقراطية عمالية في البلدان الإمبريالية، وأن المدة الطويلة من العمل السلمي والقانوني قد أدت، من جهة، إلى أن تصبح الأحزاب الديمقراطية الاجتماعية أحزابا جماهيرية للعمال في أوروبا، ومن جهة أخرى، إلى أن أغلبية قيادة هذه الأحزاب تميل إلى تبني ممارسة ومنظور انتهازي وبرلماني في نفس الوقت، و أظهر لينين أيضا كيف انفجر التعفن الانتهازي مع اندلاع الحرب العالمية الأولى.

لا يستطيع خوجا تفسير صعود وتطور تحريفية خروتشوف، لأنه يرفض الاعتراف بأن التناقضات في الحركة الشيوعية العالمية لم تنشأ ببساطة مع انقلاب خروتشوف، لكنها انفجرت في تلك اللحظة فقط، لذا فإن "المساهمة العظيمة" لخوجا تكمن في نفي التقدم الحقيقي، الذي تم إحرازه في النضال ضد التحريفية خلال العشرين عاما الماضية، والإصرار على تقديس كل صياغة وكل خطأ (وكذلك الأساس الأيديولوجي لهذه الأخطاء) كالكتاب المقدس، ونعت كل من يرفض اتباع هذا الخط بالزندقة [93] .

* ـ قد تكون يوغوسلافيا استثناء، لكن من غير المرجح أن تكون الاشتراكية قد تحققت هناك، وأن عصبة الشيوعيين اليوغوسلافيين يمكن اعتبارها ماركسية ـ لينينية.

93. في حين أن هذا ليس المكان المناسب لتقديم نقد شامل لخط خوجا السياسي، إلا أنه من المفيد الإشارة إلى بعض الأخطاء الأخرى التي صمم خوجا على تقديسها: دعمه الكامل وبدون تمييز لخط ديميتروف

أخيرا، للرد على هجمات خوجا على خط ماو حول الحزب، يجب كشف الخلط الذي ينشره خوجا حول سياسات ماو في التعامل مع الصراع داخل الحزب. يقتبس خوجا مقولة لماو:

"وهكذا يمكننا استخدام كلتا يدينا للتعامل مع رفيق ارتكب أخطاء: بواحدة، سنناضل ضده، وبالأخرى، سنتحد معه. إن الهدف من هذا النضال هو التمسك بمبادئ الماركسية، مما يعني الحزم على المبادئ، هذا مظهر من المسألة، والمظهر الآخر هو الاتحاد معه، والهدف من الوحدة، هو أن نقدم له مخرجا للوصول إلى تسوية معه، [هذا ما نسميه بالمرونة]." [94]

لم يكتف خوجا بحذف تعريف ماو لمصطلح "تسوية" ("هذا ما نسميه بالمرونة")، بل قام كذلك بتصفية استنتاج ماو: "الاتحاد بين المبادئ والمرونة هو مبدأ ماركسي ـ لينيني، يشكل وحدة الأضداد [95]. بداية، يجب الإشارة إلى أن ماو لا يتحدث هنا إطلاقا عن المعادين للثورة المتشددين في الحزب، أولئك الذين يقودون الفصائل البرجوازية، فقد أكد ماو هذا تحديدا في الفقرة السابقة عن تلك التي اقتبسها خوجا:

"ومع ذلك، تجاه الأشخاص من نوع آخر، فإن موقفنا مختلف، اتجاه أفراد مثل تروتسكي، أو مثل

(Dimitrov) والمؤتمر السابع للأممية الشيوعية؛ الأطروحة التي قدمها ستالين في أوائل الخمسينيات، والتي مفادها أن البرجوازية الإمبريالية "أسقطت العلم الوطني"، وبالتالي يتوجب على الطبقة العاملة أن تلتقطه لتصبح أفضل المدافعين عن الأمة، حتى في البلدان الإمبريالية؛ عدم إدراك أو الأخذ في الاعتبار بأن بؤرة الثورة قد انتقلت من الغرب إلى الشرق (إلى البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة) خلال العقود التي أعقبت الحرب العالمية الثانية. في كل هذه الحالات، يواصل فيها خوجا الدفاع عن الأطروحات الخاطئة على الرغم من تقدم الماركسية ـ اللينينية.

[94]. نقلا عن خوجا في ص. 109 (مرجع النص الفرنسي، ص. 421)؛ الكلمات التي تظهر بين قوسين لا يقتبسها خوجا على الرغم من أنها جزء من الجملة، كما هو موجود في: ماو، "المنهج الجدلي لتثبيت وحدة الحزب"، الاعمال المختارة، المجلد الخامس، ص. 515 ـ 516. (مرجع النص الفرنسي ص. 560)

[95]. ماو، نفس المرجع.

وتشن تو-سيو (Tchen Tou-sieou)، وتشانغ كو-تاو (Tchang Kouo-tao)، وكاو كانغ (Kao Kang) في الصين، فمن المستحيل تبني موقف مفيد، ولا مجال لمساعدتهم، لأنهم غير قابلين للتصحيح." [96]

(هنا مرة أخرى، نرى أسلوب خوجا اللامع المجادل في العمل. في الواقع، إنه ينجز شيئين هنا: أولا، يجبر أي قارئ جاد للبحث عن الكتابات في النص الأصلي، لأنه بدون القيام بذلك، من المستحيل فهم ما يقوله ماو من خلال قراءة "اقتباسات" خوجا، ثانيا، يكشف عن الإفلاس التام لوجهة نظره، مدركا بنفسه أنه لا يستطيع أن يصمد في مواجهة وجها لوجه مع فكر ماو تسي تونغ).

لذلك فمن الواضح جدا أن ماو لا يدعو إلى وحدة غير مبدئية مع المتعصبين، وتكتسي وجهة نظره الحقيقية أهمية أكبر بكثير عندما يتم فحص سياق خطابه، الذي ألقاه في اجتماع موسكو عام 1957 لممثلي الأحزاب الشيوعية والعمالية، لأنه في هذا الاجتماع، قاد ماو صراعا معقدا للغاية للدفاع عن مبادئ الماركسية ـ اللينينية، وهو صراع تطلب تنازلات تكتيكية مع خروتشوف، من جهة، وجهودا حثيثة لحشد وتأسيس أرضية للوحدة مع أكبر عدد ممكن من 60 حزبا شيوعيا حضرت للاجتماع. إن وجهة نظر ماو واضحة، على الرغم من كونه عبر عنها بأسلوب إيسوبي * إلى حد ما.

خوجا يؤنب ماو لأنه اقترح في عام 1956 "انتخاب قادة الفصائل اليمينية واليسارية للجنة المركزية ..." [97] ، واختار إنفير خوجا عدم الكشف عن أسماء هؤلاء القادة، خوفا من الكشف عن نقطة ضعف أخرى في حجته، لأن أحد هؤلاء القادة لم يكن سوى صديقنا القديم وانغ مينغ (Wang Ming)، "البلشفي مائة بالمائة"، الذي يتوافق خطه مع خط خوجا. بالإضافة إلى ذلك، ستواجه خوجا صعوبة في تفسير سبب موافقة لينين وستالين أحيانا، على انتخاب قادة انتهازيين للجنة المركزية.

[96]. نفس المرجع، ص. 515. (مرجع النص الفرنسي، ص. 559).

*. هامش من وضع المترجم: إيسوبي، نسبة إلى إيسوب، شخصية إغريقية، اشتهر بكتابة حكايات فلسفية في القرن السادس قبل الميلاد.

[97]. خوجا، نفس المرجع، ص. 109 (مرجع النص الفرنسي، ص. 442).

أولا، من الصواب محاولة كسب الممثلين الرئيسيين السابقين للخطوط الخاطئة، ثانيا، ليس من الممكن دائما، ولا من المستحسن بالضرورة، إقصاء القادة الانتهازيين من مناصبهم في أي وقت. قد يكون، على سبيل المثال، أن هؤلاء القادة لم يتم كشفهم بعد، وأنهم ما زالوا يقودون قاعدة اجتماعية، وأن هذه القاعدة يمكن أن تتآكل بشكل كبير من خلال خوض صراع خاص لمدة زمنية معينة. كان هذا هو الحال، في جوانب عديدة، مع النضالات التي خاضها ستالين ضد اليمين كما ضد "اليسار" في العشرينات وأوائل الثلاثينيات. بالإضافة إلى ذلك، قد يكون أيضا أن زعيما تحريفيا معينا ليس بالممثل الرئيسي للخط التحريفي في لحظة معينة، وأن هجوما يتم شنه على جبهتين أو أكثر قد يؤدي إلى الهزيمة.

بالطبع، كان من الضروري في كثير من الأحيان، طوال تاريخ الحركة الشيوعية العالمية، النضال في وقت واحد على عدة جبهات، ولكن كانت هناك أيضا العديد من الحالات، منذ عهد ماركس وإنجلز، كان من الواضح فيها أن هناك صراع داخلي واحد كان على الثوريين أن يركزوا اهتمامهم به في المقام الأول، وحيثما لم يفعلوا بذلك كان من الممكن أن تكون له مشاكل وعواقب وخيمة للغاية. لا نعرف جميع الأسباب التي جعلت ماو يعتبر أنه من المستحسن انتخاب وانغ مينغ (Wang Ming) ولي لي سان (Li Li-san) في اللجنة المركزية في عام 1956، ولكن من الواضح أن مثل هذا العمل لا يشكل بالتأكيد استهتارا بالمبادئ الماركسية، أو أن يقال إنه انتهك مبدأ مقدسا للماركسية، لا أكثر ولا أقل من حقيقة انتخاب تروتسكي في اللجنة المركزية للحزب البلشفي مرارا وتكرارا حتى سقوطه الأخير في عام 1927، أو ربما يعتقد خوجا أن لينين وستالين لم يفهما حقا طبيعة تروتسكي الحقيقية؟

دعونا نلقي نظرة على منطق ماو بشأن هذه المسألة على النحو الذي أوضحه في خطابه خلال الاجتماع التحضيري للمؤتمر الوطني الثامن للحزب الشيوعي الصيني، وهو يدعو إلى إعادة انتخاب لي لي سان (Li Li-san) ووانغ مينغ (Wang Ming) في مقاعد اللجنة المركزية التي يشغلانها. هذان العنصران، بالطبع، هما ممثلين بارزين للخطوط التي كان لها خلال تاريخ الحزب، عواقب وخيمة للغاية.

بالإضافة إلى ذلك، ليس لدى ماو أي وهم بشأن خطوطهم الحالية، ولا سيما خط وانغ مينغ الذي حاول التراجع عن نقده الذاتي لأخطائه السابقة. في الواقع يؤكد ماو أن **"السؤال ليس ما إذا كان وانغ مينغ و لي لي سان سيصححان طريقتهما أم لا، هذا ليس له أهمية..."** [98] بل بالأحرى:

"جوهر المسألة هنا هو أنهم ليسوا مجرد عدد قليل من الأفراد المنعزلين، بل هم يمثلون جزءا كبيرا من البورجوازية الصغيرة، فالصين بلد به بورجوازية صغيرة كبيرة جدا، وجزء كبير من عناصرها يتأرجح [يمضي في الحديث عن مختلف فئات البرجوازية الصغيرة الصينية.]. فما الذي يمكن أن يعنيه التصويت لهذين الشخصين اللذين يمثلان خطوط وانغ مينغ و لي لي سان؟ هذا يعني أننا نتعامل مع الأشخاص الذين ارتكبوا أخطاء إيديولوجية بشكل مختلف عن أولئك المعادين للثورة والانقساميين (مثل تشن تو سيو (Tchen Tou-sieou) و تشانغ كو تاو (Tchang Kouo-tao) و كاو كانغ (Kao Kang) و جاو شو شي (Jao Chou-che)). هؤلاء الأشخاص يمارسون الذاتية والطائفية في وضح النهار، بإحداث الضجة والسعي إلى الانتصار من خلال برامجهم السياسية.... لذلك، فإن مشكلة وانغ مينغ ولي لي- سان ليست مشكلة عنصرين فقط، المهم هنا أن لهما أصلهما الاجتماعي" [99]

يواصل ماو، مشيرا إلى أن وجود هذين العنصرين في اللجنة المركزية المنبثقة عن المؤتمر السابع (المنتخبة عام 1945) لم يتسبب في خسائر كبيرة للبروليتاريا: **"... ومع ذلك فزنا بالنصر في الثورة، وانتصارنا [أي انتصار عام 1949] لم يتأخر لبضعة أشهر لمجرد أننا انتخبنا وانغ مينغ ولي لي سان "** [100] . يوضح ماو أكثر:

"البلد بأسره، والعالم بأسره، يعرف جيدا أنهم ارتكبوا أخطاء في الخط، وشهرتهم بالذات، هي

[98] . ماو، "تعزيز وحدة الحزب والمضي إلى الأمام في تقاليد الحزب" الأعمال المختارة، المجلد. 5، ص. 322. (مرجع النص الفرنسي، ص. 348).

[99] . نفس المرجع، ص. 320 (مرجع النص الفرنسي، ص. 346 ـ 347).

[100] . نفس المرجع، ص. 320 (مرجع النص الفرنسي، ص. 347).

بالتحديد سبب انتخابهم ...في بلد مثل بلدنا حيث البورجوازية الصغيرة كبيرة جدا.

فَهُمَا رايتان، إذا انتخبناهما سيقول كثير من الناس: إن الحزب الشيوعي لا يزال صبورا اتجاههما، يفضل الاحتفاظ بهما بمقعدين، على أمل أن يصححوا أساليبهما، وسواء أكانا يصححان ذلك أم لا، فهذه مسألة أخرى، علاوة على ذلك فهي ليست مهمة جدا، وتتعلق بهما فقط. فالمسألة المهمة هي أن البرجوازية الصغيرة في مجتمعنا ضخمة من حيث العدد، وأن هناك في حزبنا العديد من العناصر المتذبذبة من أصل برجوازي صغير، والعديد من العناصر المترددة بين المثقفين، وجميعهم يريدون معرفة ما سيحدث لهذه الحالات النموذجية. إذا رأوا هاتين الرايتين لا زالتا قائمتين، فسيشعرون بالطمأنينة، وسوف ينامون بهدوء وسيسعدون، أما إذا أسقطت هاتين الرايتين، فسوف يصابون بالذعر." [101]

وها هو ذا ماو يفتح بطريقة علنية ووقحة حزب البروليتاريا أمام الانتهازيين!

لقد استشهدنا بإسهاب هنا بمنطق ماو، ليس فقط لمحاربة طريقة خوجا في التشويه والاقتباس الخاطئ لأقوال ماو، ولكن أيضا لأنه من الممكن أن يسأل الثوار المخلصون أنفسهم أيضا أسئلة في هذا الصدد، لكن ما هو الخطأ هنا في تفكير ماو؟ كيف ينتهك مبادئ وجهة النظر الماركسية ـ اللينينية للذهاب عكس تيار الثورة؟ إنه لا يتعارض مع هذه المبادئ على الإطلاق، يؤكد ماو، أن وجود هذين العنصرين في اللجنة المركزية لن يضر بالمصالح الثورية للبروليتاريا، بل سيدفع بالثورة إلى الأمام في ظل الظروف الخاصة للمجتمع الصيني.

لقد كانا مشهورين للغاية ومكشوفين بشكل جيد، وهذا يعني أنهما لم يكونا في وضع يسمح لهما بإحداث الكثير من الضرر على الإطلاق. من ناحية أخرى، لم يكونا (في ذلك الوقت) عدائيين للثورة أو انقساميين، بل كانا شخصين ارتكبا أخطاء إيديولوجية في وضح النهار، وعلى وجه الخصوص خطأ

[101] ـ نفس المرجع، ص. 322 (مرجع النص الفرنسي، ص. 348).

التردد الذي تحمله بالضبط البورجوازية الصغيرة. لهذا السبب، كانا رمزين للبورجوازية الصغيرة الضخمة في الصين، ولكي تنجح الثورة الصينية، كان من الضروري للغاية أن تتحد البروليتاريا مع هذه البرجوازية الصغيرة، وأن تناضل معها بطريقة غير عدائية، وأن تكسب قيادتها لها (لفهم هذه الضرورة تماما، يجب أن نتذكر أن مئات الملايين من الفلاحين الصينيين كانوا جزءا من البورجوازية الصغيرة). لذا، فإن إبقاء هذين العنصرين في اللجنة المركزية لن يضر بالثورة (وفي الواقع، سيكون من الصعب للغاية إثبات أن وجودهما قد تسبب في أي ضرر)، لكن من ناحية أخرى، كان للإطاحة بهما سيؤدي إلى الكثير من الضرر، لأن مثل هذا الإجراء كان سيخلق اضطرابات وعدم ارتياح في قاعدتهما الاجتماعية، في وقت كان فيه الحزب الشيوعي يعمل من أجل الوحدة مع هذه القاعدة الاجتماعية بهدف الفوز بها وحشدها.

مع ذلك، يمكن للمرء دائما أن يتساءل، حتى لو حاول الحزب الشيوعي الصيني كسب هذه القاعدة، فلماذا استلزم ذلك وضع ممثلين بورجوازيين صغيرين في اللجنة المركزية للحزب البروليتاري؟ ألا يفترض أن تكون هذه المنظمة بالضبط حزبا للبروليتاريا، أليس هذا في الواقع يحولها إلى مجرد "حزب لمجموعة عناصر مختلفة من طبقات مختلفة" (هذه الأخيرة هي كلمات ستالين التي اقتبسها خوجا)؟ هناك العديد من الإجابات على هذه الأسئلة:

بادئ ذي بدء، تجب الإشارة إلى أن وجود أفراد في الحزب، وحتى في اللجنة المركزية، يلعبون دور ممثلي البورجوازية الصغيرة، لا يجعل من الحزب في الواقع مجموعة عناصر من طبقات مختلفة، أي أنه لا يغير بالضرورة الطابع الأساسي للحزب، كممثل وطليعة للبروليتاريا التي لها خط بروليتاري، ويجب على أي مراقب موضوعي أن يعترف بأن وجود وانغ مينغ ولي لي-سان لم يغير لا طابع ولا الخط الأساسي للحزب الشيوعي الصيني في الفترة التي أعقبت الكشف عن خطهما وهزمهما.

ثانيا، يجب الأخذ بعين الاعتبار الظروف الخاصة للثورة الصينية، فالمرحلة الأولى من الثورة الصينية هي الثورة الديمقراطية الجديدة، أي بعبارة أخرى، كان من اللازم أولا على البروليتاريا وحزبها أن يقودا إلى انتصار ثورة ديمقراطية بورجوازية تستهدف الإمبريالية والإقطاعية قبل المرور إلى

مرحلة الثورة الاشتراكية (كما قال ماو، الثورة الديمقراطية الجديدة هي ثورة بورجوازية ديمقراطية، لكنها "... لم تعد من النمط العام القديم، الذي تم الآن تجاوزه، بل من نمط خاص وجديد". وهي "... ثورة معادية للإمبريالية وللإقطاع، تقوم بها الجماهير الشعبية تحت قيادة البروليتاريا".) [102] ويترتب على ذلك، أنه كان من المحتم أن يصبح بعض الأشخاص الذين كانوا ثوريين حقا في ذلك الوقت (حتى أنهم قبلوا بالشيوعية من دون أن يستوعبوا حقا الماركسية ـ اللينينية) واللذين يمثلون في الواقع البورجوازية الصغيرة بدلا من البروليتاريا، أعضاء في الحزب القائد لهذه الثورة الديمقراطية البورجوازية من نمط جديد. كانت هذه ضرورة للقيام بالثورة في الصين، وإنكار هذه الحقيقة يعني إما أن المرء يتجاهل الحقائق التاريخية، أو أنه يسعى للتهرب من الواقع. بالنظر إلى أنها كانت ضرورة، ألم يكن من الأفضل بكثير، وأكثر ماركسية، الاعتراف بهذه الحقائق والتعامل معها (كما فعل ماو) بدلا من التظاهر بأنها لم تكن موجودة والتحدث فقط عن نقاء الحزب المنسجم؟

ثالثا، حتى في غياب الظروف الخاصة للصين، فإن الادعاء بأن الحزب الثوري يمكن أن يكون ذا نقاوة أحادية حتى بعد الاستيلاء على السلطة، هو في الواقع مجرد ذريعة وبث للأوهام. لقد أدرك لينين هذه الحقيقة جيدا عندما قال:

"تحت سلطة السوفييتات، سوف يتسلل إلى حزبكم وإلى حزبنا، حزب البروليتاريا، عدد أكبر من المثقفين البورجوازيين، سوف يتسللون إلى السوفييتات والمحاكم، وإلى الإدارات، لأننا لا نستطيع بناء الشيوعية إلا بالمواد البشرية التي خلقتها الرأسمالية، لا يوجد شيء أخر. لا يمكننا إبعاد المثقفين البورجوازيين أو إبادتهم، بل يجب هزمهم، وتحويلهم، وإعادة تشكيلهم، وإعادة تثقيفهم، مثلما يجب علينا، من خلال نضال طويل الأمد على أساس ديكتاتورية البروليتاريا، أن نعيد تثقيف البروليتاريين أنفسهم، فهم أيضا لا

[102] ـ ماو، "الثورة الصينية والحزب الشيوعي الصيني"، المؤلفات المختارة، المجلد. 2، ص 326-327. (مرجع النص الفرنسي، ص. 348 ـ 349).

يتخلصون من تحيزاتهم البورجوازية الصغيرة فجأة، دفعة واحدة، بمعجزة، بأمر من السيدة العذراء، أو بناء على أمر بإشعار، قرار، مرسوم، ولكن فقط على حساب نضال جماهيري طويل وصعب ضد تأثيرات جماهير البورجوازية الصغيرة." [103]

كيف! المثقفون البورجوازيون سيتسللون إلى الحزب البروليتاري! ولا يمكن إبعادهم من الحزب ولا إبادتهم؟ ولكن بعد ذلك، يجب أن نتذكر أن الليبرالي الشهير • لينين هو الذي يتحدث هنا، وليس نموذجا مثاليا للنقاء البروليتاري كإنفير خوجا! بالطبع، سيكون من الأفضل عدم تقديم مثل هذه التنازلات. لكن الثورات، بغض النظر عما يعتقده السيد خوجا الساكن في السحاب، تتم بالضبط من خلال، وأثناء مثل هذه التسويات التكتيكية، حتى داخل حزب البروليتاريا. ماذا يقول خوجا عن انتخاب تروتسكي عضوا في اللجنة المركزية السادسة للحزب البلشفي في غشت 1917؟ ألم ير لينين الطبيعة الحقيقية لتروتسكي؟ هل يمكن القول أن تروتسكي كان "بروليتاريا نقيا"؟ ألا يتعلق الأمر بحقيقة أنه كان من الضروري تقديم تنازلات معينة فيما يتعلق بتروتسكي، بل والذهاب إلى أبعد من ذلك وجعله قائدا، من أجل كسب قاعدته الاجتماعية التي كانت بورجوازية صغيرة أكثر منها بروليتارية، ليس فقط في تصورها للعالم، بل وأيضا من خلال تركيبها الطبقي، ألم ينضم كثير من هؤلاء إلى الحزب مع تروتسكي؟ *

---

[103] ـ لينين، مرض "اليسارية" الطفولي في الشيوعية"، الأعمال الكاملة، المجلد. 31، ص. 115. (مرجع النص الفرنسي، ص. 121 ـ 122).

• ـ ملاحظة من المترجم: دعابة الكاتب هنا في استخدامه لمصطلح "لبرالي شهير" في حق لينين، هي للسخرية من إنفير خوجا الذي نعت ماو تسي تونغ باللبرالي فيما يتعلق بوجود مثقفي البرجوازية الصغيرة وسط الحزب وأجهزة الدولة، فإن كان خوجا يعتبر هذا النعت في حق ماو تسي تونغ صائبا، فقد كان عليه قبل ذلك أن ينعت به لينين كذلك، وهو الذي سبق ماو تسي تونغ في هذا التكتيك اتجاه مثقفي البرجوازية الصغيرة، وهو الأمر الذي لم يتجرأ عليه خوجا، في حين أصدره في حق ماو، مع أن المسألة في جوهرها هي نفسها. وهو ما يزيد من التأكيد على خط التحامل وتشويه الحقائق الذي نهجه خوجا بكل الأساليب المنحطة في حق ماو تسي تونغ.

* ـ كان لتروتسكي بالطبع مهارات تنظيمية معينة أراد البلاشفة استخدامها في قيادة الثورة، وقد قدم بالطبع نقدا ذاتيا، كما تنصل رسميا من أخطائه السابقة (كما فعل وانغ مينغ ولي لي سان)

لنرى أخيرا هذا المقطع الهرطقي • من مناقشة ماو لهذه المسألة:

> هل يعني انتخابهم إذن أنه ينبغي على المرء أن يكافئ أولئك الذين ارتكبوا أخطاء؟ بما أن هؤلاء الأشخاص قد تم انتخابهم في اللجنة المركزية، ستقولون، حسنا، دعونا جميعا نرتكب الأخطاء، وعلى أي حال ستتاح لنا فرصة انتخابنا. هل هكذا تحدث الأمور؟ لا أعتقد ذلك. لدينا سبعون وبضع من أعضاء اللجنة المركزية لم يرتكبوا أخطاء عن قصد لإعادة انتخابهم! ... كل البلد، حتى العالم كله يعلم جيدا أنهم ارتكبوا أخطاء في الخط، وشهرتهم على وجه التحديد هي سبب انتخابهم. ماذا تريد؟ إنهم أشخاص مشهورين، بينما أنت من لم يرتكب أي أخطاء أو ارتكب أخطاء صغيرة فقط لست مشهورا مثلهم.

يقتبس خوجا جزءا من هذا النص وهو مصدوم، ضميره النقي ذعر به، ولا يسعنا مساعدته: يبدو أن "الثقافة الماركسية ـ اللينينية" (كذا) التي يتهم خوجا ماو بالتخلي عنها خالية تماما من روح الدعابة ** .

أو ربما لننظر أقرب قليلا إلى منزل (خوجا). بعد كل شيء، مرت الثورة في ألبانيا أولا بمرحلة وصفت رسميا بأنها "ثورة ديمقراطية مناهضة للإمبريالية"، أسست "النظام الديمقراطي الجديد" في ألبانيا [104] ، أليس من الممكن أن يكون بعض الأشخاص الذين تم قبول عضويتهم في الحزب، ممن لم يستوعبوا الماركسية ـ اللينينية بشكل صحيح، وكانوا من الناحية الموضوعية ديموقراطيين بورجوازيين أو ممثلين للبورجوازية الصغيرة؟ لكن، لا يتعين علينا الاعتماد على مجرد الافتراض، فدستور جمهورية ألبانيا الديمقراطية

• ـ ملاحظة المترجم: من الهرطقة، وهي هنا تعبير عن استمرار الكاتب في استخدامه بعض العبارات للسخرية من الفكر العقائدي لإنفير خوجا (وهي تعني تغييرا في منظومة المعتقدات الثابتة التي تتميز بها عموما المنظومات العقائدية الدينية)

** ـ مأخوذ من "المقطع الهرطقي" لماو المذكور أعلاه. الصفحات 347-348 من المجلد 5 من أعماله المختارة. يشكو خوجا (انظر الإمبريالية والثورة، الصفحات 409-410) من أن المقالات المكتوبة تحت إشراف ماو "مليئة بالصيغ النمطية الصينية الطبع"، وصعبة الفهم على المنظرين الألبان، لأنهم "تعودوا على التفكير والتعامل والكتابة بروح النظرية والثقافة الماركسية ـ اللينينية التقليدية".

[104] ـ تاريخ حزب العمل الألباني، مرجع سابق، ص. 275 ـ 277 (المرجع الفرنسي، ص. 292 ـ 293).

الشعبية (الذي تم استبداله منذ ذلك الحين بالدستور المعتمد عام 1976) لم يشر إلى الحزب إلا مرة واحدة فقط:

"ينضم المواطنون الأكثر نشاطا ووعيا من الطبقة العاملة والجماهير العاملة إلى صفوف حزب العمل الألباني، المنظمة الطليعية للطبقة العاملة وجميع *الجماهير العاملة*، في سعيهم لبناء أسس الاشتراكية والنواة القيادية لجميع منظمات الجماهير العمالية والاجتماعية والدولة." [105]

هل يعني ذلك أن حزب العمل الألباني لم يكن "حزب البروليتاريا فقط"؟ لقد تم شرح هذه النقطة بمزيد من التفصيل في النص الرسمي لتاريخ حزب العمل في ألبانيا، حين مناقشة المؤتمر الأول للحزب الشيوعي في ألبانيا الذي عقد سنة 1948، النص يؤكد أن:

"قرر المؤتمر الأول تغيير اسم الحزب، من الحزب الشيوعي الألباني إلى اسم حزب العمل الألباني (PTA). هذا التغيير فرضته التركيبة الاجتماعية للبلاد وللحزب، ولم يضر بطابعه أو أهدافه. إن الجزء الأكبر من السكان في ألبانيا (حوالي 80٪) يتألف من الفلاحين، وقد انعكس هذا الواقع أيضا في الحزب، حيث كانت الغالبية العظمى من أعضائه يعملون على الأرض في الأرياف". [106]

حسنا، على الأقل تحت قيادة ماو، لم يغير الشيوعيون اسم حزبهم ليُطلق عليه "حزب العمال والفلاحين الصيني" أو "حزب العمال الصينيين"!

بالطبع هذا لا يعني أن حزبا شيوعيا ماركسيا ـ لينينيا حقيقيا لا يمكنه، في ظروف معينة، جذب غالبية أعضائه من الفلاحين أو غيرهم من الفئات البورجوازية الصغيرة. إن المسألة المهمة هنا تتعلق بحقيقة أن خوجا على وشك أن يعلن أن طابع الحزب يجب أن يعتمد على "تركيبته الاجتماعية" (أي أن الحزب في بلد زراعي إلى حد كبير، ومعظم أعضائه من الفلاحين، يجب عليه أن يكون حزبا من العمال والفلاحين بدلا من حزب بروليتاري). لم يقدم حزب

[105] ـ نقلا عن ويليام آش (William Ash) في كتابه المعول والبندقية: تاريخ الشعب الألباني، (لندن، 1974)، ص. 112.

[106] ـ تاريخ حزب العمل الألباني، مرجع سابق، ص. 334 (مرجع النص الفرنسي، ص. 354 ـ 355).

العمل الألباني أبدا أي نقد ذاتي حول هذا الموضوع، ويستمر حتى اليوم في تسمية نفسه "حزب العمل". إن قيام خوجا بذلك في وقت ما، ثم إطلاقه الصواعق من السماء عندما يتناول ماو مسألة العناصر البورجوازية الصغيرة في الحزب الشيوعي الحاكم، هو مثال صارخ على نفاق خوجا، ولا مبدئيته التامة، ولا ماركسية أسلوبه في مناقشاته ومجادلاته.

ولعل الأكثر سخافة من بين جميع اتهامات خوجا لماو وللحزب الشيوعي الصيني، هي المزاوجة بين مقاربته البيروقراطية والميتافيزيقية لصراعات الحزب الداخلية، ونداءاته المنافقة لأشكال الديمقراطية الحزبية، فهو يعلن أن القادة الصينيين يتصرفون "بمكر"، "لم ينشروا على الملأ العديد من الوثائق الضرورية لمعرفة نشاط حزبهم ودولتهم. لقد كانوا ولا زالوا حذرين للغاية من نشر وثائقهم ". [107] *

إذا كان هناك حزب في تاريخ الدول الاشتراكية، قد فعل كل شيء حتى نتمكن من فهم خطه بشكل عميق، وأن نتمكن من معرفة كيفية تطور هذا الخط في صراعه ضد الخطوط الخاطئة، والطريقة التي ظهر بها في كل مجالات النشاط الثوري، فهو الحزب الشيوعي الصيني **. نود أن نذكر خوجا

[107] ـ خوجا، الإمبريالية والثورة، ص. 106 (مرجع النص الفرنسي، ص. 409).

* ـ في نفس المقطع يثير خوجا ملاحظة غريبة جدا حول المجلدات الأربعة لماو، مفادها أن تلك المجلدات تم "التلاعب فيها بعناية شديدة، بحيث لا تقدم صورة مضبوطة للأوضاع كما تطورت فعلا في الصين". لكنه لا يجرؤ على تقديم أي دليل يدعم هذا الاتهام. فهو لا يريد التوسع في هذا الموضوع، لأن هذا الاتهام هو صادر عن الصحافة السوفياتية. انظر على سبيل المثال، *وجهات النظر الفلسفية لماو تسي تونغ*

M. Altaisty, V. Georgigev, The Philosophical Views of Mao Tsetung: A Critical Analysis (Moscou, 1971), (La philosophie de Mao Tsétoung).

نجد في هذه المقالة العديد من افتراءات خوجا ضد ماو، مثل الادعاء بأن ماو كان "عنصريا" وما إلى ذلك. وبصورة مماثلة، يثير خوجا ضجة حول كون "المؤتمر، بصفته الهيئة الجماعية العليا للحزب، لم ينعقد بانتظام". هنا أيضا يعلق أهمية كبرى على الشكل أكثر من محتوى الشيء، ويبدو وكأنه برلماني برجوازي أكثر منه شيوعي. (وبما أن خوجا المتعنت هو من مؤيدي عقد المؤتمرات الحزبية بانتظام، فقد يسأله المرء عن سبب عدم انعقاد المؤتمر الأول للحزب الشيوعي الألباني حتى عام 1948، أي بعد حوالي سبع سنوات من تأسيس هذا الحزب، وأكثر من ثلاث سنوات بعد تحرير البلاد).

** ـ هكذا كان الحال في الاتحاد السوفياتي خلال السنوات الأولى للاشتراكية. ولكن منذ منتصف الثلاثينيات فصاعدا، أصبح من الصعب أكثر فأكثر الحصول على منظور عام لصراع الخط في الاتحاد السوفيتي من خلال الوثائق المطبوعة.

بالمثل القديم "على من يسكن في بيوت زجاجية ألا يرشق بالحجارة". لأنه من المستحيل الحصول على منظور مضبوط لصراع الخطوط في ألبانيا، وعلى الخصوص لشروط الصراع الذي دار بين قادة حزب العمل الألباني ومختلف مجموعات المعارضة، التي تشكلت وهُزمت داخل الحزب. إن وثائقهم، بدون استثناء تقريبا، تتحدث فقط عن هذا أو ذاك "العميل الأجنبي"، أو هذا "المنحط" أو ذاك، إلخ...، الذي حاول تخريب الحزب. وبصرف النظر عن بعض الملاحظات المختصرة والسطحية للغاية، فإن المحتوى السياسي لمختلف خطوط المعارضة لم يكشف لنا عنها أبدا، وإذا رغب خوجا بالقول إنه لم يكن هناك أي خطوط تحريفية في حزب العمل الألباني، فسنجيبه مرة أخرى: نحن لا نصدق ذلك، ولا أحد يصدق ذلك حقا، ولا حتى متملقوك.

لقد تناولنا بشكل مكثف نقد خوجا لخط ماو فيما يتعلق بطابع الحزب، حيث أن الأوركسترا التي يقودها خوجا تعلن عن عملها كما لو أنها قابلة للتطبيق عالميا. في الحقيقة هو خطأ عالمي. إن أطروحته حول "الوحدة المتجانسة للحزب" ليست أكثر صحة بالنسبة للأحزاب التي ليست بعد في السلطة، منها للأحزاب التي هي في السلطة، لكن يجب أن نضيف أيضا أنه إذا كان تطبيق العديد من الصيغ التي يقدمها خوجا والتفكير الميكانيكي الذي يروج له، هو خطأ بالنسبة لحزب لم يصل بعد إلى السلطة، فسرعان ما ستصبح وصفة حقيقية لكارثة عند تطبيقها بالنسبة لحزب يحاول قيادة دولة اشتراكية.

إن هذا يرجع إلى أن طبيعة الصراع الطبقي تتغير نوعيا بعد انتصار الثورة الاشتراكية، وعلى الخصوص بعد إنجاز التحول الأساسي للقاعدة الاقتصادية. في ظل الرأسمالية، يعتبر الصراع الطبقي في الحزب، وبتعبير خوجا نفسه، "انعكاسا للصراع الطبقي الذي يجري خارجه ..." [108] ، لكن خوجا لا يميز بين الصراع في ظل الرأسمالية والصراع في ظل الاشتراكية. يقول:

"ليس الحزب ساحة طبقية يجري فيها صراع بين طبقات عدائية ..." [109] حقا؟ وكيف يفسر خوجا الانقلاب الذي قاده

[108] ـ خوجا، مرجع سابق، ص. 109 (مرجع النص الفرنسي، ص. 421).

[109] ـ نفس المرجع.

خروتشوف؟ كيف يفسر عامين من النضال المرير في الهيئات العليا للحزب السوفياتي بعد وفاة ستالين؟ أليست صراعا بين طبقات عدائية، ألم يجري داخل الحزب الشيوعي نفسه؟ وماذا عن نضال ستالين ضد تروتسكي وبوخارين وآخرين خلال العشرينيات، صراعات استمرت عدة سنوات؟

في الواقع، على الرغم من أن خوجا لا يريد الاعتراف بذلك، فإن تحليله لهذا الموضوع مشابه جدا لتحليل هوا كو فنغ (Houa Kouo-feng) و تينغ سياو بينغ (Teng xiaoping)، فعند الاستيلاء على السلطة، شن هوا (Houa) وشركاؤه هجوما نظريا كبيرا على تعاليم ماو حول مسالة أن البورجوازية "موجودة في الحزب الشيوعي"، باستخدامه خط من الحجج مشابه بشكل ملحوظ لخط حجج خوجا، فقد قدم هوا (Houa) حجة أن الصراع الطبقي في الحزب ما هو إلا انعكاس للصراع الطبقي في المجتمع بشكل عام، وبينما هو يتشدق ببعض أقوال ماو الشهيرة حول هذا الموضوع، اتهم "عصابة الأربعة" (التي كان يقودها ماو كما يعلم الجميع) للترويج لفكرة أن البورجوازية كطبقة موجودة داخل الحزب. وفقا لحجج هوا (Houa) وخوجا معا، إذا كان هذا صحيحا، فلا يمكن للحزب أن يكون حزب البروليتاريا [110] . لقد كانت دوافع هوا كو فنغ وتينغ كسياو بينغ واضحة لاتخاذ هذا الخط، فقد أرادا توجيه الانتباه بعيدا عن القادة الرئيسيين للبورجوازية ككل من أجل حمايتهم، داخل الحزب وخارجه، والذين لم يكونوا سوى المسؤولين المنخرطين مثلهم في الطريق الرأسمالي.

يجدر بنا أن نقتبس من الحزب الشيوعي الصيني حول هذا الموضوع، عندما كان الحزب لا يزال تحت قيادة خط ماو الثوري، وعندما كانت المعركة ضد المسؤولين المنخرطين في الطريق الرأسمالي في الحزب تقترب من المواجهة الحاسمة:

[110]- انظر تقرير هوا (Hua) إلى المؤتمر الحادي عشر للحزب الشيوعي الصيني في المؤتمر الوطني الحادي عشر للحزب الشيوعي الصيني (وثائق) (بكين، 1977).

"إن التناقض الأساسي في كل الفترة التاريخية للاشتراكية هو التناقض بين البروليتاريا والبورجوازية. مع تغير ميزان القوى الطبقية، يجد الصراع الطبقي بين البروليتاريا والبرجوازية تعبيرا له في الحزب بطريقة عميقة وحادة بشكل متزايد." [111]

في المقال المذكور أعلاه، كما في العديد من المقالات الأخرى، يقدم ثوريو الحزب الصيني تحليلا ماديا للتناقضات في الاشتراكية، وتحديدا للتناقض الأساسي بين البروليتاريا والبورجوازية، وهو التناقض الذي ينفيه خوجا، مدعيا بأن الاشتراكية "تؤدي إلى إزالة الطبقات العدائية واضطهاد الإنسان واستغلاله للإنسان" [112] (إزالة، على ما يبدو لأن الدستور الألباني الجديد "لا يسمح بذلك")!

يشير مقال الحزب الصيني المقتبس أعلاه إلى:

"إن الخط التحريفي لرواد الطريق الرأسمالي في الحزب، هو تركيز لمصالح البورجوازية القديمة والجديدة، ولمصالح جميع الطبقات المستغِلة الأخرى، وهو الذي يحدد الطبيعة الطبقية البورجوازية لمسؤولي الحزب.... من زاوية نظر الاقتصاد، فإن السبب الذي يجعل مسؤولي الحزب المنخرطين في الطريق الرأسمالي هم بورجوازية داخل الحزب، هو أنهم يمثلون علاقات الإنتاج الرأسمالية المنحلة.

خلال المرحلة الاشتراكية، تريد البروليتاريا باستمرار تحويل البنية الفوقية وعلاقات الإنتاج التي لا تتوافق مع القاعدة الاقتصادية ولا مع قوى الإنتاج الاشتراكية، كما تريد إنجاز الثورة الاشتراكية حتى النهاية، بينما يبذل مسئولو الحزب المنخرطين في الطريق الرأسمالي قصارى جهدهم، للحفاظ على البنية الفوقية وعلاقات الإنتاج التي تعيق تطور القاعدة الاقتصادية وتطور قوى الإنتاج الاشتراكية،

---

[111]. فانغ كانغ (Fang Kang)، "المسؤولون المنخرطون في الطريق الرأسمالي هم البرجوازية داخل الحزب"، مراجعة بكين رقم 251976. أعيد طبعه في Mao Makes، 5، ص. 360. (مرجع النص الفرنسي، Pékin Information، رقم 25، 1976، ص 8).

[112] ـ خوجا، مرجع سابق، ص. 113 (مرجع النص الفرنسي، ص. 438).

تماما كما يسعون دون جدوى لاستعادة الرأسمالية." [113]

مقال آخر، نُشر في نفس الفترة تقريبا (خلال حملة "نقد تنغ (Teng) والرد على الانحراف اليميني" في سنة 1976) يتناول هذه المسألة بعمق أكبر:

"إذا كانت قيادة قسم أو وحدة تحت سيطرة المسؤولين المنخرطين في الطريق الرأسمالي الذين يدفعون الخط التحريفي بقوة، فإن الإنتاج الاشتراكي سيتحول إلى حركة لمضاعفة قيمة رأس المال، مع السعي لتحقيق أقصى قدر من الربح كهدف وحيد، بعبارة أخرى، هو نظام رأسمالي للعمل المأجور، وسيصبح نظام الملكية الاشتراكية، الذي يتم تقليصه إلى "مجرد مظهر" فعليا، نظام ملكية رأسمالية تحت قيادة المسؤولين المنخرطين في الطريق الرأسمالي، وستفقد البروليتاريا والشعب العامل في الواقع هذا الجزء من وسائل الإنتاج.

إذا نظرنا إلى العلاقات المتبادلة بين الناس، اللذين يعيشون في ظل نظام اشتراكي، الذي لا يقوم على استغلال واضطهاد الإنسان للإنسان، فإننا نعلم أن العلاقات بين الكوادر والجماهير، وبين المستويات العليا والدنيا في صفوف الثوريين، يجب أن تكون علاقات مساواة بين الرفاق، ومع ذلك، فإن الفروق الرئيسية الثلاثة (الفرق بين العمال والفلاحين، بين المدينة والريف، بين العمل اليدوي والعمل الذهني) لا تزال موجودة، بالإضافة إلى الممارسة القديمة لتقسيم العمل، ونظام الأجور المتدرجة، إذن فالحقوق البورجوازية لا تزال موجودة إلى حد كبير جدا. حتى هذه الحقوق البورجوازية في العلاقات المتبادلة بين الناس، والتي يجب القضاء عليها من الآن، مثل التدرج الصارم [للأجور]، فرضها على الجماهير والتحلل منها، فالمعاملة غير المتكافئة في العلاقة مع البعض، وما إلى ذلك، غالبا ما تعاود الظهور بعد أن تم القضاء عليها، فإذا تم الاستيلاء على قيادة أقسام معينة من قبل أولئك المسؤولين المنخرطين في الطريق الرأسمالي، فسوف يسعون إلى تعزيز وتوسيع الحقوق البورجوازية في العلاقات بين الناس، وإخضاع العمال ل "المراقبة والضبط

[113] ـ فانغ كانغ، مرجع سابق، ص. 362. (مرجع النص الفرنسي، ص.9).

والقمع"، محولين العلاقات الاشتراكية بين الناس إلى علاقات ارتزاقية رأسمالية، وفارضين الدكتاتورية البرجوازية. هذا الوضع هو واضح اليوم بشكل خاص في الاتحاد السوفياتي ". [114]

ويتابع المقال:

"إن ظهور المسؤولين المنخرطين في الطريق الرأسمالي داخل الحزب خلال المرحلة الاشتراكية ليس غريبا على الإطلاق. كل شيء ينقسم إلى إثنين، والحزب السياسي للبروليتاريا ليس استثناء، فطالما بقيت الطبقات، التناقضات الطبقية، والصراعات الطبقية، فإن هذه الصراعات ستنعكس حتما داخل الحزب. "المسؤولون المنخرطون في الطريق الرأسمالي لم يتوقفوا عن السير في هذا الطريق"، ستكون هذه ظاهرة تاريخية طويلة الأمد.

تختلف الماركسية عن التحريفية في كون هذه الأخيرة تخشى الاعتراف بوجود الصراع الطبقي في المجتمع الاشتراكي، وعلى الخصوص ظهور البورجوازية داخل الحزب. لقد حاول خروتشوف وبريجنيف وأمثالهما خداع أنفسهم وخداع الآخرين بمغالطات من قبيل "حزب الشعب بأسره" و "دولة الشعب بأسره". ويخشى تينغ كسياو بينغ (Teng xiao-ping) من سماع مصطلح "المسؤول المنخرط في الطريق الرأسمالي".

تماما كما يخشى Ah Q [115] سماع الحديث عن القشرة فوق رأسه. هذا لأنهم إذا اعترفوا بهذه الحقيقة، فإن ذلك بمثابة الاعتراف بأنهم هم أنفسهم البورجوازية داخل الحزب، وبالتالي هذا يعني القضاء عليهم. هذا الأمر بالنسبة لهم مؤلم ولا يمكن تصوره، فالحزب البروليتاري الثوري والماركسيون لا يجرؤون فقط على

---

[114] ـ تشوانج لان (Chuang Lan)، "أصحاب الطريق الرأسمالي هم ممثلو علاقات الإنتاج الرأسمالية" Mao Makes، 5، ص 369-370. ظهر هذا المقال لأول مرة في "Study and Criticism"، المجلة التي صدرت في شنغهاي تحت القيادة المباشرة للأربعة، وتم قمعها منذ انقلاب 1976.

[115] ـ ملاحظة من المترجم: هي رواية قصيرة صدرت تحت عنوان "القصة الحقيقة ل Ah Q "، للكاتب لو شون (Lu Xun)، ظهرت في الأصل كسلسلة أسبوعية في "أخبار الصباح" (مورنينغ نيوز) من 4 دجنبر 1921 إلى 12 فبراير 1922. وهي عبارة عن قصة ساخرة حول المجتمع الصيني والثورة الفاشلة لسنة 1911، حيث كان كاتب القصة قد شارك فيها بمسقط رأسه في "شاوشينغ".

الاعتراف بإمكانية وجود البورجوازية داخل الحزب فحسب، بل يجرؤون أيضا على خوض الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى، ويجرؤون على دعوة الجماهير للتعبير عن آرائها، ووضع ملصقات بأحرف كبيرة، وعقد نقاشات جماهيرية كبيرة في الصراع الحازم ضد المسؤولين المنخرطين في الطريق الرأسمالي، لأنه بهذه الطريقة فقط يمكننا توطيد دكتاتورية البروليتاريا ومنع عودة الرأسمالية، وإرسال البورجوازية في النهاية إلى قبرها وتحقيق الشيوعية. إن الثورة الاشتراكية هي ثورة عظيمة تهدف إلى دفن آخر طبقة مستغلة منذ ظهور البشرية.

"في مثل هذا الوقت، يجب أن نكون مستعدين لخوض صراعات عظيمة تختلف في نواح كثيرة عن أشكال النضال التي حدثت في الماضي" [ماو]. "لذلك من الضروري أن نطبق طريقة التحليل الطبقي لفهم خصائص الصراع الطبقي بشكل كامل والتغيرات في العلاقات الطبقية، وذلك لتوضيح هذه المسألة المهمة، أي مسألة وجود البورجوازية داخل الحزب، والاستمرار في ممارسة الدكتاتورية الكاملة للبروليتاريا على البورجوازية، وبالتالي مواصلة الثورة الاشتراكية حتى النهاية." [116]

إن المقاطع المقتبسة أعلاه، حددت بطريقة واضحة وموجزة خط ماو تسي تونغ حول طبيعة الصراع الطبقي في ظل الاشتراكية، هذا هو الخط الذي أطيح به في الصين الحالية، ويتعرض الآن للهجوم من قبل خوجا، وبالطبع، كان هذا الخط أيضا هو الذي تعرض لهجوم محموم من قبل التحريفيين السوفيات طوال الوقت. لا تتحد الخطوط السوفياتية والألبانية وهوا و تنغ (Houa-Teng) على مهاجمة الإسهامات العظيمة لماو في هذا الموضوع فحسب، بل إنها تشترك في العديد من الخصائص، وقبل كل شيء في نفي الديالكتيك.

لم ينجح أي من الثلاثة في تحليل الاشتراكية (أو ما يسمونه "الاشتراكية") انطلاقا من تناقضاتها الداخلية، ويرفضون (علانية في حالة الألبان، والسوفيات بشكل أقل علنية، ولكن بالتأكيد في الأساسي في حالة القادة الصينيين الحاليين)

[116] ـ نفس المرجع، ص. 373.

الاعتراف بأن الطبقات العدائية تستمر في الوجود طوال فترة الانتقال الاشتراكي.

دعونا نفحص ادعاء خوجا بأنه لا توجد طبقات عدائية في ظل الاشتراكية، وبعبارة أخرى، أن البورجوازية كطبقة قد تم القضاء عليها ولم يتبق سوى "بقايا" فقط وتأثير إيديولوجيتها، إلخ...

كان ستالين هو أول من طرح هذه الأطروحة بالإعلان على أن البورجوازية كطبقة قد تم القضاء عليها في الاتحاد السوفياتي مع استكمال التحول الاشتراكي لنظام الملكية. لقد مثلت هذه الصيغة تركيزا لأخطاء ستالين، وكشفت عن الأساس الإيديولوجي ـ أي الميول نحو الميتافيزيقيا ـ الذي يشوه تفكيره، لكن ورثة ستالين الحقيقيين، الماركسيون ـ اللينينيون الحقيقيون لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية والبروليتاريا الثورية للعالم أجمع، تلقوا درسا مريرا ومأساويا للغاية. لم يقتصر الأمر على بقاء البورجوازية في الوجود فحسب، بل نجحت أيضا في العودة والاستيلاء على سلطة الدولة، وتنفيذ استعادة الرأسمالية. لا يسع المرء أمام محاولة خوجا في إحياء خط أثبت التاريخ خطأه، إلا أن يردد: ما كان مأساة في المرة الأولى يصبح مهزلة في المرة الثانية، لكن لسوء الحظ، ليس هناك ما يضحك في هذه المهزلة، فبصدمة الانتكاسة الشديدة التي تعرضت لها مرة أخرى البروليتاريا الأممية (أي الهزيمة المؤقتة للثورة في الصين)، أصيب العديد من الماركسيين ـ اللينينيين والشعوب ذات التفكير الثوري بالارتباك، فيعرض عليهم خوجا طُعما من الميتافيزيقيا والمثالية، ويُقدم لهم مملكة من السحب، حيث من المفترض أن الاشتراكية لم توجد أبدا في الصين، لأن ماو قد "سمح" للبورجوازية بالوجود، وبالتالي فمن البديهي أن الهزيمة في الصين ليست حقيقة هزيمة! لكن في هذا العالم الوهمي (مملكة السحاب)، هناك أمل، إذا استولى الماركسيون ـ اللينينيون الحقيقيون على السلطة، فسيتمكنون من الفوز باللعبة، وهكذا، فإن البروليتاريا، متقدمة بثبات و "دون انقطاع"، لن تضطر إلى المرور بالفوضى، ولا لنضالات مريرة أو انتكاسة، وستصل ببساطة إلى مملكة الانسجام والاستقرار الدائمين. حسنا، القس خوجا، رؤيتك للعالم لا تصمد! لقد سئمت الطبقة العاملة والشعب من القصص الخرافية، ولم يعودوا مهتمين حتى

بتلك لما يسمى بالشيوعيين. إن العمال لا يريدون ضمانات، ويدركون بسرعة أن الأغبياء والانتهازيين فقط، هم اللذين يجرؤون على تقديم النصر دون إمكانية الهزيمة، ما يريده في الواقع العمال الواعون طبقيا، هو العلم وتفسير القوانين التي تحكم المجتمع، الذي سيمكنهم من تغيير العالم وفقا لقوانينه الموضوعية.

دعونا نعود للحظة إلى مسألة اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية في السنوات التي سبقت قطع خروتشوف "المسيرة إلى الأمام بدون انقطاع". إذا لم تكن هناك طبقات عدائية، وإذا لم تكن هناك بورجوازية، فمن أين أتى خروتشوف وأتباعه الكثيرين؟ هل كانوا أبناء ملاك الأراضي أو رأسماليين سابقين، أو ربما "عملاء أجانب" من البلدان الإمبريالية، الذين تسللوا إلى الاتحاد السوفياتي؟ بعيدا عن ذلك، نشأ خروتشوف وزمرته تحت العلم الأحمر، وكانوا مسؤولين رفيعي المستوى في الحزب الشيوعي، وبإمكانهم الاقتباس أكثر من خوجا حول "نقاء" الماركسية ـ اللينينية.

لكنهم كانوا بورجوازية * ، لم تكن بورجوازية متطورة بالكامل، لأن ذلك يتطلب سلطة الدولة للوصول إلى ذلك، ولكنها مع ذلك كانت بورجوازية. لقد نشأت وانتعشت على بقايا علاقات الإنتاج والتوزيع الرأسمالية القديمة التي كانت لا تزال موجودة، والتي لا يمكن إلا أن توجد، ليس لأن ستالين "سمح" بهذه العلاقات الرأسمالية (على الرغم من أنه لم يعترف بها على أنها علاقات رأسمالية إلا عند نهاية حياته. وهنا مرة أخرى بشكل جزئي)، ولكن لأن كل "الندبات" الاقتصادية والسياسية والإيديولوجية للمجتمع الرأسمالي لا يمكن القضاء عليها، لا بضربة واحدة ولا برغبة بسيطة. لا

* ـ مثلما يستحيل على البرجوازية أن توجد في ظل الاشتراكية بنفس الشكل تماما كما هو الحال في ظل الرأسمالية، فإن مصطلح البروليتاريا يأخذ هو أيضا معنى جديدا. لم تعد البروليتاريا في ظل الاشتراكية "طبقة بلا ملكية" كما هي في ظل الرأسمالية، ولم تعد تخضع لسيطرة رأس المال. لكن الادعاء بأن الشيوعيين ينبغي عليهم ألا يتحدثوا عن البروليتاريا في المرحلة الاشتراكية سيكون ذروة السخافة وأيضا تحريفية. في الواقع، تستمر البرجوازية والبروليتاريا في الوجود بعد الثورة الاشتراكية، ولكنهما يكتسيان خصائص مختلفة عن تلك التي كانت في ظل الرأسمالية. يمكن للمرء أن يرى بسهولة كيف أن المنهج الدوغمائي (التطبيق الصارم للتعاريف "الماركسية" مقابل تحليل الحالة التي لا تنطبق فيها هذه التعريفات بشكل صارم) يتناسب بشكل جيد مع الاستنتاج التحريفي: اختفاء الطبقات العدائية.

يمكننا التخلص منها إلا شيئا فشيئا، وفقا لمزيد من تثوير علاقات الإنتاج والبنية الفوقية، مما يسمح، على هذا الأساس، بتقدم تطور القوى المنتجة.

إن التحريفيين في الحزب السوفياتي، مثل أبناء عمومتهم في الصين، انتعشوا من بقايا العلاقات الرأسمالية القديمة، وأصبحوا بذلك التعبير السياسي لهذه البقايا، ويكافحون من أجل الحفاظ على هذه العناصر الرأسمالية وعلى تطويرها، وحتى عندما كانت البروليتاريا لا تزال على رأس الحزب والدولة، وكان التحريفيون حينها هدفا للهجمات السياسية، فإن أولئك الذين اتبعوا الطريق الرأسمالي داخل الحزب تمكنوا من الاستيلاء على قيادة بعض الوزارات والوحدات والمصانع، إلخ...، وكذلك على بعض الأقسام الرئيسية في الحزب نفسه، والمؤسسات الثقافية والتعليمية والعلمية وما إلى ذلك في جميع أنحاء المجتمع. إن هذه الحقيقة لا يمكن إنكارها.

ماذا يتصور خوجا أن يكون عليه طابع العلاقات في القطاعات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، التي سيطر عليها التحريفيون قبل أن يتمكنوا من الاستيلاء على سلطة الدولة على الصعيد الوطني؟

هل يعتقد حقا أنه في المصانع التي تقودها عصابة خروتشوف، لم يكن هناك أي عنصر من عناصر الاستغلال؟ ولا أي تملك خاص من طرف هؤلاء البيروقراطيين لثمار قوة العمل الجماعي للعمال؟ هل يعتقد حقا أن هذه المصانع على سبيل المثال، هي بالكامل مملوكة للشعب من حيث المحتوى وكذلك الشكل؟ أم أنه ليس صحيحا أن التحريفيين نفذوا إلى أقصى درجة ممكنة جميع السياسات التي تمكنوا، حيث أمكن لهم ذلك، من تنفيذها بشكل كامل، وعلى نطاق كامل وطنيا بعد أن نجحوا في الاستيلاء على سلطة الدولة؟

لا، التحريفيون ليسوا مجرد بيروقراطيين من دون طبقة، لديهم بعض المفاهيم الخاطئة: إنهم، كما كانوا دائما، عناصر رأسمالية تمتص دماء العمال. سياسيا، حاولوا فرض ديكتاتورية بورجوازية في جميع القطاعات التي يسيطرون عليها. لقد استخدموا معاقلهم في مجالات الثقافة والتعليم والعلوم لنشر الإيديولوجية البورجوازية ومحاربة الماركسية

ـ اللينينية، من أجل إعداد الرأي العام للطريق الذي عقدوا العزم على مباشرته.

من داخل الحزب، الذي هو الساحة، حيث يجد الصراع الطبقي نقطته المحورية وشكله الأكثر تركيزا، شجعوا التحريفية، وطالبوا بتبني الخطوط والسياسات التي تعكس مصالحهم الخاصة في التطور كمستغِلين، وحاربوا من أجل تصفية الخط الماركسي اللينيني.

كل هذا يبدو أنه جد أولي، في ضوء التاريخ الفعلي لانتصار التحريفية في الاتحاد السوفياتي، لكن ليس حسب إنفير خوجا، فحسب وجهة نظره الميتافيزيقية والمثالية، فإن التناقض بين البروليتاريا والبورجوازية لا يظهر إلا بعد أن استولى التحريفيون على السلطة. مرة أخرى ترفع مدرسة ديبورين للفلسفة رأسها القبيح، حيث التناقض بين البروليتاريا والبورجوازية، العداء بين البروليتاريا والبورجوازية، لا يمكن أن ينشأ إلا في لحظة معينة، ظاهرا في يوم جميل ومتطور بالكامل من رأس زيوس (Zeus)! وهذا على الأقل يحدث في بلد لم "يسمح" فيه الثوريون بوجود البورجوازية، أو طبقات عدائية، أو خطوط خاطئة في الحزب! لا يستطيع خوجا أن يفهم وجود البورجوازية في ظل الاشتراكية، لأنه لا يستطيع أن ينفذ إلى ما وراء سطح الظواهر، والقبض على تناقضاتها الجوهرية. إنه لا يفهم جوهر الرأسمالية (هيمنة العمل الميت على العمل الحي، الاستيلاء الخاص على الإنتاج الاجتماعي للطبقة العاملة)، وبدلا من ذلك فهو لا يرى سوى أشكالا وآثارا معينة للاستغلال الرأسمالي: الشركات المساهمة، دفع الفوائد، وواقع أن بعض الأشخاص يعيشون في معسكرات (داشو dachaus) ولا يشاركون أبدا في العمل اليدوي، إلخ، ولهذا السبب لا يستطيع أن يفهم أن البورجوازية يمكن أن توجد، سواء كان ذلك "مسموحا به" أم لا، حتى داخل الحزب والمجتمع الاشتراكي.

إن دور الحزب نفسه في ظل الاشتراكية هو أيضا مليء بالتناقضات، فمن جهة، هو في الأساس يمثل القيادة السياسية للطبقة العاملة، ويقودها إلى الأمام للقيام بالثورة ومهاجمة كل بقايا المجتمع القديم، لكنه أيضا، من جهة ثانية، هومن الناحية الموضوعية جهاز إداري في ظل الاشتراكية، فمعظم العناصر التي تمارس القيادة على

وحدات معينة هم أعضاء في الحزب، وتخطيط الدولة يتم تحت قيادة الحزب وهكذا دواليك... وبالمثل، يجب على الحزب أن يمارس دكتاتورية شاملة في كل مجال من مجالات المجتمع، فهو أداة للديكتاتورية البروليتارية، لكن في نفس الوقت فإن وجود الحزب نفسه يتناقض مع الهدف الذي يناضل من أجله الحزب، ألا وهو القضاء على جميع الفوارق الطبقية، ومعها الحاجة إلى أي دولة أو حزب.

إن الحزب يسعى إلى القضاء على جميع أشكال عدم المساواة، لكنه يجد نفسه ملزما بحماية، وحتى الحفاظ على بعض بقايا عدم المساواة في شكل اختلافات في الأجور، والتقسيم بين العمل اليدوي والذهني، إلخ... لأن الحزب لا يستطيع القضاء عليهم هكذا بإرادته البسيطة، فبسبب كل هذه التناقضات لدور الحزب في ظل الاشتراكية على وجه التحديد، تجعل الحزب الماركسي ـ اللينيني عرضة للتحول إلى نقيضه.

إن بيان ماو المهم ("أنتم تقومون بالثورة الاشتراكية ولا تعرفون بعد أين توجد البورجوازية، ومع ذلك، إنها موجودة في الحزب الشيوعي، إنهم المسؤولون المنخرطون في الطريق الرأسمالي.")، قد ينطبق فعلا على إنفير خوجا.

يود خوجا أن يرسل العمال في مطاردة بلا جدوى للمستغلين القدامى اللذين صودرت ممتلكاتهم منذ فترة طويلة، في حين أن الهدف الرئيسي الفعلي للنضال الطبقي يعشعش داخل الحزب نفسه، فبدلا من قيادة الماركسيين ـ اللينينيين وتركيز جهودهم على الكشف والنضال ضد حالات داخل المجتمع الاشتراكي حيث الملكية العامة، فضلا عن قيادة الحزب، تستخدم كقناع سطحي لمحاولات القادة والشخصيات البارزة لتنفيذ خط تحريفي واختزال العمال مرة أخرى إلى مجرد عبيد أجراء، يفضل خوجا أن يرى الماركسيين ـ اللينينيين يركزون على الكشف عن حالات صغار المستغِلين اللذين يستخدمون العمال بشكل غير قانوني، وما إلى ذلك، وبدلا من قيادة النضال السياسي ضد البورجوازية داخل الحزب، كما فعل ماو، كان خوجا سيقوده ضد أشخاص مثل أرملة سن يات سن (Sun Yat-sen) وغيرها من الديمقراطيين البرجوازيين القدامى، فقط لأنهم ما زالوا

يشغلون مناصب رسمية في هيئات معينة للدولة، هيئات لم تجتمع منذ سنوات ولم تعد لها سلطة حقيقية.

بالطبع، لعب هؤلاء الممثلون الثانويون للرأسمالية وللدولة البورجوازية دورا معينا في الانتكاسة في الصين، كما فعلت عناصر مماثلة في الاتحاد السوفياتي، لكنهم لم يكونوا، ولا يمكن أن يكونوا، المصدر الرئيسي للبورجوازية. في الواقع، فهم لا يمثلون قوة مهمة إلا عندما تتولى البورجوازية داخل الحزب قيادتهم وتوجيههم.

في الحقيقة، في مرحلة معينة من تطور الثورة الاشتراكية، يصبح من المستحيل عمليا بالنسبة للبورجوازية القديمة (أي أعضاء الطبقات المستغِلة القديمة) أن تعود - تصل إلى السلطة - فمهما يكن، فقد تم تجريدهم من وسائل الإنتاج، وتعرضوا باستمرار للهجمات السياسية، وشاخوا أو ماتوا، وسياساتهم تم كشفها بشكل جيد، لدرجة أنهم لم يعودوا يجدون أي دعم في المجتمع (وحتى العديد من أطفالهم يأتون لدعم الاشتراكية أو قبولها).

لقد أدرك ستالين هذه الحقيقة، حيث كان يعلم أن مساعدي القيصر القدامى، الكولاك، أصحاب المصانع السابقين، لن يتمكنوا أبدا من استعادة السلطة ما لم يكن هناك اجتياح إمبريالي، لكنه توصل إلى استنتاجات خاطئة تماما، مفادها أن استعادة الرأسمالية كانت مستحيلة بدون استيلاء الإمبرياليين على السلطة، وأن دكتاتورية البروليتاريا كانت ضرورية فقط لحماية الدولة الاشتراكية من الأعداء الخارجيين.

هذا هو بالأساس الخط الذي يعيد اليوم خوجا إحياءه، مضيفا إليه بعض "الصيغ" الخاصة به حول "التناقض بين الطريق الرأسمالي والطريق الاشتراكي"، "الصراع الطبقي" (ولكن لا وجود للطبقات العدائية!) و "إمكانية الاستعادة التي لا تزال موجودة "، عبارات استمدها الحزب الألباني من ماو من دون أن يستوعب أبدا خطه الماركسي ـ اللينيني (وهو خط يصفونه اليوم بالتحريفي).

إن حقيقة أن ستالين أدرك الحاجة إلى استمرار دكتاتورية البروليتاريا، كانت في تناقض حاد مع نظريته حول اختفاء البورجوازية، وعدم وجود الطبقات العدائية والتناقضات العدائية في ظل الاشتراكية، فبينما بدأ (ستالين) في معالجة بعض قضايا خطه في كتابه القضايا الاقتصادية للاشتراكية

في الاتحاد السوفياتي (كتب قبل وفاته بفترة وجيزة)، حيث يصحح فيه وجهة النظر الخاطئة، التي طرحها خلال الثلاثينيات من القرن الماضي، بأنه لا وجود لأي تناقضات بين علاقات الإنتاج والقوى المنتجة في ظل الاشتراكية، لم يتوصل إلى استخلاص النتائج الصحيحة بطبيعة الصراع الطبقي في الاتحاد السوفياتي في ذلك الوقت، ولم يبق إلا خروتشوف "لحل" التناقض في الخط السوفياتي بين دكتاتورية البروليتاريا وما يسمى بعدم وجود البورجوازية، ومن هنا جاءت نظريته السيئة السمعة حول "دولة الشعب بأسره".

مهما يكن، يستدل خروتشوف منطقيا (وليس بدون منطق)، إذا لم تكن هناك بورجوازية، وإذا لم تعد هناك علاقات طبقية عدائية، فلماذا يجب الحفاظ على ديكتاتورية البروليتاريا وعلى دولة موجودة فقط لممارسة هذه الديكتاتورية على البورجوازية وقمعها بالقوة؟ إذا لم نعد بحاجة للدولة لمحاربة أعداء ينشأون من الظروف الداخلية، وإذا كانت الدولة موجودة فقط لمحاربة العدو الامبريالي الخارجي، والعملاء الأجانب، والمخربين وغيرهم ممن يعتمدون على هذا العدو الخارجي من أجل وجودهم، أليس من الأصح أن توصف هذه الدولة بشكل أكثر ملائمة بأنها دولة الشعب بأسره، وتمثل فعليا جميع الطبقات الموجودة في المجتمع السوفياتي (الطبقة العاملة، والفلاحون، والمثقفون الاشتراكيون) مع الاستمرار في لعب وظائفها فيما يتعلق بالعدو الخارجي؟ بطبيعة الحال، إن أفكار ستالين المشوشة هي أفضل بكثير من تحريفية خروتشوف، ولكن يجب أن يقال بأن منطق ستالين المشوش يحتوي على العديد من العناصر التي يمكن، وهو ما تم فعليا، استخدامها من طرف خروتشوف في بناء نظرياته التحريفية.

الديالكتيك

لقد حاولنا في هذا المقال أن نظهر أن نظرة خوجا هي في نفس الوقت ميتافيزيقية ومثالية، مع أنه ليس من الضروري استنتاج ذلك من آرائه السياسية، فهو يعترف بذلك بصراحة تامة، ودون أي خجل في نقده لمادية ماو الديالكتيكية.

يبدأ خوجا بتوجيه اتهامات سخيفة ضد ماو، على أن هذا الأخير "يتمسك ... بتصور ميتافيزيقي تطوري"، إلا أنه في محاولته "لشرح" وجهة نظر ماو، يكشف خوجا عن نظرته الميتافيزيقية المطلقة للعالم:

"على عكس الديالكتيك المادي، الذي يتصور التطور التدريجي في شكل حلزوني (لولبي)، يدعو ماو تسي تونغ إلى التطور في شكل دوري، في دائرة مغلقة، كسيرورة من المد والجزر، التي تنتقل من التوازن إلى عدم التوازن، والعودة إلى التوازن مرة أخرى، من الحركة إلى السكون، والعودة إلى الحركة مرة أخرى، من الصعود إلى الانحدار، ومن الانحدار إلى الصعود، من التقدم إلى التراجع، وإلى التقدم مرة اخرى، إلخ..."[117]

بالطبع، لم تكن لدى ماو على الإطلاق وجهة نظر ميتافيزيقية تطورية، ففي عمله الشهير "حول التناقض" ("On Contradiction")، قام بتطوير جدال يستهدف مباشرة "الميتافيزيقيا، أو النظرة التطورية المبتذلة للعالم [التي] تعتبر الأشياء منعزلة، ساكنة و"أحادية الجانب". وأشار إلى أنهم:

"يعتبرون أن شيئا ما أو ظاهرة لا يمكن إلا أن تتكرر إلى أجل غير مسمى، ولا يمكن أن تتحول إلى شيء آخر مختلف. في رأيهم، فكل ما يميز المجتمع الرأسمالي: الاستغلال، المنافسة، والفردانية، وما إلى ذلك، هو موجود أيضا في المجتمع العبودي في العصور القديمة،

[117] ـ خوجا، مرجع سابق، ص. 112 (مرجع النص الفرنسي، ص. 435)

وحتى في المجتمع البدائي، وسيظل موجودا إلى الأبد دون تغيير "[118]

في هذا المقطع، وفي الواقع في النص بأكمله، يقدم ماو نقدا شاملا وعميقا للنظرة الميتافيزيقية، ومن الواضح لأي شخص يقرأ هذا النص، سيجد أن تفسير خوجا يساوي أقل من لا شيء، فالمثير للاهتمام هو التعريف الذي يمنحه خوجا لمصطلح "دورة" وكيف يحاول مواجهته لمفهوم لولبي (حلزوني).

من المؤكد حقا أن الأشياء لا تكرر نفسها في "دائرة"، ولكن من الصحيح تماما أن الأشياء تنتقل من مد إلى جزر (من تدفق إلى ارتداد)، ومن جزر إلى مد، من تقدم إلى هزيمة، ثم إلى التقدم من جديد، وما إلى ذلك.

أليست هذه هي الطريقة التي تتطور بها الحركة الجماهيرية في البلدان الرأسمالية؟ نعم، إنها كذلك، وكل "دورة"، إذا صح التعبير، لا تعود إلى نفس نقطة الانطلاق، ولكنها في الواقع وبشكل عام، تمثل تقدما عاما للحركة ككل.

أليس من الصحيح كذلك، أنه خلال الحرب يتقدم الجيش ويتراجع، ثم يتقدم من جديد؟ الاتجاه العام، تقدم الحرب، يأتي بالضبط من هذه الحركة الدورية، وبشكل عام، ينطبق الشيء نفسه على أي سيرورة معقدة وطويلة الأمد.

فقط في ألبانيا (أو بالأحرى فقط في ذهن إنفير خوجا) يتطور الصراع الطبقي والثورة "دون انقطاع"، وينتقلان من انتصار إلى آخر، دون أن يتعرضا أبدا للهزيمة أو الانتكاسة، أو لا سمح الله! فترات من الاضطرابات و "الفوضى".

بينما يحرق خوجا كتب ماو، فما عليه إلا أن يحرق أيضا رأسمال ماركس، لأن هذا العمل (الذي يؤيده دائما الماركسيون اللينينيون كمثال كلاسيكي بامتياز لتطبيق الديالكتيك) يعج بأمثلة للأشياء / للظواهر التي لا تتطور من خلال التكرار الثابت واللانهائي، ولكن حركتها إلى الأمام تأتي

[118] ـ ماو، في التناقض، الأعمال المختارة، المجلد الأول، ص. 312 (مرجع النص الفرنسي، ص. 348 ـ 349).

من خلال التقدم بدورات. لنأخذ على سبيل المثال، تداول رأس المال نفسه، والذي تكتب صيغته كالتالي M-C-M (from money to commodity to money) (الانتقال من النقود إلى السلع، للعودة إلى شكل النقود) والتي وصفها ماركس بأنها "حركة الربح المتجدد باستمرار" ("عملية جني الأرباح التي لا تهدأ ولا تنتهي أبدًا")، و "العملية الدورية لرأس المال"، والتي يقول فيها "لهذا السبب فهذه العملية ككل تشكل بالتالي عملية التحرك في دوائر"[119]، لكن مع ذلك، فإن هذه العملية الدورية "المتجددة باستمرار" هي أيضا سيرورة تراكم رأس المال، والانتقال من الرأسمالية التنافسية إلى الرأسمالية الاحتكارية، إلخ....وهناك أزمات دورية تتكرر في الرأسمالية، ولكن من خلال التكرار الدوري، الذي تتحرك فيه الرأسمالية تتقدم نحو نهايتها النهائية.

إن الأهم هنا، هو أنه على الرغم من أن هذه العمليات تحدث في دورات، إلا أنها ليست دورات تعود بلا نهاية إلى نفس نقاط بدايتها: إن ما يحدث في الواقع هو حركة لولبية (حلزونية)، ومن خلال هذه الدورات والحلقات على وجه التحديد تحدث كل التطورات والقفزات النوعية إلى الأمام.

من المفيد الاستشهاد بملخص ماو الرائع للنظرية الماركسية حول المعرفة، لأنه يشكل مثالا ممتازا للتطبيق الصحيح للديالكتيك:

"اكتشاف الحقيقة من خلال الممارسة العملية، وإثبات وتطوير الحقيقة عن طريق الممارسة العملية مرة ثانية. الانطلاق من المعرفة الحسية وتطويرها بنشاط إلى المعرفة العقلانية، ثم الانطلاق من المعرفة العقلانية لتوجيه الممارسة العملية الثورية بنشاط، من أجل تغيير كل من العالم الذاتي والموضوعي. الممارسة العملية، المعرفة، ثم من جديد الممارسة العملية والمعرفة. يكرر هذا النموذج نفسه في دورات لا نهاية لها، علاوة على ذلك، مع كل دورة يرتقي مضمون الممارسة العملية والمعرفة إلى مستوى أعلى. هذه هي النظرية المادية

[119] ـ ماركس، رأس المال، المجلد الأول (نيويورك، 1967)، ص. 152؛ المجلد الثاني (نيويورك، 1967)، ص 56 و48. (مرجع النص الفرنسي، ماركس، رأس المال، المجلد الأول (Editions sociales، مونتريال، 1976)، ص. 119؛ المجلد الثاني، ص. 48 ـ 52.).

الديالكتيكية للمعرفة بمجملها، وهذه هي النظرية المادية الديالكتيكية لوحدة المعرفة والفعل." [120]

هكذا فإن ماو يطرح بوضوح سيرورة الارتقاء إلى "مستوى أعلى" من خلال سلسلة لا نهائية من الدورات: لولبية (حلزونية)! يرتبك خوجا ويلفه الضباب في هذه النقطة، لأنه لا يستطيع فهم ما هو اللولبي (الحلزوني) ما لميتم إزالة كل المنعطفات / المنحنيات!

على أي شخص يعتقد أن اللولب لا يحتوي على دورات أن يكون أعمى، ليس فقط سياسيا، ولكن بالمعنى *الحرفي**.

دعنا نمضي دون تعليق على محاولة خوجا لجعلنا نعتقد أن ماو كان منجما وأنه يؤمن بالأساطير القديمة، وذلك من أجل فحص واحدة من أخطر اتهاماته ضد ماو.

إن خوجا، وبتوليفة من أفكار مشوشة وأكاذيب فعلية تميزه، يقول:

"ينفي ماو تسي تونغ بشكل أساسي التناقضات الداخلية المتأصلة في الأشياء والظواهر، ويعتبر التطور بمثابة تكرار بسيط، كسلسلة من الحالات الثابتة، حيث تتم ملاحظة نفس الأضداد ونفس العلاقة بينهما. إن التحول المتبادل بين الأضداد إلى بعضها البعض، يتصوره كمجرد تبادل للأماكن وليس كحل للتناقض وتغيير نوعي للظاهرة ذاتها التي تتضمن هذه الأضداد، ويستخدمه كنمط شكلي يخضع له كل شيء." [121]

حسنا، ماذا لدينا هنا! خوجا، الذي يرفض الاعتراف بوجود خطين داخل الحزب، ويرفض الاعتراف بوجود طبقات عدائية في ظل الاشتراكية، يركب خيوله العالية ويتهم ماو

[120] ـ ماو، في الممارسة العملية، الأعمال المختارة، المجلد الأول، ص. 308 (مرجع النص الفرنسي، ص. 344).

* ـ نود أن نقترح أن يقود خوجا حملته الصليبية ضد "الأشكال الدائرية" إلى أن يصل إلى لينين، الذي كتب في عمله "حول الديالكتيك" (مقال من خمس صفحات يستشهد بها خوجا، ولكن من الواضح أنه لم يقرأه) "إن معرفة الإنسان ليست (أو لا تتبع) خطا مستقيما، بل منحنى يقترب إلى ما لا نهاية من سلسلة من الدوائر، خط لولبي" (لينين، حول الديالكتيك، الاعمال الكاملة، المجلد 38، ص. 363 / المرجع الفرنسي، حول الديالكتيك، الاعمال الكاملة، المجلد 38، (باريس وموسكو، 1976)، ص. 347).

[121] ـ خوجا، مرجع سابق، ص. 113 (المرجع الفرنسي، ص. 437).

تسي تونغ بنفي وجود التناقضات الداخلية للأشياء! هذا الاتهام يكاد يساوي أطروحته اللامعة بأن ماو "عنصري"، والذي من خلاله يكشف خوجا عن سلسلة أمثلة كاملة من شوفينيته وقوميته الضيقة! هذا التصريح يشبه حقا قصة اللص الذي يندفع صائحا تجاه جميع القادمين نحوه: "لا يوجد كنز في هذا الجانب".

إذا تجاوزنا هذا الاتهام السخيف، وكذلك الطريقة العبثية التي يحاول بها خوجا إحياء "نظرية الدوائر" الخاصة به ونسبها إلى ماو، فإننا نصل أخيرا إلى جوهر المسألة: يقر خوجا أن **"التحول المتبادل بين الأضداد إلى بعضها البعض "يمثل" حل التناقض [و] تغيير نوعي للظاهرة ذاتها التي تتضمن هذه الأضداد "**.

حسنا، خوجا نصف محق، وهو ما يشكل تقدما مهما مقارنة بمعظم تصريحاته. إن تحول الأشياء إلى نقيضها يعني، وهو صحيح، أن تغييرا نوعيا قد حدث. لسوء حظ جدال خوجا، فهو غير قادر على إيجاد نص ينفي فيه ماو هذا المبدأ، كما أنه يكتفي فقط برصد هذه "الحقيقة"، في حين أن ماو، بعيدا عن نفيه لهذا المبدأ، فهو على عكس خوجا قادر على تفسيره، وتفسيره بشكل صحيح:

"غالبا ما نتحدث عن "حلول الجديد محل القديم". هذا هو القانون العام للكون، الذي لا يمكن انتهاكه أبدا. إن تحول ظاهرة إلى أخرى عبر قفزات تختلف أشكالها وفق طبيعة الظاهرة نفسها والظروف التي توجد فيها. تلك هي سيرورة حلول الجديد محل القديم. في كل ظاهرة هناك تناقض بين طرفه الجديد وطرفه القديم، وهو ما يفضي إلى سلسلة من الصراعات بمسارات متعرجة، ويترتب على هذه الصراعات، أن الطرف الجديد ينمو ويرتقي إلى الدور المهيمن، بينما الطرف القديم يتناقص إلى أن يتلاشى في النهاية. وحالما يسيطر الطرف الجديد على الطرف القديم، تتحول الظاهرة القديمة نوعيا إلى ظاهرة جديدة، فيترتب على هذا أن نوعية الظاهرة أو شيء، يحددها أساسا الطرف الرئيسي للتناقض، الذي يحتل مركز السَّيطرة، وعندما يتغير الطرف

الرئيسي للتناقض، الطرف الذي يحتل مركز السيطرة، تتغير نوعية الظاهرة تبعا لذلك." [122]

هكذا، فإن ماو واضح جدا في هذا الموضوع: في تحول أضداد التناقض، لا يتعلق الأمر ب «تبادل بسيط للأماكن" (هذه هي الطريقة التي يريدنا خوجا أن نفسر بها خط ماو)، ولكن (حسب كلمات ماو الخاصة): "تتحول الظاهرة القديمة نوعيا إلى ظاهرة جديدة".

لا، فالسؤال المطروح هنا، هو ليس ما إذا كان التغيير النوعي يحدث عندما تتحول الأضداد بعضها إلى البعض، ولكن ما إذا كان هذا التحول "يحل" التناقض، أو بعبارة أخرى، ما إذا كان التناقض نفسه لم يعد موجودا! هذا السؤال حرج للغاية.

هكذا ينتقل خوجا إلى الطرف الآخر من الخطأ النموذجي ل "مدرسة ديبورين"، الذي أشرنا إليه أعلاه. من جهة، يتألف خط خوجا، كما أشرنا إلى ذلك سابقا، من وجهة نظر مفادها أن التناقض لا *ينشأ* إلا في مرحلة معينة من تطوره، ومن جهة ثانية، نرى أن خوجا يؤكد أن التناقض يختفي في لحظة التغيير النوعي بين الأضداد! إن وجهتا النظر هاته تشتركان معا في عدم القدرة على فهم وجود التناقض خلال السيرورة الكاملة لتطور الظاهرة، من بدايتها حتى نهايتها.

إن أطروحة خوجا القائلة بأن التناقض يحل لمجرد أن كل طرف تحول إلى نقيضه، هي أطروحة خاطئة بشكل واضح. لنأخذ على سبيل المثال التناقض بين الحرب والسلام على المستوى العالمي أو في بلد معين، فالتناقض بين الحرب والسلام يعود إلى ما قبل نشوء الطبقات بوقت طويل، ولن يحل حتى يصبح السلام ،ليس فقط الطرف الرئيسي للتناقض، بل حتى "يلتهم" كليا، وعلى المستوى العالمي، طرفه النقيض، الحرب، ومن هذه اللحظة، لن يكون هناك أي تناقض بين الحرب والسلام، ولن يكون لمصطلح السلام أي معنى، إن لم يكن كعامل تاريخي، لكن هناك فترة تاريخية طويلة بين فجر الحروب وفجر الشيوعية، وهي فترة صراع لا يتوقف بين طرفي التناقض، والتي تتميز بالعديد من التغيرات النوعية تتحول خلالها الحرب إلى سلام... والعكس كذلك.

---

[122] ـ ماو، في التناقض، ص. 333 (مرجع النص الفرنسي، ص. 372).

لأجل هذا، كان ماو محقا في انتقاده النص الفلسفي السوفياتي (الذي حسبه، يعكس وجهة نظر ستالين) لادعائه أنه لا توجد وحدة بين الحرب والسلام[123].

نشأت الحرب العالمية الثانية من فترة سلام نسبي، والتي نشأت بدورها عن فترة حرب نسبية، أي الحرب العالمية الأولى. أدت الحرب العالمية الثانية إلى فترة جديدة من السلام النسبي على المستوى العالمي، ومع ذلك، فالتناقض بين الحرب والسلام لم يتم حله أبدا خلال هذه التحولات.

كل فترة سلام تحتوي على مظاهر للحرب بداخلها (للحرب القديمة والحرب القادمة، فضلا عن الحروب الثورية)، إضافة إلى ذلك، فإن هذه السيرورة لا تشكل سلسلة دوائر متكررة وبلا نهاية، ولكنها بالأحرى حركة لولبية (حلزونية): كل دورة من الحرب إلى السلام والعودة من جديد إلى الحرب، أدت إلى تقدم المجتمع، تقدم تمثله الحروب الثورية (حروب الطبقة العاملة والشعوب المضطهدة، وهي الحروب الوحيدة التي يمكنها أن تؤدي إلى القضاء على أي حرب) التي انتصرت بداية في بلد واحد، ثم في عدة دول.

نظرا لكونه قد استوعب هذه الأمور بشكل صحيح، ومن وجهة نظر ديالكتيكية، فقد تمكن ماو من ملاحظة أن حربا جديدة (في مواجهة ادعاءات خروتشوف الهستيرية بأن حربا عالمية جديدة ستؤدي إلى إبادة البشرية جمعاء)، على العكس من ادعاءات خروتشوف، ستؤدي إلى عاصفة ثورية كبيرة لم يسبق لها مثيل، وأنها ستوفر الفرصة لجعل النظام الامبريالي يعاني من أخطر هزائمه.

بالطبع، تزودنا الطبيعة والمجتمع بالعديد من الأمثلة الأخرى التي، تبين هذا المبدأ الذي بموجبه يتحول الطرف الرئيسي للتناقض، فيؤدي إلى تحول نوعي للظاهرة، على الرغم من أن التناقض نفسه يستمر في الوجود، وأن الأطراف المتناقضة للظاهرة تبقى منخرطة في الصراع.

[123] ـ ماو، "خطاب ألقي في مؤتمر أمناء لجان الحزب للمقاطعات والبلديات ومناطق الحكم الذاتي" الأعمال المختارة، المجلد. 5، ص. 368. (المرجع الفرنسي، ص. 399).

تمثل أطروحة خوجا انعكاسا لنظرته الميتافيزيقية، والتي تنص على أنه بمجرد حدوث التغير النوعي الأول، فمن المستحيل أن تنقلب أطراف التناقض مرة أخرى، لأن التناقض نفسه لم يعد موجودا.

نعم هي نعم ولا هي لا: هذا هو منطق خوجا، منطق بورجوازي ومناهض للديالكتيك. قد يبدو للوهلة الأولى أن هذا المنطق سليم بما فيه الكفاية، لكن مثل هذه النظرة ستؤدي بالتأكيد إلى هزيمة الثورة.

إن وجهة نظر خوجا في اتخاذ موقف بشأن هذه المسألة واضحة، فهو يريد ابتكار مبدأ فلسفي غير موجود (أن التغيير النوعي يعني إزالة التناقض الذي أدى إلى ظهوره) من أجل تبرير خطه المثالي الميتافيزيقي حول طبيعة الاشتراكية، ولهذا يتهم ماو بالآتي:

"... إنه لا يتصور الثورة الاشتراكية على أنها تغيير نوعي للمجتمع تؤدي إلى القضاء على الطبقات العدائية واضطهاد واستغلال الإنسان للإنسان، ولكنه يتصورها على أنها تغير بسيط في الأماكن بين البورجوازية والبروليتاريا"[124].

وبعد ذلك يقتبس لماو:

> **"إذا كانت البورجوازية والبروليتاريا لا تستطيعان التحول الواحد إلى الأخر، فكيف تفسرون أن البروليتاريا تصبح، عن طريق الثورة، هي الطبقة المسيطِرة والبورجوازية طبقة مسيطَر عليها؟ ... نحن وكيومينتانغ (Kuomintang) تشيانغ كاي شيك (Tchiang Kaï-chek) في الأساس متعارضين، ونتيجة للنضال والإقصاء المتبادل للطرفين المتناقضين، قمنا بتغيير المكان مع الكومينتانغ ..."[125]**

يقول خوجا معلقا على اقتباسه:

---

[124] ـ خوجا، مرجع سابق، ص. 113 (مرجع النص الفرنسي، ص. 438).

[125] ـ المرجع نفسه، ص. 128، نقلا عن ماو، "خطاب ألقي في مؤتمر أمناء لجان الحزب" المجلد. 5، ص. 368، حيث يظهر هذا المقطع في شكل مختلف قليلا. (مرجع النص الفرنسي، ص. 438، نقلا عن ماو، "خطاب ألقي في مؤتمر أمناء لجان الحزب"، مرجع سابق، ص. 399 ـ 400).

"هذا المنطق نفسه أدى بماو تسي تونغ أيضا إلى مراجعة النظرية الماركسية ـ اللينينية حول مرحلتي المجتمع الشيوعي".

حسنا، خوجا على وشك الانتهاء. صحيح أن منطق ماو هذا، المنطق الديالكتيكي الذي يقوم على تحليل كل شيء انطلاقا من تناقضاته الداخلية وأطرافه المتناقضة، هو نفس المنطق الذي قاد ماو إلى تطوير المعرفة الماركسية ـ اللينينية للاشتراكية والانتقال إلى الشيوعية. خوجا منزعج للغاية من هذا التصريح لماو:

"يعتبر الديالكتيك أن النظام الاشتراكي كظاهرة تاريخية سيختفي يوما من الأيام، كما الإنسان يجب أن يموت، وأن النظام الشيوعي سيكون نفيه. كيف يمكننا كماركسيين أن نعتبر التأكيد الذي يقول إن النظام الاشتراكي، وكذلك علاقات الإنتاج والبنية الفوقية للاشتراكية، لن يختفوا؟ أليست هذه عقيدة دينية، اللاهوت الذي يبشر بخلود الله؟" [126]

إن هذا التصريح قد لا يروق لخوجا، لكننا نجده ممتازا!

أليس من الواضح تماما أن النظام الاشتراكي يختلف نوعيا عن النظام الشيوعي؟!

يعتقد خوجا أن الأمر عكس ذلك، وأن الاشتراكية والشيوعية هما **"في الأساس (الجوهر) مرحلتان من نوع واحد، من نظام اقتصادي واجتماعي واحد، ولا يتم تمييز كل منهما عن الآخر إلا بدرجة تطورهما ونضجهما [] يقدم ماو تسي تونغ الاشتراكية على أنها شيء معارض تماما للشيوعية"**[127].

ها هو الخط التحريفي بكل مجده وكامل روعته! لا يقتصر الأمر فقط على عدم السماح بتقسيم الاشتراكية إلى جوانب

[126] ـ خوجا، ص. 113، نقلا عن ماو، "خطاب في مؤتمر أمناء لجان الحزب " المجلد. 5، ص. 377. (مرجع النص الفرنسي، خوجا، ص. 438-439؛ نقلا عن ماو، "خطاب ألقي في مؤتمر أمناء لجان الحزب للمقاطعات والبلديات ومناطق الحكم الذاتي"، مرجع سابق، ص. 409).

[127] ـ خوجا، مرجع سابق، ص. 113 (مرجع النص الفرنسي، ص. 439).

متناقضة من أجل تحليلها، بل لا يحق لنا حتى الاعتراف بوجود تناقض بين الاشتراكية والشيوعية.

هذا ليس مفاجئا: لأن خوجا غير قادر بالتحديد على فهم تناقضات الاشتراكية، فلن يكون قادرا على فهم التناقض بين الاشتراكية والشيوعية.

بما أن وجهة نظر خوجا المثالية ترى أن التغيير النوعي من الرأسمالية إلى الاشتراكية يعني حل التناقض بين البروليتاريا والبورجوازية، يترتب على ذلك أن هذا التحول يعني إنجاز الأساسي للشيوعية، وإن كانت في مرحلة "أدنى" (شيوعية "أقل تطورا")؛ ويكفي فقط أن يتبع النظام مسار التطور الكمي "دون انقطاع"، وأن ينضج قليلا، وبذلك يصل إلى الشيوعية بمعناها الكامل.

إن التناقض الأساسي في المجتمع الاشتراكي هو بالضبط التناقض بين البروليتاريا والبورجوازية، والذي بدوره يعكس التناقض بين "الشيوعية الوليدة" (كما يسميها لينين) والآثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية للمجتمع الرأسمالي، الذي تنبثق منه الاشتراكية. عندما تحل هذه التناقضات، أي عندما يتم القضاء على البورجوازية وآثار المجتمع القديم تحت الضربات المتكررة للبروليتاريا، وبفضل تقدم التحول الاشتراكي، عندها فقط يمكننا القول إن البشرية قد دخلت عالم الشيوعية، وطبيعة المجتمع ستتحدد عن طريق تناقضات جديدة.

يمثل تحول الطبقة العاملة إلى طبقة حاكمة للمجتمع قفزة نوعية إلى الأمام، ويمثل القضاء على الطبقات كليا قفزة نوعية أخرى إلى الأمام أكثر عمقا.

قد يبدو هذا أمرا أوليا تماما، لاسيما في ضوء التجربة المتراكمة خلال مائة عام من الثورات الاشتراكية منذ كومونة باريس، التجربة، التي أثبتت لنا أن الانتقال إلى الشيوعية سيكون أطول، ومقاومة البورجوازية أكثر شراسة، وآثار المجتمع القديم أكثر عنادا وتصلبا مما تصوره ماركس وإنجلز في البداية، حيث أن كتاباتهما عن الاشتراكية والشيوعية لها أهمية تاريخية كبيرة للغاية، لكنها كانت محدودة بسبب نقص خبرة البروليتاريا في بناء الاشتراكية خلال حياتهما. أما خوجا، فهو يحرص على نشر ودفع حد العبث، فكرة أن الاشتراكية والشيوعية هما نفس "النظام الاقتصادي والاجتماعي"!

حسنا سيد خوجا، هل يمكننا أن نقول إن الصيغة "لكل فرد حسب عمله"، تعكس نفس النظام الاقتصادي والاجتماعي لصيغة "لكل حسب احتياجاته"؟ هل المجتمع، الذي تؤسس فيه طبقة واحدة دولة، وتمارس الديكتاتورية هو نفسه المجتمع الذي لا توجد فيه دولة وتختفي فيه الطبقات؟ أخيرا، حقا حتى الطفل يمكنه أن يتعرف على غباء خوجا. كيف يمكن ألا يكون الانتقال إلى مجتمع لا طبقي، بعد آلاف السنين من المجتمعات الطبقية (بما في ذلك الاشتراكية) قفزة نوعية هائلة إلى الأمام؟

إن إصرار خوجا على أن الاشتراكية والشيوعية هما في "جوهرهما" نفس الشيء، يؤدي إلى عواقب خطيرة للغاية، إنه يفتح الباب على مصراعيه أمام هذا الخط الخبيث الذي يبدو أنه يلازم كل تحريفية: "نظرية القوى المنتجة".

في الواقع، إذا كانت الاشتراكية لا تختلف عن الشيوعية إلافي درجة "نضجها"، وإذا كان التناقض بين البروليتاريا والبورجوازية قد أزيل حقا عن طريق الاشتراكية، فإن ذلك يعني أن مستوى تطور القوى المنتجة هو ما يميز الشيوعية عن مرحلتها الأقل "نضجا"، الاشتراكية. بالتأكيد، إن "نظرية القوى المنتجة" هي النتيجة المنطقية، وهي تشكل على نحو تام جزءا من كل الحملة الصليبية لخوجا ضد الماركسية ـ اللينينية، فكر ماو تسي تونغ.

بالنظر إلى الخسارة في الصين، خسارة مأساوية للبروليتاريا بالعالم كله، تواجه الحركة الشيوعية العالمية حاليا أخطر أزماتها، فالرهان الحالي للماركسيين ـ اللينينيين: هل سنتمكن من الصمود والثبات في قناعاتنا الثورية، والمضي قدما في النضال الثوري على أساس علم الماركسية ـ اللينينية، وإغناء هذا العلم من طرف ماو تسي تونغ؟ أم ينبغي أن يتخلى الماركسيون ـ اللينينيون عن كل ما تم إنجازه خلال النضال ضد التحريفية الخروتشوفية، ونسيان دروس الثورة الثقافية... إلخ، والتكيف بطريقة أو بأخرى مع التحريفية؟

بعد الخسارة في الصين، تركز انتباه الماركسيين ـ اللينينيين على ألبانيا وإنفير خوجا، فحزب العمل الألباني ناضل جنبا إلى جنب مع ماو والحزب الشيوعي الصيني ضد خروتشوف، ودعم الثورة الثقافية، وكان قدوة في نظر العالم كله برفضه الانصياع للتحريفية الحديثة، ولكن اليوم، فكل الأشياء التي يجب أن نعتز بها وندافع عنها بحق، وكل ما فازت به الحركة

الشيوعية العالمية خلال النضالات المريرة، إخفاقات وانتصارات السنوات الأخيرة، يتم مهاجمته من طرف أولئك الذين كنا نتوقع منهم شيئا مختلفا تماما.

على الرغم من احتجاجات خوجا، فمن الواضح أن الهجوم الألباني على فكر ماو تسي تونغ لا يختلف من حيث الأساس عن الجوقة التي أثيرت ضد ماو من طرف الاشتراكيين ـ الإمبرياليين السوفيات والقادة التحريفيين الحاليين في الصين، فجميعهم يتفقون على مهاجمة أهم إسهامات ماو في الماركسية ـ اللينينية، أي نظرية وممارسة استمرار الثورة في ظل دكتاتورية البروليتاريا.

لقد أصيب جميعهم بالرعب من الثورة الثقافية، وقبل كل شيء خوفا من السيل الثوري للجماهير، التي هاجمت كل ما يعيق طريق المستقبل الشيوعي، وتجرأت على تشكيل كل شيء في المجتمع على صورة البروليتاريا.

إن التحريفيين السوفيات والصينيين، والآن إنفير خوجا، يتراجعون في رعب أمام ديالكتيك ماو، أمام عمله البعيد النظر والدؤوب والحازم للوصول إلى كشف التناقض الموجود في قلب كل حركة، أمام رفضه السجود لأي بقرة مقدسة، وأمام إدراكه أن العالم يتقدم دائما عبر النزاعات والصراعات، وأمام تجرئه على قيادة الجماهير إلى الأمام وسط العواصف الحتمية. إن النداء الشهير الذي أطلقه ماو: **"من حقنا أن نثور ضد الرجعيين!"** ألهم الثوار في جميع القارات كما ألهب الرعب في قلوب كل الرجعيين والتحريفيين.

إن اتهامات خوجا المسماة ب "الشيوعية الآسيوية" و "العنصرية" مستمدة مباشرة من مواعظ التحريفيين السوفيات*،أما أنه يكره "فوضى" الثورة الثقافية وأنه يشفق على الفقراء "الشيوعيين"، اللذين تعرضوا لسوء المعاملة،

* ـ تأمل على سبيل المثال الاقتباس التالي: "تعكس وجهة النظر السياسية والاقتصادية والفلسفية والاجتماعية، وكذلك الأساليب التكتيكية لماو تسي تونغ وأتباعه، تأثير مختلف المذاهب والنظريات والمفاهيم، بما في ذلك الفلسفة الصينية الإقطاعية (معظمها من الكونفوشيوسية والطاوية)، والاشتراكية البرجوازية الصغيرة، ووجهات نظر البرجوازية الصغيرة والفلاحين، والمنظور البرجوازي القومي، وشوفينية القوة العظمى، والأفكار التروتسكية والفوضوية، الكل يشكل مزيجا انتقائيا". هل خوجا من يتحدث

فهو ينهل مباشرة من تينغ كسياو بينغ (Teng xiao-ping)! يريد خوجا أن يضع نفسه على رأس الحركة الشيوعية العالمية، وأن يكون ممثلا للماركسية ـ اللينينية "النقية": إنها في الحقيقة مجرد نوع متحور غريب من التحريفية، التي تبدو أنها تفقد تدريجيا خصائصها المميزة لتصبح أكثر اندماجا في التيار التحريفي الرئيسي المنبثق من موسكو.

إن أهمية خوجا الوحيدة اليوم، هي أنه يحاول جر قسم معين من الماركسيين ـ اللينينيين المعارضين حتى الآن للتحريفية إلى المستنقع التحريفي، ولأنه يحاول أن يلطف حبة الاستسلام والخيانة المرة، ومع ذلك، لا ينبغي له أن يفقد عقله وأن تكون لديه الكثير من الأوهام بفكرته عن أممية جديدة (يتخيل نفسه على أنه ستالين هذه الحركة، على الرغم من أنه يخلو تماما من الجوهر الثوري لستالين)، لأن الماركسيين ـ اللينينيين الحقيقيين قد بدأوا يتخلون عنه بالفعل، وآخرون يميلون أكثر فأكثر إلى اليمين، يشبهون أكثر فأكثر للأحزاب التحريفية. بالإضافة لآخرين، الذين لا يمثلون إلا طوائف صغيرة بائسة مثيرة للشفقة، لم تعد تفكر حتى في الثورة.

إن التعليق الذي تم الإدلاء به في "ثورة" بعد ظهور البيان الصحفي الألباني الذي يعلن خروج خوجا المطلق والكامل عن الماركسية بنشر *الإمبريالية والثورة*، لا يزال مناسبا بعد أن فحصنا بدقة بعض هجمات خوجا الرئيسية على الماركسية اللينينية، فكر ماو تسي تونغ: "**في الوقت الذي تجد فيه الحركة الشيوعية العالمية نفسها عند مفترق طرق، كانت لدى إنفير خوجا الفرصة والمسؤولية للعب دور هائل، وعوضا عن ذلك اختار أن يكون شخصا ثرثارا**"[128].

هكذا، أو ربما واحدا من ببغاواته المثيرة للشفقة؟ لا، هذا الاقتباس مأخوذ من كراسة بعنوان "ما لا تقوله بكين"، نشر في موسكو عام 1972.

[128] ـ ثورة، المجلد. 4، رقم 1 (يناير 1979)، ص. 4.

محاور العدد:

تقديم 3
حول الترجمة 9
النص الكامل للترجمة:
مقدمة 11
إنفير خوجا ومسار الثورة الصينية 15
ماو، الكومنترن، اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية وستالين 37
ماو، ستالين وخروتشوف 43
بناء الاشتراكية في الصين 51
حول استمرار الثورة في ظل دكتاتورية البروليتاريا 81
الديالكتيك 134